



او كان وسط في الدرع او كان امل حقيقيا بان نفخ وتعمل لكلمة ابن
مرة فحملته بالنفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة
حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية
غيره وقيل ساعة حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين
وقد حاضت [illegible] فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تنبت
بالدهن [illegible] والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا
من اهلها [illegible] الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجاها المخاض
وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كآتى في اعطى
وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في
بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة
وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان
وقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها وكانت
كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها
وتطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني
مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير [illegible]

وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرا حمزة
وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمز وهو
الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث
لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناداها من تحتها عيسى وقيل
جبرائيل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها [illegible] وحمزة و
الكسائي وحفص وروح من بالكسر والجر على الحال في نا [illegible] هما وقيل
الضمير في تحتها للنخلة الا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحز[ني] قد جعل ربك
تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سريا من السرو وهو عيسى
وهزي اليك بجذع النخلة واميلي اليك والباء زائدة للتاكيد او افعلي
الهز به او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تساقط عليك
تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرا يعقوب
بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط
ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول روي
انها كانت نخلة يابسة لا راس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزته
فجعل الله تعالى له راسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه
من

آ: ٢٥

٣٩ - ٤٠

الملائكة والانبيا والسنتهم وارجلهم بالكفر والفسق او من وقت
الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر
ان اسماعهم وابصارهم يوم ياتوننا اي يوم القيمة جدير
بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما عميا في الدنيا او التهديد بما سيسمعون
ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم
وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى
الثاني في موضع النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اوقع الظا
لمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع
والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال مبين وانذرهم
يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على اسائته والمحسن على قلة احسانه
اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار
واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون
متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اي انذرهم
غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض
ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك

او تنوفها لا ضر وفي علتها لا يتبعي الامها ل نوفي الهوى لا رشد ولينا
يتضفون دون للجزاء واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا ملا
زما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته
وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله اذ قال لابيه بدل من ابراهيم وما
بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التا
معوضة من يا الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما
يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف
حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع
ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ
احتجاج وارشقه برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب
العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويابى الركون
اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن
له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت
المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض
صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع

والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته
وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة
والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع
ولا يبصر ثم دعا الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط
المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر
السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك
صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق
بل جعل نفسه كالرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه
عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه
في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الامر به فقال يا ابت
لا تعبد الشيطان واستبعد ذلك وبين وجه الضر فيه بان
الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله ان الشيطان
كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص
حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بالتخويف
من سوء عاقبته وما يجر اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب

من الشيطان من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن او العذاب
تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله
اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة
لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جنايته لانه
في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته
لآدم وذريته منبه عليها قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم قابل
استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه
باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة
لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده
فقال لئن لم تنته عن مقالك والرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني
الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما دل
عليه لارجمنك فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او
مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة
للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك
لكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار

للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة
انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله
بالمهاجرة بديني وادعو ربي واعبده وحده عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا
خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع
وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب
وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من
دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحاق ويعقوب بدل من فارقهم
من الكفرة قيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة
وولدت له اسحاق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر
لانهما شجرة الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسماعيل بفضله على
الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من
رحمتنا النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا
يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان
صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم
واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء

لما يشقون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول
الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا
اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله واخلص
عما سواه وقرا الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا
نبيا ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه
اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن من ناحيته اليمنى من
اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له
الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك
لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو
وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا
له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخيه ومؤازرته
اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى
وهو مفعول او بدل هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر في
الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور
به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد

الصبر






مريم

الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولا
نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد
كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلاة والزكوة
اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس
اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وأمر
اهلك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان
الانبياء آباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله
واذكر في الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ
واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد
ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه
اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم
ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني
شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة
او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس
الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنيوية من النبيين

بيان للمصطفين من ذرية آدم بدل منه بإعادة الجار ويجوز أن يكون من للتبعيض لأن المنعم عليهم أعم من الأنبياء وأخص من الذرية
وممن حملنا مع نوح أي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا
إدريس فإن إبراهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية إبراهيم الباقون
وإسرائيل عطف على إبراهيم أي ومن ذرية إسرائيل وكان منهم موسى وهارون
وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية
وممن هدينا ومن جملة من هديناهم إلى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة
إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لأولئك إن جعلت
الموصول صفته واستئناف إن جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله
وإخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى
من الله عز وجل وعن النبي ﷺ اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا
والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ بكيا بالكسر للاتباع
وقرأ حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء فخلف من بعدهم خلف
فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء
بالسكون أضاعوا الصلاة تركوها أو أخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات

بشرب

بشرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والانهماك في المعاصي
وعن علي واتبعوا الشهوات من بني الشديد وركب المنظور ولبس
المشهور فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس
أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما أو جزاء غي كقوله يلق أثاما أو غيا
عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها إلا من
تاب وآمن وعمل صالحا يدل على أن الآية في الكفرة فأولئك يدخلون
الجنة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من
أدخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ويجوز أن
ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه بأن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص
أجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها
أو نصب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر محذوف وعدن علم
لأنه المضاف إليه في العلم أو علم للعدن بمعنى الإقامة كبرة ولذلك
صح وصف ما أضيف إليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب
أي وعدها إياهم وهي غائبة عنهم أو وهم غائبون عنها أو وعدهم بإيمانهم
بالغيب إنه أي إن الله كان وعده الذي هو الجنة مأتيا يأتيها أهلها

الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اى مفعولا منجزا
لا يسمعون فيها لغوا فضول الكلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون
فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم وتسليم
بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان
لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها
اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط
بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة
التى نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم
كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل فى
التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع
ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت
لاهل النار لو اطاعوا زيادة فى كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد
وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبرائيل حين استبطاه رسول الله صلعم

لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر ما يجيب
ورجا ان يوحى اليه فيه فابطا عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين
حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل
النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول
مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر
الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحى له
ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن
والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل فى زمان دون
زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا تاركا لك اى ما كان
عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه
اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الآية
حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة
الا بامر الله ولطفه وتفضله وقوله وما ربك نسيا تقرير له من
الله لقولهم اى وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم
من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان

لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده
واصطبر لعبادته خطاب للرسول مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه
لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العاملين فاقبل على عبادته واصطبر عليها
ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى
الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب
اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله
فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته
وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا
صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره
والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس
باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقله كلهم كقولك بنو فلان
قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن
خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتتها وقال يزعم محمد انا نبعث
بعد ما نموت ائذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال
الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد

المعز

٨

لتضايه بفعل دل عليه لا به فان ما بعد اللام
ههنا مخلصة للتاكيد مجردة عن معنى الحال
كما في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف
من ذكر ان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة
الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار
مع ان الاصل ان تتقدمهما للدلالة على ان
المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه
خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا
اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل كان
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب
الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل
اقسم باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر
الرسول والشياطين عطف او مفعول معه لما
مع قرنائهم من الشياطين التي اغوتهم كل
سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبتهم

لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او
واصطبر لعبادته خطاب للرسول مرتب عليه ا
لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على
ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي
الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد وا
اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان
فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط
وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة و
صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن
والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول ا
بأسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقله كلهم
قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود
خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال
بعد ما نموت أإذا ما مت لسوف اخرج حيا من ا
الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار

الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام
لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتاكيد مجردة عن معنى الحال
كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف
الاستقبال وروي عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة
على الخبر اولا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار
بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان تتقدمهما للدلالة على ان
المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه
لو تذكر وتامل انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا
لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان
فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب
يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل
فوربك لنحشرنهم اقسم باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر
وتفخيما لشأن الرسول والشياطين عطف او مفعول معه لما
روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي اغوتهم كل
مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته

بأنهم فإنهم إذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا
جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه
فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الأشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة
ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم إلى دار الثواب و
شماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع أو لأنه
من توابع التواقف للحساب قبل التواصل إلى الثواب والعقاب وأهل
الموقف جاثون لقوله وترى كل أمة جاثية على المعتاد في مواقف
التقاول وإن كان المراد بالإنسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة
من الموقف إلى شاطئ جهنم إهانة بهم أو لعجزهم عن القيام لما عراهم
من الشدة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم ثم لننزعن
من كل شيعة من أمة شاعت دينا أيهم أشد على الرحمن عتيا من كان
أعصى وأعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذلك تقييد على أنه تعالى
يعفو كثيرا من أهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد أنه يميز
طوائفهم أعتاهم فأعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب أو يدخل
كلا طبقتها التي تليق بهم وأيهم مبني على الضم عند سيبويه لأن حقه

أن يبنى كسائر الموصولات لكنه أعرب حملا على كل وبعض للزوم الإضافة
وإذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد إلى حقه منصوب المحل بننزعن
ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على أنه
استفهامي وخبره أشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل
شيعة الذين يقال فيهم أيهم أشد أو معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى
التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على من كل شيعة على
زيادة من أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة وعلى ما أن يتعلق
بمحذوف فإن نفس ما بعده وأما شيعة لأنها بمعنى تشيع وعلى للبيان
أو متعلق بأفعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى
بها صليا أي لنحن أعلم بالذين هم أولى بالصلي وصليهم بالنار
وهم المنتزعون ويجوز أن يريد بهم المنتزعين والمذكورين فإن
عذابهم مضاعف لضلالهم وإضلالهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بكسر الصاد وإن منكم وما منكم التفات إلى الإنسان ويؤيده أنه قرئ
وإن منهم إلا واردها إلا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون
وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر أنه عليه السلام سئل عنه

فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا
ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك
عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط
فانه ممدود عليها كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا
اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه اقسم عليه
ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقرا الكسائي ويعقوب ننجي با
لتخفيف وقرئ بفتح الثا اي هنالك ونذر الظالمين فيها جثيا منهارا
بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين
يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم
على هيئاتهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات
المعنى بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين
كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين من
المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرا ابن كثير بالضم
اقامة ومنزل واحسن نديا مجلسا مجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا
الايات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في

الافتخار

الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال على زيادة حظهم
فيها دليل على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال
وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا
بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول
اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من
بعدهم وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت
وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي المنظر فعل من الرؤية
لما يرى كالطحن والخبز وقرا قالون وابن ذكوان ريا على قلب الهمزة
وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة وريئا
على القلب وريا على حذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه
محاسن مجموعة ثم انه لما بين انهم استدرجوا وليسكتهم وانما
المبني على الفضل والنقص بما يكون في الدنيا بقوله قل من كان
في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا يمده ويمهله بطول العمر
والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما
ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا للمعاذير كقوله انما نملي لهم

ليزداد اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا راوا ما
يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين
خير مقاما اذ المراد اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه
اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم
قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال
فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه
وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة
محكية بعد حتى واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا
من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شو
كتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية
المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة
الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه
بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف
على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله
في ضلاله ويزيد المقابل هدايته والباقيات الصالحات الطاعات

التي

التي تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس
وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا
عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها
سيما ومالها النعيم المقيم ومال هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار
اليه بقوله وخير مردا والخير ههنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة
قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده افرايت الذي
كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت في عاص بن وائل كان لخباب
عليه مال فتقاضاه فقال له لا والله حتى تكفر بمحمد فقال لا والله
لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني
فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار
استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة
هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرا حمزة والكسائي ولدا
وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع
الغيب اقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي
توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الاخرة مالا وولدا

وثالى عليه أم اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيب عهدا
بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد
كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد
عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب ما
يقول سنظهر له انا كتبنا قوله كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة
اي تبين اني لم تلدني او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو و
حفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتأخر عن القول لقوله ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له
من العذاب ما يستأهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وا
افترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على
فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد ويا
تينا فردا يوم القيامة لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا
فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه و
اتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث
يكون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم

سيكفرون بعبادتهم ستجحد الالهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا
كقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها
كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اي
ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم
بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم
بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم
فانهم بذلك كالواحد ونظيره قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا
بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في
قوله اقلي اللوم عاذل والعتابا او على معنى كل هذا الرأي
كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون
بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطهم
عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصي
بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل
الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق

على ما نطقت الآيات المتقدمة فلا تعجل عليهم بأن يهلكوا حتى
تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الأرض من فسادهم إنما
نعد لهم أيام آجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فإنه لم يبق لهم
إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم إلى الرحمن
إلى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شأن
ولعله لأن مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين
لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك
منتظرين لكرامتهم وإنعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم
إلى جهنم وردا عطاشا فإن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش أو كا
لدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيها للعباد المدلول
عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم إلا من اتخذ عند
الرحمن عهدا إلا من تحلى بما يستعد به ويستأهل أن يشفع للعصاة
من الإيمان والعمل الصالح على ما وعد الله أو إلا من اتخذ من الله
إذنا فيها كقوله لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن من
قولهم عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به ومحله الرفع على البدل

من الضمير أو النصب على تقدير مضاف أي إلا شفاعة من اتخذ
أو على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة
فيهم إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به أن يشفع له بالإ
سلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لأن هذا
لما كان مقولا فيما بين الناس جاز أن ينسب إليهم لقد جئتم
شيئا إدا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم
بالجرأة على الله والإد بالفتح والكسر العظيم المنكر والإدة
الشدة وأدني الأمر وآدني أثقلني وعظم علي تكاد السماوات وقرأ نافع
والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد أخرى وقرأ أبو عمرو
وابن عامر وحمزة وأبو بكر ويعقوب ينفطرن والأول أبلغ لأن
التفعل مطاوع فعّل والانفعال مطاوع فعَل ولأن أصل
التفعل للتكلف وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا تهد هدا أو
مهدودة أو لأنها تهد أي تكسر وهو تقرير لكونه إدا والمعنى
أن هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوس
لم تتحملها هذه الأجرام العظام وتفتتت من شدتها أو أن فظاعتها

مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا لمن تفوه
بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على
حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال
من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا
او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين
وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له او من دعا بمعنى نسب
الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ
ولدا لا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل
ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة
ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولي اصولها وفروعها
فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات
والارض اي ما منهم الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوي
اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد
احصيهم حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حيطة علمه
وقبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم وانفاسهم

وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيامة فردا منفردا
من الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولدا ولا
يناسبه ليشرك به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم
لاسبابها وعن النبي اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت
فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد
احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض
والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم
ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود في القيامة حين تعرض
حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل فانما
فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله
لتضمن يسرنا معنى انزلنا اي انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين
الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة آخذين
في كل لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر وانذر وكم اهلكنا
قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم هل تحس

منهم من احد هل تشعر منهم من احد او تسمع لهم ركزا وقرئ وتُسمع
من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفا ومنه ركز
الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله
من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد كل من كذب زكريا وصدق به
ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبيا المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في
الدنيا ومن لم يدع الله **سورة طه مائة وخمس وثلثون آية**

بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل
وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما الباقون
وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل
اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد
بقوله ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق
الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون
وقرئ طه على انه امر للرسول بان يطا الارض بقدميه فانه
كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طا فقلبت همزتها

ها او قلبت في يطا الف كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر
وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها
والالف مبدلة من الهمزة والها كناية الارض لكن يرد ذلك
كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطري
الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القران لتشقى
خبر طه ان جعلته مبتدا مقسما به ومنادى له ان جعلته
نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدا
او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القران
لتتعب بفرط تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ
او بكثرة الرياضة والتهجد والقيام على ساق والشقاء شائع
بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله
عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب
للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك
ديننا وان القران انزل عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا
وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون

بدلا من محل لتشقى به لاختلاف الجنس ولا مفعولا له لانزلنا فان ال
الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موضع الحال من
الكاف او القرآن او مفعول له لان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة
القرآن اي ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتشقى بتبليغه لمن يخشى
قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار ولمن علم الله منه انه يخشى
بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى او
على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا لا ان جعل مفعولا له لفظا
او معنى فلا لان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض
الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم
لشأن المنزل لعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي
هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم
وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى
وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات
وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل
منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته

علي ان

فقال

فقال الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما
في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته
وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم
عقب ذلك باحاطة علمه بجليات الامور وخفياتها على سواء
فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان تجهر بذكر الله
ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو
ضمير النفس فيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس
لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها
عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم انه لما ظهر بذلك
انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضيها
فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق صلة لتنزيلا
او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام و
تفخيم المنزل مرتين واسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم
الشأن ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه
على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا

شانه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبرائيل والملائكة النازلين
معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى
خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان
خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها والحسنى
تانيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها
على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتاك حديث موسى
قفى تمهيد نبوته بقصته ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة
والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل
اذ رأى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استأذن
شعيبا في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى و
الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة
وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى نارا من جانب الطور
فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفي القصص
بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها اني آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة
فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به لعلي آتيكم منها بقبس بشعلة من النار

دخيل

او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب
الدين فان افكار الابرار مائلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما
مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا
ولذلك حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على
النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال
سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتاها
اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى اني انا
ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسر الباقون باضمار القول
او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتأكيد والتحقيق قيل انه
لما نودي قال من المتكلم فقال اني انا الله فوسوس اليه ابليس
لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه
من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه تلقى من ربه
كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس
المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك
امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين

وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد الحمر غير مدبوغ وقيل
فرّغ قلبك من الاهل والمال انك بالواد المقدس تعليل بالاحترام البقعة
فان المقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للواد ونونه ابن عامر
والكوفيون بتاويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودى او
المقدس اى نودى نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك
للنبوة وقرا حمزة انا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى اليك
او للوحى واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله
الا انا فاعبدني بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد
الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل واقم الصلاة
لذكري خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها
وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها
في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا تشوبها
بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت او ذكر صلاتي لما روى انه قال
من نام عن صلاة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله يقول واقم
الصلاة لذكري ان الساعة آتية لا محالة فيها اكاد اخفيها



اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما في
الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد
اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره
لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير
فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة او عن الصلاة من
لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد
عنها كقوله لا يفتننكم نبه بذلك على ان فطرته السليمة لو
خليت بحالها لاختارها ولم تعرض عنها وانه ينبغي ان يكون
راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه
واتبع هواه ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة
فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك بالانصداد بصده وما
تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب بيمينك
حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير
لزيادة الاستيناس والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصيّ على لغة
هذيل اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس

القطيع واهش بها على غنمي واخبط الورق بها على رؤس غنمي
وقرئ اهُش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته
وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اى انحى عليها زاجرا لها
ولى فيها مآرب اخرى حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها على
عاتقه فعلق بها اداوته وعرض الزندين على شعبتيها والقى
عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشا وصله بها واذا تعر
ضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه ع فهم ان المقصود
من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا راها
بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة
للعادة مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصير دلوا عند الاستقاء
وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو ويشبع الماء بركزها وينب
ع بنزعها وتورق اذا اشتهى ثمرها فركزها علم ان ذلك آيات باهرة
ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها
فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصى
تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذى فهمه

قال القها يا موسى فالقاها فاذا هى حية تسعى قيل لما القاها انقلبت
حية صفرا بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا
تارة نظرا الى المبدا وثعبانا تارة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم
الذى يعم الحالين وقيل كانت فى ضخامة الثعبان وجلادة الجان
ولذلك قال كانها جان قال خذها ولا تخف فانه لما رآها حية
تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الاولى
هيئتها وحالتها الاولى وهى فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة
وانتصابها على نزع الخافض وعلى ان اعاد منقول من عاده بمعنى
عاد اليه او على الظرف اى سنعيدها فى طريقتها او بتقدير فعلها
اى سنعيد العصا بعد ذهابها سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت
تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمانت نفسه حتى ادخل
يده فى فمها واخذ بلحييها واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت
العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر استعارة من
جناحى الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج
بيضاء كانها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص

كما كنى بالسوء عن البرص لان الطباع تعافه وتنفر عنه آية أخرى
معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول بإضمار
خذ او دونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل
الآية او القصة اماد للنياتها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة
آياتنا او مفعول لنريك ومن آياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهذه الآيات
ثبتا الآيتين وادعه الى العبادة انه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان
يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي
لما ينزل عليه ويسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع
وفائدة لي ابهام المشروح والميسر اولا رفعه بذكر الصدر والامر
تأكيد ومبالغة واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فانما
يحسن التبليغ من البليغ وكانت في لسانه رتة من جمرة ادخلها
فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فأخذ لحيته ونتفها فغضب
وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت
فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبيض يده

كان

كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ
ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدك وقد عجزت
عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله
قد اوتيت سؤلك يا موسى ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله
ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه
مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا قولي جواب
الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة
احلل واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي يعينني على ما كلفتني به
اشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر
وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلتجئ اليه في اموره ومنه
الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى
مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا لقلبها في موازر ومفعولا
اجعل وزيرا وهرون وقدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال
او لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلي ولي
تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هرون

او مبتدأ اشدد به ازري واشركه في امري على لفظ الامر وقرأهما
ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جوابا الامر كي نسبحك كثيرا ونذكرك
كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير و
تزايده انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما
يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به قال قد اوتيت سؤلك
يا موسى سؤله مسؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز
والماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك في وقت اخر
اذ اوحينا الى امك بالهام او منام او على لسان نبي في وقتها
او ملك لا على وجه النبوة كما اوحينا الى مريم ما يوحى ما لا يعلم
الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام
به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي
بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله
وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله
بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى
الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز

مطيع

مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر
كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان
كان التابوت بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو لي وعدو له
جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار
الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت
قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه
الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان
وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر
به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا
شديدا كما قال والقيت عليك محبة مني اي محبة كائنة
مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك
احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن احبه
الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو
شاطئه لان الماء يسحله والتقط منه لكن لا يبعد ان
يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عيني ولتربى ويحسن

وانا راعيك ورقيبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك
او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع
بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب
وفتح التاء اي وليكون عملك على عيني مني لئلا تخالف به عن امري
اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان
المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه
كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره
فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت
بامه فقبل ثديها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك
كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن هي بفراقك او انت على فراقها
وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه
الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله
واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين
وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه
جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة

ويدرة

ويدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة
عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد
الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين
في اهل مدين لبثت عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على
ثمان مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك
غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او على مقدار من السن
يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه
على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما
خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت
واخوك باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر
التاء في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعا
الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به موسى اولا وحده وههنا اياه
واخاه فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع
بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان
تزكى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة

على أن يطغى عليكما أو احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل
كنياه وكان له ثلث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه
شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع إلا بالموت لعله يتذكر أو يخشى
متعلق باذهبا أو قولا أي باشرا الأمر على رجائكما وطمعكما ولا يخيب سعيكما
فإن الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في إرسالهما وا
لمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بأنه لا يؤمن إلزام الحجة
وقطع المعذرة وإظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات و
التذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الأول أي
إن لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى قالا
ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أن يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى
إتمام الدعوة وإظهار المعجزة من فرط إذا تقدم ومنه الفارط
وقرئ يفرط من أفرطته إذا حملته على العجلة
أي نخاف أن يحمله حامل من استكبار أو خوف على الملك أو شيطان
إنسي أو جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الإفراط في الأذية
أو أن يطغى أن يزداد طغيانا فيتخطى إلى أن يقول فيك ما لا

ينبغي

ينبغي لجرأته وقساوته وإطلاقه من حسن الأدب قال لا تخافا إنني
معكما بالحفظ والنصرة أسمع وأرى ما يجري بينكما وبينه من قول
وفعل فأحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما و
يجوز أن لا يقدر شيء على أن معناه إنني حافظكما سامعا ومبصرا و
الحافظ إذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فأتياه فقولا
إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل
أطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فإنهم
كانوا في أيدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور
أولادهم في عام دون عام وتعقيب الإتيان بذلك دليل على أن تخليص
المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان ويجوز أن يكون
للتدريج في الدعوة قد جئناك بآية من ربك جملة مقررة
لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وإنما وحد الآية
وكان معه آيتان لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا الإ
شارة إلى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم
ببينة فأت بآية أولو جئتكم بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى

وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في
الدارين لهم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى ان
عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد
والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع وبالواقع
اليق قال فمن ربكما يا موسى اي بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به
ولعله حذف لدلالة الحال عليه فان
المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالندا
لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه
فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا
الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء من الانواع
خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى
خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به تقدم المفعول الثاني
لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا
وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون
المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه

ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه
وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره
واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان
الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع
ما عداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله
ولذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف
الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم من بعدهم من
السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي اي انه غيب لا يعلمه
الا الله وانما انا عبد مثلكم لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب
مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه
بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى
والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلا تهتدي اليه والنسيان
ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم
بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة
الله بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص

المختلفة بأن ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الأشياء وجزئياتها
والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد أطرافهم
كيف أحاط علمه بهم وبأجزائهم وأحوالهم فيكون معنى الجواب أن
علمه محيط بذلك كله وأنه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي
جعل لكم الأرض مهداً مرفوع صفة لربي أو خبر لمحذوف أو منصوب
على المدح وقرأ الكوفيون هنا وفي الزخرف مهداً أي كالمهد تتمهدونها
أو ذا مهد وهو مصدر سمي به والباقون مهاداً وهو اسم ما يمهد كالفراش
أو جمع مهد ولم يختلفوا في الذي في النبأ وسلك لكم فيها سبلاً
وجعل لكم فيها سبلاً بين الجبال والأودية والبراري
تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها وأنزل من السماء ماء
مطراً فأخرجنا به عدل به من لفظ الغيبة إلى صيغة التكلم على الحكاية
لكلام الله تنبيهاً على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة
والحكمة وإيذاناً بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لمشيئته
وعلى هذا نظائره كقوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا
به ثمرات مختلفاً ألوانها أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم

من السماء ماء فأنبتنا به حدائق أزواجاً أصنافاً سميت بذلك لأنها مزدوجة
ومقترنة بعضها ببعض من نبات بيان أو صفة لأزواجاً وكذلك
شتى ويحتمل أن يكون صفة للنبات فإنه من حيث إنه مصدر في
الأصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى
أي متفرقات في الصور والأغراض والمنافع يصلح بعضها للناس
وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا أنعامكم وهو حال
من ضمير فأخرجنا على إرادة القول أي أخرجنا أصناف النبات
قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالأكل والعلف
آذنين فيه إن في ذلك لآيات لأولي النهى لذوي العقول الناهية
عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم
فإن التراب أصل خلقة أول آبائكم وأول مواد أبدانكم وفيها
نعيدكم بالموت وتفكيك الأجزاء ومنها نخرجكم تارة أخرى
بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة
ورد الأرواح إليها ولقد أريناه آياتنا بصرناه إياها أو عرفناه
صحتها كلها تأكيد لشمول الأنواع أو لشمول الأفراد على أن المراد

بآياتنا آيات معهودة هي الآيات التسع المختصة بموسى أو أنه ع أراه
آياته وعدد عليه ما أوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده
وأبى الإيمان والطاعة لعتوه قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا
أرض مصر بسحرك يا موسى هذا تحير وتعلل ودليل على أنه علم كونه
محقا حتى خاف منه على ملكه فإن ساحرا لا يقدر أن يخرج ملكا مثله
من أرضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا
وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا أنت فإن الإخلاف لا يلائم الزمان
والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فإنه موصوف
أو بأنه بدل من موعدا على تقدير مكان مضافا إليه وعلى هذا يكون طباق
الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فإن يوم الزينة
يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه ذلك اليوم أو بإضمار مثل مكان
موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الأول أو وعدكم وعد يوم الزينة
وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في أن المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا
يستوي مسافته إلينا وإليك وهو في النعت كقولهم قوم عدا [illegible]
وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء

ويوم

ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام وإنما عينه ليظهر الحق
ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار وأن
يحشر الناس ضحى عطف على اليوم أو الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء
على خطاب فرعون والياء على أن فيه ضمير اليوم أو ضمير فرعون على أن الخطاب
لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم أتى
أي أتى الموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بأن
تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستأصلكم به
وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب فيسحتكم ورويس بالضم
من الإسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب
من افترى كما خاب فرعون فإنه افترى واحتال ليبقى الملك عليه
فلم ينفعه فتنازعوا أمرهم بينهم أي تنازعت السحرة في أمر موسى
حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة و
أسروا النجوى بأن موسى إن غلبنا اتبعناه أو تنازعوا واختلفوا
فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون
وقومه وقوله قالوا إن هذان لساحران تفسير لأسروا النجوى

كأنهم تشاوروا في تلفيقه حذرا أن يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم
إن على لغة بلحارث بن كعب فإنهم جعلوا الألف للتثنية وأعربوا
المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها
وقيل إن بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما أن اللام لا تدخل خبر
المبتدأ وقيل أصله إنه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه أن المؤكد
باللام لا يليق به الحذف وقرأ أبو عمرو إن هذين وهو ظاهر وابن
كثير وحفص إن هذان على أنها هي المخففة واللام هي الفارقة أو النافية
واللام بمعنى إلا وشدد ابن كثير نون هذان يريدان أن يخرجاكم من
أرضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم
الذي هو أفضل المذاهب بإظهار مذهبهما وإعلاء دينهما لقوله إني أخاف
أن يبدل دينكم وقيل أرادوا أهل طريقتكم وهم بنو إسرائيل فإنهم كانوا أرباب
علم فيما بينهم لقول موسى أرسل معنا بني إسرائيل وقيل الطريقة اسم
لوجوه القوم وأشرافهم من حيث إنهم قدوة لغيرهم فأجمعوا كيدكم
فأزمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرأ أبو عمرو فاجمعوا
ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا إن كان للسحرة فهو قول

لبعضهم

بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لأنه أهيب في صدور الرائين
قيل كانوا سبعين ألفا مع كل واحد حبل وعصا وأقبلوا عليه إقبالة واحدة
وقد أفلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض
قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى أي بعد ما أتوا
مراعاة للأدب وأن بما بعدها منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبر محذوف وتقديره
اختر إلقاءك أولا أو إلقاءنا أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا قال
بل ألقوا مقابلة أدب بأدب وعدم مبالاة بسحرهم وإسعافا إلى ما
أوهموا من الميل إلى البدء بذكر الأول في شقهم وتغيير النظم إلى
وجه أبلغ ولأن يبرزوا ما معهم ويستنفدوا أقصى وسعهم ثم
يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى أي فألقوا فإذا
حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق أنها أيضا ظرفية تستدعي متعلقا
ينصبها وجملة تضاف إليها لكنها خصت بأن يكون المتعلق فعل
المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخييل
سعي حبالهم من سحرهم وذلك بأنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت

عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان
وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى
منه بدل الاشتمال وقرئ تخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس
في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجاته على ما هو مقتضى
الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما
توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف
وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على
الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك
تحقيرا لها اي لا تبال بكثرتهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك
او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو
اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله واصله
تتلقف فحذفت احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التانيث والخطاب
على اسناد الفعل الى المسبب وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع
على الحال او الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من
لقفته بمعنى تلقفته [illegible] انما صنعوا ان الذي

زوروا

زوروا وافتعلوا كيد سحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو
مفعول صنعوا وقرا حمزة والكسائي كيد سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر
سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم
فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال
ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج
يوم ترى النفوس ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت كانه قيل
ان ما صنعوا كيد سحري حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقي السحرة
سجدا اي فالقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما
هو من ايات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله
توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا امنا برب هرون وموسى
قدم هرون لكبر سنه او لروي الاية او لان فرعون ربى موسى في صغره
فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره لربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون
على الاستتباع روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها
قال امنتم له اي لموسى واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع وقرا قنبل و
حفص امنتم على الخبر والباقون على الاستفهام قبل ان اذن لكم

في الايمان له انه لكبيركم لمعلمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي
علمكم السحر وانتم تواطاتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدا من مخالفة
العضو العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اي لاقطعنها
مختلفات ولاصلبنكم في جذوع
النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من
صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله امنتم له واللام مع الايمان
في كتاب الله تعالى لغير الله اي اذ به نوضيح هو لمن او الهوا به فانه لم يكن
من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي امنوا به اشد عذابا وابقى
ابقى عذابا وعقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به
من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا
عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه
او حاكم به انما تقضي هذه الحياة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم ما تراه
في هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد
لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا انا آمنا

بربنا

بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه
من السحر في معارضة المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما
فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل
سحره فابى الا ان يعارضوه والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى
عقابا انه ان من يات ربه مجرما بان يموت على كفره وعصيانه
فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة مهنأة ومن ياته مؤمنا
قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة
جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من
تزكى تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والآيات الثلاث يحتمل ان
تكون من كلام السحرة وان يكون ابتداء كلام من الله ولقد اوحينا
الى موسى ان اسر بعبادي اي من مصر فاضرب لهم طريقا في البحر
فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن
اذا عمله يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا
كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس

للتي جف لبنها وقرئ يبساً وهو إما مخفف منه أو وصف على فعل أو جمع
يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كأن قتود رحلي حين
ضمت حوالب غرزاً ومعى جياعاً أو لتعدده معنى فإنه جعل لكل سبط
منهم طريقاً لا تخاف دركاً حال من المأمور أي آمناً من أن يدرككم العدو
أو صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على أنه جواب
الأمر ولا تخشى استئناف أي وأنت لا تخشى أو عطف عليه والألف
فيه للإطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا أو حال بالواو و
المعنى ولا تخشى الغرق فأتبعهم فرعون بجنوده وذلك أن موسى خرج
بهم أول الليل فأخبر فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون
نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فأتبعهم بمعنى فاتبعهم
ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فأتبعهم
جنوده وذادهم خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده
أو له ولهم وفيه مبالغة ووجازة أي غشيهم ما سمعت قصته
ولا يعرف كنهه إلا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم أي غطاهم ما
غطاهم والفاعل هو الله أو ما غشاهم أو فرعون لأنه الذي ورطهم

للهلاك

وأضل فرعون قومه وما هدى أي أضلهم في الدين وما هداهم وهو
تهكم به في قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد أو أضلهم في البحر وما نجا
يا بني إسرائيل خطاباً لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون وقومه
على إضمار قلنا أو للذين منهم في عهد النبي بما فعل بآبائهم قد
أنجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور الأيمن
لمناجاة موسى وإنزال التوراة عليه وإنما عدى المواعدة إليهم وهي
لموسى أو له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن و
السلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه أو حلاله
وقرأ حمزة والكسائي أنجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ
ووعدتكم ووعدناكم والأيمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب
ولا تطغوا فيه أي فيما رزقناكم بالإخلال بشكره والتعدي لما حد
الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي
فيلزمكم عقوبتي ويجب لكم من حل الدين إذا وجب أداؤه ومن يحلل
عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ
الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل إذا نزل وإني لغفار لمن تاب

عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام
على الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة
يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال
القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم
جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة
لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها
الرفقة بعضها عن بعض وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة
الى امتثال امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك قال فانا قد فتنا
قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم
وهم الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة
العجل منهم الا اثنى عشر الفا واضلهم السامري باتخاذ العجل و
الدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالا لانه كان
ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين
ليلة وحسبوها بايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان
امر العجل فان هذا الخطاب كان عند مقدمه اذ ليس في الآية

ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع
على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيئته
والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل
كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان
منافقا فرجع موسى الى قومه بعد ما استوفى الاربعين واخذ التوراة
غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم
وعدا حسنا بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور افطال عليكم
العهد اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب
عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة فاخلفتم موعدي
وعدكم اياي بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم
به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم
الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب
على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم لم قالوا
ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا
ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا با
لفتح

والكسائي بضمها وثلاثتها لغات في الاصل في مصدر ملكت الشيء
ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا من حلي القبط التي
استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا
لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هي
ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها
اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا
مستامنين وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي فقذفناها اي في النار
فكذلك القى السامري اي ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا ان العدة
قد كملت قال السامري انما اخلفتم ميعادكم لما معكم من حلي القوم
وهو حرام عليكم فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف
كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وروح
حملنا بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة
له خوار صوت العجل فقالوا يعني السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا
الهكم واله موسى فنسي اي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور
او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من اظهار الايمان افلا يرون

افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد
عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة
لا تقع بعد افعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر
على انفاعهم واضرارهم ولقد قال لهم هارون من قبل من قبل رجوع
موسى او قول السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع
من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان
ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا امري في الثبات على الدين قالوا
لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع
الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول قال يا هارون اي قال له
موسى لما رجع ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعني
ان تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تاتي عقبي و
تلحقني ولا مزيدة كما في ما منعك ان لا تسجد افعصيت امري با
لصلابة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام استعطافا
وترقيقا لانه وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا
من اب وام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي بشعر راسي فقبض عليهما يجره اليه

شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان موسى عليه السلام خشنا متصلبا في كل شيء
فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل
لو قاتلت أو فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي
وأصلح فإن الإصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم إلى أن ترجع
إليهم فتدارك الأمر برأيك قال فما خطبك يا سامري أي ثم أقبل
عليه وقال له منكرا ما خطبك أي ما طلبك له وما الذي حملك
عليه والخطب مصدر خطب الشيء إذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به وقرأ
حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب أي علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم
تفطنوا وهو أن الرسول الذي جاءك على فرس الحياة قيل إنما عرفه
لأن أمه ألقته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبرائيل يغذوه
حتى استقل فقبضت قبضة من أثر الرسول أي من تربة موطئه والقبضة
المرة من القبض وأطلق على المقبوض كضرب الأمير وقرئ بالصاد
والأول للأخذ بجميع الكف والثاني للأخذ بأطراف الأصابع
ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبرائيل ولعله لم يسمه لأنه لم يعرف
أنه جبرائيل أو أراد أن ينبه على الوقت وهو حين أرسل إليه ليذهب به

إلى الطور

إلى الطور فنبذتها في الحلي المذاب أو في جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت
لي نفسي زينته وحسنته لي قال فاذهب فإن لك في الحياة عقوبة على
ما فعلت أن تقول لا مساس خوفا أن يمسك أحد فتأخذك الحمى
ومن مسك فتحامى الناس وتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي
النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وإن لك موعدا في الآخرة
لن تخلفه لن يخلفكه الله وينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك في
الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام أي لن تخلف الواعد إياه
وستأتيه لا محالة فحذف المفعول الأول لأن المقصود هو الموعد ويجوز
أن يكون من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على
حكاية قول الله وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا ظلت
على عبادته مقيما فحذف اللام الأولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء
على نقل حركة اللام إليها لنحرقنه أي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه
أو بالمبرد على أنه مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد ويعضده قراءة
لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا أو مبرودا وقرئ بضم السين
في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة
عقوبته

واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى تفطن انما الهكم المستحق لعبادتكم
الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم
والقدرة وسع كل شي علما وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل
الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ
وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في
المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى مفعولين
صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة
موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية
والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها
وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد اتيناك من لدنا ذكرا كتابا
مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار
والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من
اعرض عنه عن الذكر الذي هو القران الجامع لوجوه السعادة
والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة
فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب

وصعو

وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما
خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل
على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيمة حملا اي بئس لهم ففيه
ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم
واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير
الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم
ينفخ في الصور وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الامر تعظيما
له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل
وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد
سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا
زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها
الى العرب لان الروم اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا في
صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا
فان حدقة الاعمى تزرق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما
يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه

ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها
او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا الشدائد
وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات
او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الاية نحن اعلم بما يقولون
وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رايا او عملا ان لبثتم
الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسألونك
عن الجبال عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها
ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر
مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله
ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كان اجزاءها
على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان
تاملت فيها بالمقياس الهندسي وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان
باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر
وهو يخص بالمعاني والامت النتو اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين
للحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت

النفخ ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة يتبعون الداعي
داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس
فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت
الاصوات للرحمن وخفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا
ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم
ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له
الرحمن الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن له او من اعم
المفاعيل اي الا من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه
فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية وان
يحتمل الا يكون من الاذن ومن الاذان ورضي له قولا اي رضي لمكانه
عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شانه
او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال
وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط
علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او
لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه

وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى
في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه
المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل
ظلما وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم
ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط
في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما وقرا ابن كثير فلا
يخف بجزم الفاء بغير الف بمنع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا
كسرا منه لنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه
وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل
ذلك الانزال او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد
انزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين
فيه آيات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة
او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها
ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن
فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه
كلامهم

كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق
بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوتيته يستحقه لذاته او الثابت
في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه
نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة
حتى يتم وحيه وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه
بعده كل لا تستطلع الا انزال على سبيل الاستطراد وقل رب زدني
علما اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك
تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه يقال تقدم الملك
اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب
قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد
للدلالة على ان اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ
في النسيان من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به
حتى غفل عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة ولم
نجد له عزما تصميم رأي وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة
وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان

في بدء أمره قبل أن يجرب الأمور ويذوق شريها وأريها وعن النبي لو
وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله ولم نجد له
عزما وقيل عزما على الذنب لأنه أخطأ ولم يتعمده ونجد إن كان من
الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وإن كان من الوجود
المناقض للعدم فله حال من عزما أو متعلق بنجد وإذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا مقدر باذكر أي اذكر حاله في ذلك
الوقت ليتبين لك أنه نسي ولم يكن من أولي العزيمة والثبات
إلا إبليس قد سبق القول فيه أبى جملة مستأنفة لبيان ما منعه
من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود
المدلول عليه بقوله فسجدوا لأن معناه أظهر الإباء عن المطاوعة
فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن
سببا لإخراجكما والمراد نهيهما عن أن يكونا بحيث يتسبب الشيطان
إلى إخراجهما من الجنة فتشقى أفرده بإسناد الشقاء إليه بعد إشرا
كهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائها شقاءه من حيث إنه قيم عليها
ومحافظة على الفواصل أو لأن المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش

وذلك

وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله إن لك ألا تجوع فيها ولا
تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فإنه بيان وتذكير لما له في الجنة
من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة
والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل أعواضها عسى
أن تنقطع وتزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه بأصناف الشقوة
المحذر منها والعاطف وإن ناب عن إن لكنه ناب من حيث إنه
عامل لا من حيث إنه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على أن
امتناع دخول إن عليه وقرأ نافع وأبو بكر وإنك بالكسر
والباقون بفتحها فوسوس إليه الشيطان فأنهى إليه وسوسته
قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد الشجرة التي من أكل منها
خلد ولم يمت أصلا فأضافها إلى الخلد وهو الخلود لأنه سببه
بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فأكلا منها فبدت لهما
سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة أخذا يلزقان
الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه بأكل
الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل

الكيخين او عن المامور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو
وقيل فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالـ
عصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده
عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق
له من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها
واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى
الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا
الخطاب لآدم وحواء او له ولابليس ولما كانا اصل الذرية خاطبهما
مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو لامر المعاش كما عليه الناس
من التجاذب والتحارب او لاضلال بعض من النوعين بوسطه
الاضل يؤيد الاول قوله فاما يأتينكم مني هدى كتاب ورسول
فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض
عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له معيشة
ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث
وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره

تكون

تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها
بخلاف المؤمن الطالب للاخرة مع انه قد تضيق بشؤم الكفر
ويسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة
ولو انهم اقاموا التورية والانجيل ولو ان اهل القرى امنوا الآية
وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ
بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له
معيشة لانه جواب الشرط يوم القيامة اعمى اعمى البصر او القلب ويؤيد
الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد اماله ما
حمزة والكسائي لان الالف منقلبة من الياء وفخم ابو عمرو في الاول لكونه
محل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت
ثم فسر فقال اتتك اياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها
وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك اياها اليوم تنسى تترك
في العمى والعذاب وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات
والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها
ولعذاب الاخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار او الكفار

يعذبه الله أشد وأبقى من ضنك العيش أو منه ومن العمى ولعله
إذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات
والكفر بها أفلم يهد لهم مسند إلى الله أو الرسول أو ما دل
عليه كم أهلكنا قبلهم من القرون أي إهلاكنا إياهم أو الجملة
بمضمونها والفعل على الأولين معلق يجري مجرى أعلم ويدل
عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون آثار هلا
كهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى لذوي العقول الناهية
عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير
عذاب هذه الأمة إلى الآخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد
وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به أو اسم آلة سمي به اللازم
لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم وأجل مسمى عطف على كلمة
أي ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم وهو
يوم القيامة أو يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على
استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن
في كان أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له فاصبر على ما يقولون

وسبح

وسبح بحمد ربك وصل وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه
أو نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون إليه من النقائص حامدا
له على ما ميزك بالهدى معترفا بأنه المولي للنعم كلها قبل
طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لأنهما
في آخر النهار أو العصر وحده ومن آناء الليل ومن ساعاته جمع
إني بالكسر والقصر وأناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء
وإنما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فإن القلب
فيه أجمع والنفس أميل إلى الاستراحة فكانت العبادة فيه أحمز
ولذلك قال الله تعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا
وأطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب إرادة الا
ختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالتباس كقوله ظهراهما
مثل ظهور الترسين أو أمر بصلاة الظهر فإنه نهاية النصف الأول
من النهار وبداية النصف الثاني وجمعه باعتبار النصفين
أو لأن النهار جنس أو بالتطوع في أجزاء النهار لعلك ترضى
متعلق بسبح أي سبح في هذه الأوقات طمعا أن تنال عند الله

بما به ترضى نفسك وقرأ الكسائى وابو بكر بالبنا للمفعول اى يرضيك ربك
ولا تمدن عينيك اى نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا
ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون
من الضمير فيه والمفعول منهم اى الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم
وناسا منهم زهرة الحياة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا
او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا
بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهى الزينة والبهجة وقرأ يعقوب با
لفتح وهى لغة كالجهرة فى الجهر او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا
الدنيا لتنعمهم وبها زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم
فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم فى الاخرة بسببه ورزق
ربك وما ادخر لك فى الاخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة
خير مما منحهم فى الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وامر اهلك با
لصلوة امر بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلاة
بعد ما امر بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا
يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر

عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك واهلك
نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة والعاقبة المحمودة
للتقوى لذوى التقوى روى انه عم اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة
وتلا هذه الاية وقالوا لولا يأتينا باية من ربه باية تدل على صدقه
فى ادعاء النبوة او باية مقترحة انكارا لما جاء به من الايات او للا
عتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذى هو ام
المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص
مدعى النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك
ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا وكذا ما كان من
هذا القبيل ونبههم على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا
الباب فقال اولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى من التورية والا
نجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها
من العقائد والاحكام الكلية مع ان الاتى بها امى لم ير الكتب من
حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هى مفتقرة الى ما يشهد
على صحتها وقرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بالتاء والباقون

بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد بها القرآن
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل بالقتل
والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقرئ بالبناء للمفعول
قل كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا
وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السوا
اي الوسط الجيد والسوء والسوأى والسوي وهو تصغير السوء ومن اهتدى
من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء
ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون
معطوفة على محل الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم
بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي عم
عن النبي عم من قرا طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين سورة

الانبياء مكية وهي مائة واثنا عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله

انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما
انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد للاضافة واصله
اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم
وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون
اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير
ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما ياتيهم من ذكر
ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفته لذكر او صلة
لياتيهم محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ
بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزئون به
يستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في
الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك
لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهي
والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت
بالرفع على انه خبر آخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها

بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو واسروا للايماء بانهم
ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة
المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه
تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر
مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من
النجوى او مفعولا لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه
في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا
منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا
به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة
قال ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا
فهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك
اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرأ حمزة والكسائي و
حفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى عليه
ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو
شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى

…ترية ثم انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية
…للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول وما ظهر
…ايات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة
…عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه
…اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى
…معاني لا حقيقة لها ويرغب فيها ويجوز ان يكون الكل
…تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من
…لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول
…هو ابعد من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة
…الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم
…رسول الله نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو
…كونه مخيلا لانه يجانسه من حيث انهما من المخيلات و
…باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل
اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه
…ان الارسال يتضمن معنى الاتيان بالاية ما آمنت

بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو واسروا للد
ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتد
المتقدمة خبره واصله وهولاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه
تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر
مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بد
النجوى او مفعولا لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا
في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا و
منه ان ما جاء به من الخوارق كالقران سحر فانكروا حضوره وانما
به تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس ع
قال ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا عما ا
فهو اكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض و
اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرا حمزة والكسا
حفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى
ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو
شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم ا

انه كلام افتريه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية
والابتداء بالاخرى او للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول وما ظهر
عليه من الايات الى تقاولهم في امر القران والثانية والثالثة
لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه
مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى
السامع معاني لا حقيقة لها ويرغب فيها ويجوز ان يكون الكل
من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من
كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول
الشعراء وهو ابعد من كونه اضغاثا لانه مشتمل على مغيبات كثيرة
طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم
جربوا رسول الله نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو
ابعد من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق و
فلياتنا باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل
اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه
من حيث ان الارسال يتضمن معنى الاتيان بالاية ما امنت

قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الآيات لما جاءتهم افهم
يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان
بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب
الاستئصال كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم يأمرهم ان
يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة لتزول عنهم الشبهة
والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في
امر النبي ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم
وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا لا
يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك
عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم
ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين تاكيد وتقرير له
فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد
الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف
او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء

والهواء

والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء
واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء
يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة ممن سيؤمن هو او احد من
ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال واهلكنا
المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني
القرآن فيه ذكركم صيتكم لقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم
او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون
وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم
الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها
لما اقيمت مقامه وانشأنا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما آخرين
مكانهم فلما احسوا بأسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد
المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون
مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم
لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما
بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثم من المؤمنين

وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة
ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون
فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور
في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما راوا العذاب
ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى
اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فوضع
السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء وقالوا ذلك
فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى
لان المولول كأنه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل
من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا
مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين
من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته
حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود
او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما
بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة
للنظار

و

انبياء

وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش
فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها
سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه
من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من
المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع
السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد
بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ان كنا فاعلين
ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة
كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ
اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل من شاننا ان نغلب الحق
الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو
فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي
البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ
بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله
به ومبالغة فيه ومن ثمة قبل القمه بالنقض كقوله [illegible]

لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف
على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق وذكره لترشيح المجاز
ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع
الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من
في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين
منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف
على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه او المراد
به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السما والارض او مبتدا
خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا
يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها
على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا
يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون
حال من الواو في يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا
آلهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة لآلهة
او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون

التخصيص

التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم من ادعائهم
لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات
والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير
الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول
ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة
فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها
على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه
متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا
لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت
في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه
فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل
التدابير ومنشأ التقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة
والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده با
لالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون لانهم مملوكون

مستعظماً لكفرهم واستفظاعاً لأمرهم وتبكيتاً وإظهاراً لجهلهم أو ضماً لإنكار ما يكون لهم سنداً من النقل إلى إنكار ما يكون لهم دليلاً من العقل على معنى أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الألوهية أو وجدوا في الكتب الإلهية الأمر بإشراكهم فاتخذوهم متابعة للأمر ويعضد ذلك أنه رتب على الأول ما يدل على فساده عقلاً وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلاً قل هاتوا برهانكم على ذلك إما من العقل أو من النقل فإنه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلاً ونقلاً هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك لما لا يتوقف على صحته بعثة الرسل وإنزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي أمته ومن قبلي الأمم المتقدمة وإضافة الذكر إليهم لأنه عظتهم وقرئ بالتنوين والإعمال وبه وبمن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد بل أكثرهم لا يعلمون الحق لا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع

على

على أنه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسول من أجل ذلك وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فإن ذكر من قبلي من حيث إنه خبر لاسم الإشارة مخصوص بالموجودين بين أظهرهم وهي الكتب الثلاثة وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي إليه بالنون والباقون بالياء وفتح الحاء وقالوا اتخذ الرحمن ولداً نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث إنهم مخلوقون وليسوا بأولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئاً حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين وأصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق إليه وإليهم وجعل القول محله وأداته تنبيهاً على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وأنيب اللام عن الإضافة اختصاراً وتجافياً عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته أسبقه وهم بأمره يعملون لا يعملون قط ما لم يأمرهم به

يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا
وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك
يضبطون انفسهم ويتقون اعمالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان
يشفع له مهابة منه وهم من خشيته عظمته ومهابته مشفقون
مرتعدون واصل الخشية خوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء
والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان
عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة اني اله
من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك
عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية
كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية او
لم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرا ابن كثير بغير واو ان السموات والارض
كانتا رتقا ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة
ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون
واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات واقاليم
وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر

ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا
وجمعها باعتبار الآفاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا في
الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به
نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط
او باستفسار من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل
كن لان المراد جماعة السموات والارض وقرئ رتقا على تقدير شيئا رتقا
اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا
من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه
من اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه
او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة
كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون
مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسى اذا
ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميد بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد
فحذف لا لامن الالتباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا
سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير

حالا فيدل على انه حين خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل
ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد
لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن
الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته
او استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها احوالها الدالة على وجود الصانع
ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث
عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي
خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات كل في
فلك اي كل واحد منهما فالتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك
الجنس كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع
السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما
بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلا
لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم
الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قول القائل فقل
للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق الشرط

بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما قرره كل نفس ذائقة الموت ذائقة
مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم
معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر
من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسبما يوجد منكم من الصبر و
الشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب
والعقاب تقريرا لما سبق واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك
الا هزوا ما يتخذونك الا مهزوا به ويقولون اهذا الذي
يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا
يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث
الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن هم كافرون منكرون
فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص وحيلولة
الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه خلق منه لفرط
استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع
عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه ولذلك قيل
انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد

وانما نهاهم عن الاستعجال ... حين استعجل سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا
كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها
والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون
متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيامة ان كنتم صادقين
يعنون النبي واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم
النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول
يعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا وهو
حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا
يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك معدى بعلم ويضمر
لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون بطلان ما عليهم
حين لا يكفون وانما وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اوجب
لهم ذلك بل تأتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجأة مصدر او
حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان
بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها لان
الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون

للنار او للبغتة ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا
ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله ﷺ فحاق بالذين سخروا
منهم ما كانوا به يستهزئون وعد له بان ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق
بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه قل يا محمد للمستهزئين
من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه ان اراد بكم وفي
لفظ الرحمن تنبيه على انه لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بها
مهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا
بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم
آلهة تمنعهم من دوننا بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا
او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على
الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد
لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون
استئناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه
نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم
العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج

والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار وعن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم
ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم
فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما
يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة
ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه
الله تعالى على ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول الله والمؤمنين قل
انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ
ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبي وقرئ بالياء على ان
فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة
على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون
منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او
للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه
مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل
النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك
من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين

لدعوا

لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين
القسط العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين
تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل
وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيمة
لجزاء يوم القيمة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من
الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقه او من الظلم وان كان
مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل او الظلم مثقال حبة
ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناها وقرئ
اتينا بمعنى جازينا بها من الثواب وجئنا وانث ضمير المثقال لاضافته
الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا
ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين
اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء
يستضاء به في ظلمات الحيرة وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو
على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين
او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول

وهم من الساعة مشفقون خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم
عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن مبارك كثير خيره
أنزلناه على محمد أفأنتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا
إبراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح وإضافته ليدل على أنه
رشد مثله وأن له شأنا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل
موسى وهرون وقيل من قبل محمد وقيل من قبل استنبائه أو بلوغه
حين قال إني وجهت وكنا به عالمين علمنا أنه أهل لما آتيناه أو
جامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الخصال وفيه إشارة إلى أن
فعله تعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات إذ قال لأبيه
وقومه متعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده
وقت قوله ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ
على إجلالها فإن التمثال صورة لا روح فيه ولا تضر ولا تنفع
واللام للاختصاص لا للتعدية فإن تعدية العكوف بعلى
والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها ويجوز أن يؤول بعلى أو يضمن
العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم

وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم
عليها قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون في سلك
ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين إلى دليل والتقليد
إن جاز فإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على الحق قالوا أجئتنا بالحق
أم أنت من اللاعبين كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا أن
ما قاله إنما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أجاد أنت فيما تقوله أم
تلعب به قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن إضراب عن كونه
لاعبا بإقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والأرض أو
للتماثيل وهو أدخل في تضليلهم وإلزام الحجة عليهم وأنا على
ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين من المحققين له
والمبرهنين عليه فإن الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله
وقرئ بالله وهي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها
تعجب لأكيدن أصنامكم لأجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء
من التعجب لصعوبته وتوقفه على نوع من الحيل بعد أن تولوا عنها
مدبرين إلى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا

قطاعا فعالا بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي

بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا

جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه

وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا

يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله

بل فعله كبيرهم فيحجهم او انهم يرجعون الى الكبير فيسالونه عن كاسرها

اذ من شان المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او

الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا

من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة

بالاعظام او بافراطه في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا

سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع

او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة الذكر

اليه يقال له ابراهيم هو ابراهيم وارتفاعه بالفعل لان المراد به

الاسم قالوا فأتوا به على اعين الناس مرئيا منهم بحيث يتمكن صورته

في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله او قول

او يحضرون عقوبتنا له قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم حين احضر

قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل

اليه تجوزا لان غيظه لما راى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته

اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضي

كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق أأنت كتبت

هذا فقلت بل كتبته او كانه لما راى من مذهبهم جوازه وقيل انه في

المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى

ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدا وخبر ولذلك وقف على فعله

وما روي انه قال لابراهيم ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت

صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا

فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة

ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين

ثم نكسوا على رؤوسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة

شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا على اعلاه

وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء

ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول قال افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد
اعترافهم بانها جمادات لا ينفع ولا يضر فانه ينافي الالوهية اف لكم
ولما تعبدون من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين
واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له افلا
تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة
حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا الهتكم بالانتقام لها ان
كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل
من اكراد فارس اسمه هينون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار
كوني بردا وسلاما ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات
جعل النار المسخرة لقدرته مامورة مطيعة واقامة كوني ذات
برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم بنوا
حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا
فرموا به فيها فقال له جبرئيل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا

فقال

فقال سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركته قوله
الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من
الصرح فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن
ابراهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء
طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذا من
معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى
في السمندر ويشعر به قوله على ابراهيم وارادوا به كيدا مكرا في اضراره
فجعلناهم الاخسرين من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا
على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم
اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا
فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات
والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب
روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهو حال منهما او

ولد ولد زيادة على ما سال وهو الحفيد فتختص بيعقوب ولا باس به
للقرينة وكلا يعني الابنين جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح
وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون
الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين
واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل
الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذلك قوله واقام
الصلاة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة
المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وايتاء الزكاة و
كانوا لنا عابدين موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم
الصلاة ولوطا اتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم
وعلما بما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه من القرية قرية سدوم التي
كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها
اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا
قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل
رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى

ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل من قبل المذكورين
فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان
او اذى قومه والكرب الشديد ونصرناه مطاوع انتصر جعلنا
منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فا
غرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في
الشر ولم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود وسليمان اذ
يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في الكرم تدلت عناقيده اذ نفشت
فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين
والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى
وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان
وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما امر بدفع الغنم الى
اهل الحرث فينتفعون بالبانها واولادها والحرث الى اربابها يقومون
عليه حتى يعود كما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا والاول
نظير قول ابي حنيفة رضي الله في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي
بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند

الشافعي رح وجب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا
ولذلك قضى النبي عم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال
على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل
وعند الحنفي لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عم جرح العجماء
جبار وكلا آتينا حكما وعلما دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح
فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله ففهمناها
ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل
عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه
اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها وقيل يسرن
معه من السياحة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير ومع
متعلقة به او بيسبحن والطير عطف على الجبال او مفعول معه
وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين
لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس
لكم عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها
قيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلم او صفة للبوس

لتحصنكم من بأسكم بدل اشتمال من لكم باعادة الجار والضمير لداود
او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على
تاويل الدرع وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله تعالى فهل انتم شاكرون
ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع
ولسليمان الريح وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان
الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال
والطير مع داود وبالاضافة اليه عاصفة شديدة الهبوب من حيث
انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها
وكانت رخاء طيبة في نفسها وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى
حسب ارادته تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى
او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا
بعد ما سارت به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه
الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسها
ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة
ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزن ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن

والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل وكنا لهم حافظين أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ما هو
مقتضى جبلتهم وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر بأني مسني الضر
وقرئ بالكسر على إضمار القول أو تضمين النداء معناه والضر بالفتح
شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال وأنت أرحم
الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها و
اكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من
ولد عيص بن إسحق استنبأه الله وكثر أهله وماله فابتلاه
الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه
ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات.
وروي أن امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف أو رحمة بنت افراثيم بن يوسف
قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين
سنة فقال أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فا
فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله
ومثلهم معهم بأن ولد له ضعف ما كان أو أحيي ولده وولد له

منهم

منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين على أيوب وتذكرة لغير
من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب أو لرحمتنا العابدين فإنا
نذكرهم بالإحسان ولا ننساهم وإسماعيل وإدريس وذا الكفل
يعني إلياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لأنه كان ذا حظ من الله أو
تكفل أمته أو ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء
بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل أي كل هؤلاء من الصابرين على
مشاق التكاليف وشدائد النوب وأدخلناهم في رحمتنا يعني
النبوة أو نعمة الآخرة إنهم من الصالحين الكاملين في الصلاح
وهم الأنبياء فإن صلاحهم معصوم عن كدر الفساد وذا النون
وصاحب الحوت يونس بن متى إذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم بطول
دعوتهم وشدة شكيمتهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم با
لعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذبهم
وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم
بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن أن لن
نقدر عليه لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر وتعضده



انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا فقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن
ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية
سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء
للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة
او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا
له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه
وقيل ثلاثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين
من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام نجي ولذلك اخفى الجماعة
النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد
الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء
في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي
لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف
اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى تحرزا عن

اللبس وقيل هو ماض مجهول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا اذ
نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين
فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى
واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين
خلقها وكانت حردة انهم يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء
كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا رغبا
ورهبا ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او الطاعة
وخائفين العقاب او المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين او ذوي
الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي
احصنت فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى
اي احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من
الروح الذي هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبرئيل وجعلنا
ها وابنها اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله آية للعالمين
فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع ان هذه امتكم
ان ملة التوحيد او الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا

عليها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبيا ولا مشاركة في غيرها
في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر
وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون
لا غيري فتقطعوا امرهم بينهم صرف الى الغيبة التفاتا لينعى على
الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح فعالهم
الى غيرهم كل الينا من الفرق المتحزبة راجعون فنجازيهم فمن يعمل
من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه فلا
تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي
الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع
بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرا
ابو بكر وحمزة والكسائي وحرم بكسر الحاء واسكان الراء اهلكناها
حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة
او الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدا خبره حرام
او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم
بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اي وحل

عليها ذاك وهو المذكور في الاية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام
عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج متعلق بحرام
او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك
او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد ياجوج
وماجوج وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية
وقرا ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعني ياجوج وماجوج
او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون
يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق
وهو القيامة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا
للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت
معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير للقصة او مبهم
يفسره الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من
الموصول قد كنا في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين
لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون
من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم

فحكم عليهم بما ذكر فقال له ابن الزبعرى
قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا
المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين
التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وعلى
هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روى
ان ابن الزبعرى قال اهذا شيء لالهتنا خاصة او لكل ما عبد من دون
الله فقال بل لكل ما عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا
للتجوز او للتخصيص تاخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها
وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد
وصفا بالمصدر انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم
واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم
لاجلها لو كان هؤلاء الهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب
لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير
انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب
ان اريد بما تعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة
العذاب

وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي
السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها مبعدون
لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا رضي الله عنه قرا هذه الاية ثم قال انا
منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد
الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول
لا يسمعون حسيسها وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة
في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون
دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم
الفزع الاكبر النفخة الاخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور ففزع من
في السماوات ومن في الارض او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار
او يذبح الموت وتتلقاهم الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا
يومكم الذي فيه ثوابكم وهو مقدر بالقول كنتم توعدون في الدنيا
يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال
مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والطي ضد النشر
او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة

بقوله فاذا انتقلوا خرجت عنهم وقرئ بالياء وبالتاء والبناء للمفعول
كطي السجل للكتب للكتاب طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب
فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني
الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت
اليه او كاتب كان لرسول الله وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل
وهما لغتان فيه كما بدانا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقنا
مبتدا اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا
من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على
الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة
القديمة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدانا
او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره
نعيده اي نعيد مثل الذي بدانا واول خلق ظرف لبدانا او حال
من ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر لفعله تاكيدا لنعيده او منتصب
به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين
ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور في كتاب داود من بعد الذكر

اي التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح
المحفوظ ان الارض اي ارض الجنة او ارض المقدسة يرثها عبادي
الصالحون يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها او امة محمد ان في هذا اي فيما ذكر من الاخبار
والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية
لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح
معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم من الخسف
والمسخ وعذاب الاستئصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد
اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان
المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر
الحكم على الشيء والثانية بالعكس فهل انتم مسلمون مخلصون
العبادة لله على مقتضى الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت ان
التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل
اذنتكم اعلمتكم ما امرت به او امري لكم على سواء مستوين في الاعلام

او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء او عدل واستقامة رأي بالبرهان النير

وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او الحشر لكنه لا محالة كائن انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون من الحسد والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون

ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته قال رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله وقرئ رب بالضم وربي احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تركد وان الموعد لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر رسوله عليهم

عن

عن النبي من قرأ سورة الانبيا حاسبه حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في او اضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت

الرضيع ثديها تنصدع فيه وذهلت عنده وما موصولة او مصدرية
وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كانهم سكارى وما
هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله
بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما او رأيته
قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة
وافراده بملاحظة [illegible] الجمع واذا لكل غاية
كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر
مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث
وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين
ولا بعث بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في الجدال له او في عامة
الاحوال كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه
على الشيطان انه من تولاه تبعه الضمير للشيطان فانه يضله
تضليله احق له وان الخبر كتب عليه اضلاله من تولاه لانه جعل
عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشانه انه يضله لا على العطف
فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية

المكتوب

المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معنى القول ويهديه الى عذاب
السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من
البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك
كالحلب فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم
فانا خلقناكم من تراب بخلق آدم او الاغذية التي يتكون منها
المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة
قطعة جامدة من الدم ثم من مضغة قطعة من اللحم وهي
في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها
ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين
لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون
مرة يقبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك
ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته
وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى
اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه اقصى
اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا

عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبين القدرة وتقريرهم
في الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف وقرئ بالياء
رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا
حال اجريت على تأويل كل واحد او للدلالة على الجنس او لانه
في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع
شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة في الامور ومنكم من
يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم
من يرد الحالة الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم
من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة
العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه والاية استدلال
ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور
المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره
وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت
وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن

رائقا وهذه دلالة ثالثة ذكرها الله في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة
ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله
على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله
هو الحق بسبب انه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الاشياء وانه يحيي
الموتى واحياء النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير
لان قدرته لذاته نسبتها الى الكل على السواء فلما دلت المشاهدة على
قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة
اتية لا ريب فيها فان التغير من مقدماتها الانصرام وطلائعه
وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط به
الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من
استدلال او وحي او الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد
بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه
متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق
استخفافا وقرئ بفتح العين اي مانعا تعطفه ليضل عن سبيل الله

علة للجدال وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن
الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى
الضلال وانه من حيث مؤداه كالغرض له له في الدنيا خزي وهو ما
اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق المحرق وهو النار
ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم
القيامة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي
وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة
لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا
ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر
فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روي
انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه
ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته
قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان
كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا
اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي فقال اقلني فقال

ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والاخرة بذهاب عصمته
وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب على الحال والرفع على
الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه
خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعو من دون
الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك
هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه
ضالا يدعو لمن ضره اقرب بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب
في الاخرة من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل
بها الى الله واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم
قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له
مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره او مستانفة
على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدا وخبره لبئس المولى الناصر
ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح
وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا

والنصرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة
فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق
والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه
او جزعه بان يفعل كلما يفعله الممتلئ غيظا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا
الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه
بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ
عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه وقرأ ورش وابو عمرو
وابن عامر ثم ليقطع بكسر اللام فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده
فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه
او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطئوا نصر الله
لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال
انزلناه انزلنا القرآن كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي ولان
الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا
ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس و
الذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة بالحكومة بينهم واظهار المحق

منهم

منهم عن المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما
ادخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد ان الله على كل شيء شهيد
عالم به مراقب لاحواله الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض
يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره او يدل على عظمة مدبره ومن يجوز
ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال
والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ
والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين وكثير من الناس
عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه ولنا
باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى اخر فان تخصيص الكثير يدل
على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خبر قسيمه
اي حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اي ويسجد له كثير من الناس سجود
طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز
ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب
وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ
بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم

بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام و
الاهانة هذان خصمان اى فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا
حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم
في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال
اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون
نحن احق بالله امنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا
ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو
المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيامة قطعت قدرت على مقا
دير جثثهم وقرئ بالتخفيف لهم ثياب من نار يعني ان النار تحيط بهم احاطة
الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم
الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود اى يؤثر من فرط حرارته في باطنهم
تاثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال
من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط
منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى يكف بعنف
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم غم من غمومها بدل من الهاء

باعادة الجار اعيدوا فيها اى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون
الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون
بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اى وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار
البالغة في الاحراق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله
واكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم يحلون فيها من حليت
المراة اذا لبست الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من اساور صفة
مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا
عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به
ونصبه عاصم ونافع عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون
وترك ابو بكر والسوسي عن ابي عمرو الهمزة الاولى وروى حفص بهمزتين
وقرئ لولوا بقلب الهمزة واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية
ياء ولليا بقلبهما ياءين ولول كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب
الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة
على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي

صدقنا او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته
وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وا
انما يريد به استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن
عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل
عليه اخر الاية اي معذبون والمسجد الحرام عطف على سبيل الله و
اوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف
فيه والباد اي المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو
مع ضعفه معارض بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وشراء عمر دار
السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان ان جعل للناس
حالا من الهاء او الحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول
والحال او العاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس
ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من
الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان
او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك

واقتراف

واقتراف الاثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوانا لابراهيم مكان البيت
اي واذكر اذ عيناه وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف
اي وان انزلناه فيه وقيل رفع البيت الى السماء وانطمس ايام الطوفان
فاعلم الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم
ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود
ان مفسرة لبوانا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة لاجل
او مصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي و
تطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله
عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضا
ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس ناد فيهم
وقرئ واذن وقرأ نافع وحفص وهشام بيتي بالفتح بالحج بدعوة الحج
والامر به روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم
فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق و
المغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله امر بذلك
في حجة الوداع ياتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ

يقم الاء مخففا ومثقلا ورجالى ككسالى وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير
مهزول اتعبه بعد السفر فهزله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه
وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس من
كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق
ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد
بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد
الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين
لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله في ايام معلومات
هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق
الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى
الذكر فكلوا منها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل
الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم
وهذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذي اصابه
بؤس اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في
الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار

ونتف

ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون
من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرا ابو بكر بفتح الواو وتشديد
الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء
التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع
للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه
فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط
عليه ذلك اي الامر ذلك وهو وامثاله تطلق للفصل بين
الكلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكه والحرم
وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد
الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه
ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه
وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا
منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان
الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة في
النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور

تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كأنه لما حث
على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم
البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم
بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه عم قال عدلت شهادة الزور
الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو
الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف
مصروف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان
من الواو ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان
الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره
او تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طرح به في
الضلالة او للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان من
المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه
بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكونا من التشبيهات المركبة فيكون
المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين
وقرأ نافع فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء ذلك ومن

يعظم

يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا
لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان تختارها حسانا
سمانا غالية الاثمان روي انه عم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل
في انفه برة من ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة
دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها منها افعال ذوي تقوى
القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب
لانها منشأ التقوى والفجور والامرة بهما لكم فيها منافع الى اجل
مسمى ثم محلها الى البيت العتيق لكم فيها منافع درها ونسلها و
صوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اي ما
يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اي لكم
فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم
منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه
لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل
مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي ترفع اليه الاعمال
او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني

كم فيها منافع التجارات في الأسواق إلى وقت المراجعة ثم وقت الحج
منتهية إلى الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة ولكل أمة
ولكل أهل دين جعلنا منسكا متعبدا أو قربانا يتقربون به إلى الله وقرأ
حمزة والكسائي بالكسر أي موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره و
يجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على أن المقصود من المناسك
تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند ذبحها وفيه تنبيه
على أن القربان يجب أن يكون نعما فإلهكم إله واحد فله أسلموا
أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالإشراك وبشر المخبتين
المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات صفتهم الذين إذا ذكر الله
وجلت قلوبهم هيبة لإشراق أشعة جلاله عليها والصابرين على
ما أصابهم من الكلف والمصائب والمقيمي الصلاة في أوقاتها وقرئ
والمقيمين الصلاة على الأصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن
جمع بدنة كخشب وخشبة وأصله الضم وقد قرئ به وإنما سميت بها
الإبل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة
البقر لها في إجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة عن سبعة والبقرة

عن

عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه
بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدأ من شعائر الله من
أعلام دينه التي شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية
فاذكروا اسم الله عليها بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا
الله والله أكبر اللهم منك وإليك صواف قائمات قد صففن أيديهن
وأرجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس إذا قام على ثلاث وعلى
طرف سنبك الرابعة لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث
وصوافا بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف وصوافي أي
خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم أعط
القوس باريها فإذا وجبت جنوبها سقطت على الأرض وهو كناية
عن الموت فكلوا منها وأطعموا القانع الراضي بما عنده وبما يعطى
بغير مسألة ويؤيده أنه قرئ القنع أو السائل من قنعت إليه
قنوعا إذا خضعت له في السؤال والمعتر والمعترض بالسؤال
وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل
ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها

حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون
في لباتها لعلكم تشكرون إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص لن
ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق
بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث إنها لحوم ودماء ولكن يناله
التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم
إلى تعظيم أمر الله والتقرب إليه والإخلاص له وقيل كان أهل الجا
هلية إذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله فهم به
المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له
بقوله لتكبروا الله أي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه
غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الإحلال أو الذبح على ما
هداكم أرشدكم إلى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما تحتمل المصدرية
والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين
المخلصين فيما يأتونه ويذرونه إن الله يدافع عن الذين آمنوا غائلة
المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع أي يبالغ في الدفع
مبالغة من يغالب فيه إن الله لا يحب كل خوان في أمانة الله كفور

لنعمته

لنعمته كمن يتقرب إلى الأصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم
أذن أرخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء
للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين والمأذون فيه محذوف
لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء أي للذين
يقاتلهم المشركون بأنهم ظلموا بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب رسول الله كان
المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون
إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت وهي
أول آية نزلت في القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية وإن الله
على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم
الذين أخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به
إلا أن يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم
غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين
لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل [illegible]
وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهبانية وبيع

وبيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود سميت بها لانها تصلى فيها
وقيل اصلها صلوثا بالعبرية فعربت ومساجد المسلمين يذكر
فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن
الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين
والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم
ارضهم وديارهم ان الله لقوي على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء الذين
ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل
على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين
وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه
تاكيد لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له بان قومه
ان كذبوه فهو ليس باوحد في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا
رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول
لان قومه بني اسرائيل لم يكذبوه بل كذبه القبط ولان تكذيبه

كان

كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم
حتى انصرمت اجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكاري
عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا فكاين
من قرية اهلكتها باهلاك اهلها وقرا البصريان بغير لفظ التعظيم
وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها
على سقوفها بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطا
نها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها
فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خاوية
وهي على عروشها اي مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان
مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكتها لا على وهي ظالمة
فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كاين
بمقدر يفسره اهلكتها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع
وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت
لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله
وقصر مشيد مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي

ان سقفها واوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر
في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة
بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم
يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم
وان كانوا قد سافروا فالمراد ذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها
ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال
او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا
آثارهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى
راجع اليه والظاهر اقيم مقامه ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن
الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى
والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتاكيد ونفي التجوز وفضل
التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل ومن
كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون
في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف
الله وعده لامتناع الخلف في وعده فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين

لكنه

لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون بيان
لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه و
طول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرا ابن
كثير وحمزة والكسائي بالياء وكاين من قرية وكم من اهل قرية فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر
والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء
وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم
ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تاخيره
لعادته تعالى املیت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم اخذتها با
لعذاب والي المصير والى حكمي مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا
لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار
مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه
للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم هي
الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا بالرد والابطال

في آياتنا معاجزين مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول و
التحقيق من عاجزه فأعجزه وعجزه إذا سابقه فسبقه لأن كلا من
المتسابقين يطلب إعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
معجزين على أنه حال مقدرة أولئك أصحاب الجحيم النار الموقدة
وقيل اسم دركة وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من
بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها والنبي يعمه ومن بعثه
لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى
ولذلك شبه النبي علماء أمته بهم فالنبي أعم من الرسول ويدل عليه أنه عم
سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم
الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من
جمع إلى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له و
قيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى إليه
في المنام إلا إذا تمنى إذا زور في نفسه ما يهواه ألقى الشيطان
في أمنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عم وإنه ليغان يغان [illegible]
على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان

فيبطل

فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون إليه والإرشاد إلى ما يزيحه
ثم يحكم الله آياته ثم يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في أمر الآخرة
والله عليم بأحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه
بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل
عليه ما يقربهم إليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت سورة
النجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الأخرى وسوس إليه
الشيطان حتى سبق لسانه سهوا إلى أن قال تلك الغرانيق العلى
وإن شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد
في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد ثم نبهه
جبرائيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين
وإن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه وقيل
تمنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله أول ليلة تمني داود الزبور على رسل
وأمنيته قراءته وإلقاء الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعا صوته
بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي عم وقد رد بأنه أيضا يخل بالوثوق
على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته

لانه ليضا يحتمله وا لايه تدل على جواز السهو على الانبيا وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين وان الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضا عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول والمومنين وليعلم الذين اوتوا العلم ان انه الحق من ربك اي ان القران هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقا هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن ادم فيومنوا به بالقران او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهاد الذين امنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم وهو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه من القران او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها ثم رجع عنها حتى تاتيهم الساعة القيامة او اشراطها او الموت بغتة فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النسا

بعد

يقتلون فيه فيصيرون كالعقيم او لان المقاتلين ابنا الحرب فاذا قتلوا صاروا عقما فوصف اليوم بوصفهما اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليه الغاية اي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة ثم فصل بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال الفا في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المومنين بالجنات تفضل من الله وان عقاب الكافرين مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في العذاب والذين هاجروا في سبيل الله في الجهاد ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روي ان بعض الصحابة

فقالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير
ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك فنزلتا وإن الله لهو
خير الرازقين فإنه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه
هو الجنة فيها ما يحبونه وإن الله لعليم بأحوالهم وأحوال معاديهم
حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك أي الأمر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب
ولم يزد في الاقتصاص وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للا
زدواج أو لأنه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة إلى العقوبة لينصرنه
الله لا محالة إن الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام
وأعرض عما ندب الله إليه بقوله ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور
وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فإنه تعالى مع كمال قدرته
وتعالي شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك أولى وتنبيه على أنه
قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده ذلك
ذلك النصر بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
بسبب أن الله قادر على تغليب بعض الأمور على بعضها عادته
على المداولة بين الأشياء المتعاندة ومن ذلك إيلاج أحد

الملوين في الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص منه أو بتحصيل ظلمة الليل
في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك بإطلاعها وأن
الله سميع قول المعاقب بصير بأفعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف
بكمال القدرة والعلم بأن الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب في
ذاته وحده فإن وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون
مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه أو الثابت الإلهية
ولا يصلح لها إلا من كان قادرا عالما بذاته وأن ما تدعون من
دونه إلها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر بالتاء على
مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فتكون الواو لما فإنه
في معنى الآلهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته أو باطل الألوهية
وأن الله هو العلي على الأشياء الكبير عن أن يكون له شريك لا شيء
أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء
استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح الأرض مخضرة عطف على أنزل
إذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك ألم تر أني
جئتك فتكرمني والمقصود إثباته وإنما عدل به عن صيغة الماضي

للدلالة على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان إن الله لطيف يصل علمه
أو لطفه إلى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات
وما في الأرض خلقا وملكا وإن الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد
المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض جعلها
مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما أو اسم إن وقرئ با
لرفع على الابتداء تجري في البحر بأمره حال منها أو خبر ويمسك السماء أن
تقع على الأرض من أن تقع أو كراهة أن تقع بأن خلقها على صورة متداعية
إلى الاستمساك إلا بإذنه إلا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه
رد لاستمساكها بذاتها فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسمية
فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها إن الله بالناس لرؤف رحيم حيث
هيأ لهم أسباب الاستدلال وفتح عليهم أبواب المنافع ودفع عنهم
أنواع المضار وهو الذي أحياكم بعد أن كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم
يميتكم إذا جاء آجالكم ثم يحييكم في الآخرة إن الإنسان لكفور لجحود
النعم مع ظهورها لكل أمة جعلنا منسكا متعبدا أو شريعة تعبدوا بها
وقيل عيدا هم ناسكوه يتعبدونه فلا ينازعنك سائر أرباب الملل في الأمر

في أمر الدين أو النسائك لأنهم بين جهال وأهل عناد أو لأن أمر دينك
أظهر من أن يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول عن الالتفات إلى قولهم
وتمكينهم من المناظرة المؤدية إلى نزاعهم فإنها إنما تنفع طالب
الحق وهؤلاء أهل مراء أو عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا
إنما يجوز في أفعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة
قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ
فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على أنه
من نازعته فنزعته إذا غلبته وادع إلى ربك إلى توحيده وعبادته إنك
لعلى هدى مستقيم طريق إلى الحق سوي وإن جادلوك وقد ظهر الحق
ولزمت الحجة فقل الله أعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها
فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين
منكم والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيامة كما فصل في الدنيا
بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين ألم تعلم أن
الله يعلم ما في السماء والأرض فلا يخفى عليه شيء إن ذلك في كتاب
هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به

وحفظناه ان ذلك ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بمقتضاه على
الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ويعبدون من
دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته وما ليس
لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلال به وما للظالمين وما
للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب
عنهم واذا تتلى عليهم اياتنا من القران بينات واضحات الدلالة
على العقائد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر
الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى
الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه
من الشر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا يثبون ويبطشون بهم قل
افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم او مما
اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار كانه جواب
سائل قال وما هو ويجوز ان يكون مبتدا خبره وعدها الله الذين كفروا
وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا
كما اذا رفعت خبرا او حالا منها وبئس المصير النار يا ايها

ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة ولذلك سماها مثلا او جعل
لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل او لشانه استماع
تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام وقرا يعقوب
بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين
لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها
من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب
من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له
بجوابه المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة اي يقدرون على خلقه
مجتمعين له متعاونين عليه وكيف اذا كانوا منفردين وان
يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل
بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات
باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق
اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا
الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من
عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها

الا بعا بن فيه فضل الذباب من الكل فيا كله ضعف الطالب والمطلوب عابد
الصنم ومعبوده او الذباب يطلبه ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم
يطلب الذباب منه السلب والصنم والذباب كالطالب لا يستطيعه ليستنقذ
منه ما سلبه فلو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله
حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما
هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق الممكنات
باسرها عزيز لا يغالبه شيء والهتهم لتي يدعونها عاجزة اقلها
مقهورة من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه
وبين الانبياء بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون
اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان
يشاركه غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة
يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب
ومنتهى الدرجات لمن عدا الله من الموجودات تقريرا للنبوة وتنزيها
لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات
الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين

ايديهم

ايديهم وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه
مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسئل عما يفعل من الاصطفا
وغيره وهم يسئلون يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اي في صلا
تكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر
عن الصلاة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا
واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو
خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام
ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجين
الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والاية اية سجدة
عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عم فضلت سورة
الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا في الله اي لله ومن
اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس
وعنه عم انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه
فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف

اعدا

الضمير الى الجهاد اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله
ومن اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي
للجهاد والداعي اليه وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق
بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر
لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم كقوله
اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب
مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع
لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة
ابيكم ابراهيم منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف
المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او الاختصاص
وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله وهو كالاب لامته من حيث انه
سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة
او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين
من قبل من قبل القران في المتقدمة وفي هذا وفي القران والضمير
لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين

في القران

في القران وان لم تكن منه كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم
مسلمين ليكون الرسول متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه
بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة
من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل
اليهم فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات
لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع
اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم
هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا
مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا ناصر سواه في الحقيقة
عن النبي من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها
بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي سورة المؤمنين
مكية وهي مائة وتسع عشر عند البصريين وثماني عشر عند الكوفيين
بسم الله الرحمن الرحيم
قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان

لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخل الماضي ولذلك لقربه من الحال فلما
كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرا ورش
عن نافع بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وافلحوا على لغة اكلوني
البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو
وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلاتهم خاشعون خائفون من الله
متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه كان يصلي
رافعا بصره الى السما فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى رجلا
يعبث بلحيته فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه والذين هم
عن اللغو عما لا يعنيهم من قول او فعل معرضون لما بهم من الجد ما
شغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية
وبنا الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة
الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا
وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك
قوله والذين هم للزكاة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع
في الصلاة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات

البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروة اجتنابه
والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث
لا المحل الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم
حافظون لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم
او سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي
او حال اي احفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج او التسري
وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلا اذ الملك اصل شائع
فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون
لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين
الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها
لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى ورا
ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم
لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة
الحق او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرا ابن كثير
هنا وفي المعارج لامانتهم على الافراد لامن الالباس او لانها

في الفعل مقبل والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤ
دونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر
ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم اولا فان
الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها
بامر الصلاة تعظيم لشانها اولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوا
رثون الاحقا بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيا
ن لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهي
مستعارة لاستحقاقهم الفردوس لاعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة
فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على
انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار
هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت من بين
الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او بيانية
او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان
ادم خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات

جعلت

جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين ادم لانه خلق منه
والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة
بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على
تاويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني
الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر
عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضا
علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم
فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي
من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف
لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة
وقرا ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع
وقرئ بافراد احدهما وجمع الاخر ثم انشاناه خلقا اخر هو صورة
البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين
التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده
لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله فتعالى

فتعالى شأنه في قدرته وحكمته أحسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف
المميز لدلالة الخالقين عليه ثم إنكم بعد ذلك لميتون لصائرون
إلى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل
وقد قرئ به ثم إنكم يوم القيامة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد
خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات لأنها طورق بعضها فوق بعض
مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة أو لأنها طرق الملائكة
أو الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي
هو السموات أو عن جميع المخلوقات غافلين مهملين أمرها بل نحفظها
عن الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من
الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة وأنزلنا من
السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره أو بمقدار ما علمنا
من صلاحهم فأسكناه في الأرض فجعلناه ثابتا مستقرا وإنا على
ذهاب به على إزالته بالإفساد أو التصعيد أو التعميق بحيث
يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على إنزاله وفي تنكير
ذهاب إيماء إلى كثرة طرقه ومبالغة في الإيعاد به ولذلك جعل أبلغ

من قوله قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فأنشأنا
لكم به بالماء جنات من نخيل وأعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة
تتفكهون بها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها تأكلون تغذيا أو
ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز
أن يكون الضميران للنخيل والأعناب أي لكم في ثمراتهما أنواع من
الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك
وطعام تأكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئت بالرفع على
الابتداء أي ومما أنشئ لكم به شجرة تخرج من طور سيناء
جبل موسى بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور
سينين ولا يخلو من أن يكون الطور للجبل وسيناء اسم للبقعة
أضيف إليها أو المركب علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف
والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للألف لأنه
فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور
أو ملحق بفعلال كعلباء من السين إذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف
سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فإنه فيعال ككيسان

فيعال

او فعلال كعلباء لا فعالا اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت
بالدهن اى تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان تكون الباء صلة
معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
في رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رأيت ذوي الحاجات عند
بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها
ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن
وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين
معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر
اى تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه
اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ
في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها
نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون
منه فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها
واصوافها وشعورها ومنها تأكلون فتنتفعون باعيانها وعليها و
على الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل

لانها

لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر
قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير فيه كالضمير في
وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص مسوق لبيان كفران
الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم
من اله غيره استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائي غيره بالجر
على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم النعم فيهلككم و
يعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها
فقال الملأ الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا
الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم
ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسولا ما سمعنا بهذا
في آبائنا الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي او ما كلمهم به
من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة وذلك
اما لفرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل
به جنة اى جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا

حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما ايس من ايمانهم رب انصرني
باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون اي بدل تكذيبهم
اياي او بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه
ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فا
ذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روي انه قيل لنوح
اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته
امراته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب
كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك
فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال الله تعالى ما سلككم في سقر
من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين
وقرأ حفص من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تاكيد واهلك
واهل بيتك او من امن معك الا من سبق عليه القول منهم اي القول
من الله بهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام
حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في
الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم

بالاشراك

بالاشراك والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امر
بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك على
الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة
او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرأ ابو بكر
منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه
امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى اجابته وانما افرده
بالامر والمعلق به ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا
بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه محيط بهم ان في ذلك فيما فعل
بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار
وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه
الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشانا من بعدهم قرنا
آخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما
جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم
وانما اوحي اليهم وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره

تفسير لارسلنا قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذابه
وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا لعله ذكر بالواو لان كلامهم
لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف فعلى تقدير
سؤال بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعادهم الى
الحياة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحياة الدنيا بكثرة
الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال يأكل مما
تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى
الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه
ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم
انفسكم واذا جواب للشرط وجواب للذين قاولهم من قومه ايعدكم انكم
اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم
مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود انكم تكرير
للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ
خبره الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر
الاول اى انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون

خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان
اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون
او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كانهم لما صوتوا
بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قال لما توعدون وقيل
هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا
للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر
على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي
الا حياتنا الدنيا اصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير
مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان
تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها ومعناه لا حياة
الا هذه الحياة لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة
على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت
بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو الا
رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من الرسالة له وفيما يعدنا
من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم

د انتقم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم إياي قال عما قليل عن زمان
قليل وما صلة لتأكيد معنى القلة أو نكرة موصوفة ليصبحن نادمين
على التكذيب إذا عاينوا العذاب فأخذتهم الصيحة صيحة جبرائيل
صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على
أن القوم قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له أو بالعدل
من الله كقولك فلان يقضي بالحق أو بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء
شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي
لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الإخبار والدعاء وبعدا
مصدر بعد إذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بأفعال لا يستعمل إظهارها
واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل
ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب
وغيرهم ما تسبق من أمة أجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة
للاستغراق وما يستأخرون الأجل ثم أرسلنا رسلنا تترى متواترين
واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج
ويتقور والألف للتأنيث لأن الرسل جماعة وقرأ أبو عمرو وابن كثير

بالتنوين على أنه مصدر بمعنى المواترة وقع حالا كلما جاء أمة رسولها
كذبوه أضاف الرسول مع الإرسال إلى المرسل ومع المجيء إلى المرسل
إليهم لأن الإرسال الذي هو مبدأ الأمر منه والمجيء الذي هو منتهاه
إليهم فأتبعنا بعضهم بعضا في الإهلاك وجعلناهم أحاديث لم يبق
منهم إلا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحدوثة وهي
ما يتحدث به تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى
وأخاه هرون بآياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة
ملزمة للخصم ويجوز أن يراد به العصا وإفرادها لأنها
أول المعجزات وأمها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما أفكته
السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها
ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وأن يراد به المعجزات
وبالآيات الحجج وأن يراد بهما المعجزات فإنها آيات للنبوة وحجة بينة
على ما يدعيه النبي إلى فرعون وملئه فاستكبروا عن الإيمان والمتابعة
وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر
لأنه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله

فانما ثنى من البشر ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص
كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على
احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى
تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك ولكنها
متباينة الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم
التفكر برادة يمكن ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر
في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي
اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي وقومهما
يعني بني اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا
من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة
لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة
نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم
وامه آية بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما
او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد فظهرت منه معجزات اخر وامه
آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها

واوينا

واويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة
فلسطين او مصر فان قراها على الربى وقرا ابن عامر وعاصم بضم الراء وقرئ
رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار
وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر
جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون وهو
المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره
مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب
المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على
انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان
كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا و
يكون ابتداء كلام تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة
وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية
في رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما
الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له
ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل

الحلال الصافي في القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى
والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود
منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان هذه
امه ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه
معطوف على ما تعملون وقرا ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر
على الاستئناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اي متحدة في الاعتقاد
واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد
في العبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا
ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم وجعلوه اديانا مختلفة
او تفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير
لما دل عليه الامة من اربابها او لها زبرا قطعا جمع زبور الذي
بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من
امرهم او الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل
كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على
تقدير كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من المتحزبين

بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم
في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها
او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون
انما نمدهم اي ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم به من مال وبنين بيان لما
وليس خبرا له فانه غير معاتب عليه وانما المعاتب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم
نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي
نمدهم به انه نسارع به فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم
كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا فيعلموا ان ذلك الامداد
والاستدراج لا مسارعة في الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك
يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا
للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون
والذين هم بايات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها
والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما اتوا يعطون
ما اعطوه من الصدقات وقرئ ياتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوه من
الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه

الثالث تبع لما قبله انهم الى ربهم لا يعتقد لان مرجعهم اليه او من
ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون في الخيرات
يرغبون في الطاعات اشد رغبة فيبادرونها او يسارعون في نيل الخيرات
الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم
الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم وهم لها سابقون
لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة
او سابقونها اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله
هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد به
التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا
كتاب يعني اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد
فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان ثواب
بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا من الذي
وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك
متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون
معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب

يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا
الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم يجأرون فاجؤوا الصراخ
بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون
الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اي وقيل لهم لا تجأروا
انكم منا لا تنصرون تعليل النهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا
تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت آياتي تتلى
عليكم يعني القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين
عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى
مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه
اغنت عن سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين
لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم على المسلمين حادث بسبب
استماعه او بقوله سامرا اي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو
في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر
تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون

عن القرآن أو تهذون في شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني
قراءة نافع تهجرون من أهجر وقرئ تهجّرون على المبالغة أفلم يدبروا القول
أي القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم بإعجاز لفظه ووضوح مدلوله أم جاءهم
ما لم يأت آباءهم الأولين من الرسول والكتاب أو من الأمن من عذاب الله
فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون كإسماعيل وأعقابه فآمنوا به وبكتبه
ورسله وأطاعوه أم لم يعرفوا رسولهم بالأمانة والصدق وحسن
الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم إلى غير ذلك مما هو صفة الأنبياء
فهم له منكرون دعواه لأحد هذه الوجوه إذ لا وجه له غيرها فإن
إنكار الشيء قطعاً أو ظناً إنما يتجه إذا ظهر امتناعه بحسب النوع
أو الشخص أو بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد أم يقولون
به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلاً وأثقبهم
نظراً بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون لأنه يخالف شهواتهم
وأهواءهم فلذلك أنكروه وإنما قيد الحكم بالأكثر لأنه كان منهم
من ترك الإيمان استنكافاً من توبيخ قومه أو لقلة فطنته وعدم
فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق أهواءهم بأن كان في الواقع آلهة

شتى لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان
فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق أهواءهم وانقلب باطلاً لذهب
ما قام به العالم فلا يبقى أو لو اتبع الحق الذي جاء به محمد أهواءهم وانقلب
شركاً لجاء الله بالقيامة وأهلك العالم من فرط غضبه أو لو اتبع الله
أهواءهم بأن أنزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الألوهية
ولم يقدر أن يمسك السماوات والأرض وهو على أصل المعتزلة بل أتيناهم
بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو صيتهم أو الذكر
الذي تمنوه بقولهم لو أن عندنا ذكراً من الأولين وقرئ بذكراهم
فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون إليه أم تسألهم قيل إنه قسيم لقوله
أم به جنة خرجاً أجراً على أداء الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا
أو ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن
عطائهم والخرج بإزاء الدخل يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك و
الخراج غالب في الضريبة على الأرض ففيه إشعار بالكثرة
واللزوم فيكون أبلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله إياه وقرأ
ابن عامر خرجاً فخرج وحمزة والكسائي خراجاً فخراج للمزاوجة

وهو مضي الى تحريف لعذبهم بالحرب وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم
انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلل في هذه الآيات بان حصر اقسام
ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة
الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط عن الصراط السوي
لناكبون لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق و
سلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لتمادوا
واللجاج التمادي في الشيء في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار عن
الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا
حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله فقال انشدك الله و
الرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف
والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر
فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم
واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل
من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله

حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من الاسر
والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم
يستعطفك وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات
والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية
والدنيوية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في
شكرها استعمالها فيما خلقت لاجلها والاذعان لمانحها من غير اشراك
وما صلة للتأكيد وهو الذي ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل
واليه تحشرون تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت
وله اختلاف الليل والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون
ردا لنسبته الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص
احدهما وازدياد الآخر افلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا
وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقوله بل قالوا عطف على
اي الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما
قال الاولون آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا أإذا متنا وكنا
ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا

لم اذ لك انهم ثم بالتخلفوا لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من
قبل ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها
جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلوبه كالاعاجيب والا
ضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن
فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم ومن العالمين
بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا
الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك
اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا سيقولون لله لان العقل الصريح قد
اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اي بعد ما قالوه افلا
تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على
ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون من اعادته وقرئ تتذكرون
على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانها اعظم
من ذلك سيقولون لله قرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على
ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا
بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من

بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير
يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه
وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله
قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر
وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور
وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه
عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء الشرط
حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه الهة كما يقولون
لذهب كل واحد بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الاخرين
ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده
وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام
البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد سبحان الله
عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده
عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر

وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل اخر على نفي الشريك
بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى الله
عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني ان كان لا بد من ان تريني لان ما و
النون للتاكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا والاخرة رب
فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم
النفس او لان شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان
له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير
النداء وتصدير كل واحد من الشرط الموعود واستعجالهم له استهزاء
به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة
وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن
في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف
والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص
على التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به او بوصفهم اياك
على خلاف ما انت عليه واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك

من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض
شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على المشي والجمع
للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب
ان يحضرون يحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلاة
وقراءة القران وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه
حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض
لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله عن الحلم
ويغريه على الانتقام او بقوله وانهم لكاذبون قال رب ارجعون تحسرا على ما فرط
فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر ارجعون ردني
الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما
قيل قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته
اي لعلي اتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عم
اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار
الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول ارجعون
ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة [illegible]

قوله رب ارجعون لعلي اعمل والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض
هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة
برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيامة وهو اقناط
كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا
وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الآخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة
والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد يؤيد ان الصور ايضا جمع صورة
فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة و
استيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او
يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسال
بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول
اهل الجنة الجنة واهل النار النار فمن ثقلت موازينه موزونات عقائده
واعماله اي فمن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها وزن عند
الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات ومن
خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم

لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث
ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خا
لدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها
واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الا
حتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن
اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون
تانيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت
علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت مجامع احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة
وقرا حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة
وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا
الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت
الهوان فانها ليست مقام السؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ
ولا تكلمون في رفع العذاب او لا تكلمون راسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة
ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا
اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده فيقولون الفا مالك

ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرنا فيجابون
اولم تكونوا اقسمتم من قبل فيقولون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم
فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ثم لا يكون لهم فيها الا زفير
وشهيق وعوا انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي
يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر
لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا وقرا نافع وحمزة
والكسائي هنا وفي ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة
وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد
والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني
في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما
صبروا على اذيتكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين
وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرا حمزة والكسائي بالكسر استئنافا قال اي
الله او الملك المامور بسؤالهم وقرا ابن كثير والكسائي على الامر للملك
او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض احياء وامواتا في القبور
عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم

فيها

فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور
قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فسئل العادين الذين
يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه العذاب
مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون
اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة
فانهم يقولون ما نقول والعاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون
قال وفي قراءة حمزة والكسائي قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون
تصديق لهم في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم
عبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما
خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث
وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرا حمزة
والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق
الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك
بالعرض من وجه وفي حال دون حال لا اله الا هو فان ما
عداه عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وينزل منه

محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم
الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها اخر يعبده
لا برهان له به صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا برهان به
جيء بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل
عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط
والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه
انه لا يفلح الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي
حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها
بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفر ويسترحمه

فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي عم من قرأ سورة

المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه
عند نزول ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت علي عشر آيات من
اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي
ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ
باربع من آخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مدنية
وهي ثنتان او اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة انزلناها اي هذه السورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها
صفتها ومن نصبها جعله مفسر لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر
اتل او دونك ونحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وقرئ
بالتشديد لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في
ايجابها وانزلنا فيها آيات بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون
فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما فرضنا
او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام
بمعنى وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من
نصب سورة للامر والزاني بالياء وانما قدم الزانية لان الزنا
يكون في الاغلب بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته
تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن
ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي
تغريب الحر سنة لقوله عم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية

ما يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد
ثلاثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح
صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه السلام يهوديين
ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي يقتص له من
المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله في طاعته واقامة
حده فتعطلوه او تسامحوا فيه وكذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت
محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة
الله والاجتهاد في اقامة احكامه وهو من باب التهييج وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان التفضيح قد
ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة
حول شيء من الطوف واقلها ثلاثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع
يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح
الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة

والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال
والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في
الرغبة فيهن لان الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا
بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجا
هلية ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق
وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من
المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي
وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي
ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات
ويؤيده انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام
لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن
الزنا الا بزانية والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاحش والذين يرمون
المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن
عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم يأتوا باربعة
شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق يا شارب الخمر

يجب التعزير بقذف غير المحصن ولا احصان الا بالحرية والبلوغ والعقل
والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص
المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف النسا اغلب واشنع ولا يشترط
اجتماع الشهود عند الادا ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا
لابي حنيفة وليكن ضربه اخف من ضرب الزاني لضعف سببه واحتماله
ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة اي شهادة كانت لانه
مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفا الجلد خلافا
لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا
للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الحد اسوا
مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى اخر عمره واولئك هم الفاسقون
المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا
احوالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال من المقذوف
والاستثنا راجع الى اصل الكلام وهو اقتضا الشرط لهذه الامور ولا يلزم
سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال
ومحل المستثنى النصب على الاستثنا وقيل الى النهي ومحله الجر على البدل

من هم في لهم وقيل الى الاخير ومحله النصب لانه عن موجب وقيل منقطع
متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثنا والذين يرمون ازواجهم
ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم نزلت في هلال بن امية راى رجلا
على فراشه وانفسهم بدل من شهدا او صفة لهم على ان الا بمعنى غير
فشهادة احدهم اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم او فعليهم
شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي
وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل
بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا
واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا
والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
في الرمي هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول
الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله المتلاعنان
لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي ح ونفي الولد
ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المراة لقوله ويدرا عنها
العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين

فمما يأتي بعد الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
في رفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد
ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان لعنة الله وان غضب
الله بتخفيف النون فيهما ورفع اللعنة وكسر الضاد من غضب ورفع
الهاء من اسم الله والباقون بتشديد النون ونصب اللعنة وفتح الضاد
وجر الهاء ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم
متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاءوا
بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك
عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة وذلك انه عليه السلام استصحبها
في بعض الغزوات فاذن ليلة من القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة
ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد لها من جزع ظفار قد
انقطع فرجعت لالتماسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت الهودج
فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا فجلست
كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء
الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها

حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين
وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت و
مسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر ان وقوله
لا تحسبوه شرا لكم مستأنف والخطاب للرسول وابي بكر وعائشة
وصفوان والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم
والظهور كرامتكم على الله بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم
شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا
لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه
مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرئ بالضم وهو لغة فيه
منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه عداوة للرسول
او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين
له عذاب عظيم في الآخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن
ابي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين
ومسطح مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله

ولا تلمزوا أنفسكم وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ
وإشعارا بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن
فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن أنفسهم وإنما جاز
الفصل بين لولا وفعله بالظرف لأنه نزل منزلته من حيث إنه لا ينفك
عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لأن ذكر الظرف أهم
فإن التحضيض على أن لا يخلوا بأوله وقالوا هذا إفك مبين كما يقول
المستيقن المطلع على الحال لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا
بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقرير لكونه
كذبا فإن ما لا حجة عليه مكذب عند الله أي في حكمه ولذلك رتب عليه
الحد ولولا فضل الله عليكم ورحمته لولا هذه لامتناع الشيء لوجود
غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها
الإمهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران
لكم في الدنيا عاجلا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه خضتم عذاب
عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد إذ ظرف لمسكم أو أفضتم تلقونه
بألسنتكم يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول

وتلقفه

وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الأصل وتلقونه من لقيه
إذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من إلقائه
بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الألق والإلق وهو
الكذب وتثقفونه من ثقفته إذا طلبته فوجدته وتقفونه
أي تتبعونه وتقولون بأفواهكم وتقولون كلاما مختصا بالأ
فواه بلا مساعدة من القلوب ما ليس لكم به علم لأنه ليس تعبيرا عن
علم به في قلوبكم لقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم و
تحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم في الوزر
واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب
العظيم تلقي الإفك بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم
لذلك وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما
ينبغي وما يصح لنا أن نتكلم بهذا يجوز أن تكون الإشارة إلى القول
المخصوص وأن تكون إلى نوعه فإن قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا
عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله سبحانك
هذا تعجب من ذلك وأصله أن يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى

من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج
بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هذا بهتان عظيم
لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقا
تها يعظكم الله ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا
ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع عنه
وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع
ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا والله عليم بالاحوال كلها
حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها
ان الذين يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة في الذين
آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير الى غير ذلك والله
يعلم ما في الضمائر وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه
الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة ولولا
فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة
على عظم الجريمة ولذلك عطف قوله وان الله رؤوف رحيم على حصول فضله
ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها

١٠٢

يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة
وقرأ نافع والبزي وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها وقرئ بفتح
الطاء ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر بيان
لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما
انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية
للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم
من احد ابدا آخر الدهر ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة
وقبولها والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف
افتعال من الالية او لا يقصر من الالو والاول اوفق لقراءة ولا يتال
وانه نزل في ابي بكر وقد حلف لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن
خالته وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل منكم في الدين والسعة
في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه ان يؤتوا وقرئ بالتاء على
الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات
لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك
او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود ليعفوا

بما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر الله لكم على
عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته
فتخلقوا باخلاقه روي انه عم قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع
الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات
مما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا
في الرسول والمؤمنين كابن ابي لعنوا في الدنيا والآخرة بما طعنوا فيهن
ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل
مخصوص بمن قذف ازواج النبي ولذلك قال ابن عباس لا توبة له
ولو فتشت وعيد القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة
يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه
موصوف وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله اياها
بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم
الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته

لا يشاركه

لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق
المبين الظاهر عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم
لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات اي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك
اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله اولئك يعني اهل بيت النبي عم
او الرسول وعائشة وصفوان مبرؤن مما يقولون اذ لو صدق
لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال
والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرؤن مما
يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اي مبرؤن من ان يقولوا
مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة
باربعة برأ يوسف عم بشاهد من اهلها وموسى من قول اليهود
فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة
بهذه الآيات مع هذه المبالغات وما ذاك الا لاظهار منصب
الرسول واعلاء منزلته يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن

مبرؤن

حتى تستأنسوا تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا
أبصره فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يراد دخوله
أو يؤذن له أو من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش فإن المستأذن
مستوحش أن لا يؤذن له فإذا أذن له استأنس أو تتعرفوا هل ثم إنسان
من الإنس وتسلموا على أهلها بأن تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه
التسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلث مرات فإن أذن له دخل وإلا
رجع ذلكم خير لكم أي الاستئذان أو التسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة
أو على تحية الجاهلية كان الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم
صباحا وحييتم مساء ودخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف و
روي أن رجلا قال للنبي أأستأذن على أمي قال نعم قال إنه ليس لها خادم
غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال
لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف أي أنزل عليكم
أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتعملوا بما هو أصلح فإن لم تجدوا
فيها أحدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى يأتي من يؤذن لكم
فإن المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه

الناس عادة مع أن التصرف في ملك الغير بغير إذنه محظور و
استثنى ما إذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوها
وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو أزكى لكم الرجوع
أطهر لكم مما لا يخلو اللجاج والوقوف على الباب عنه من الكراهة
وترك المروءة أو أنفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم
ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح
أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات والحوانيت فيها
متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة
والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت
المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن
دخل مدخلا لفساد أو تطلع على العورات قل للمؤمنين يغضوا من
أبصارهم أي ما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم إلا على أزواجهم
أو ما ملكت أيمانهم ولما كان المستثنى كالشاذ النادر بخلاف
الغض أطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج
ههنا خاصة سترها ذلك أزكى لهم أنفع لهم وأطهر لهم لما فيه

من البعد عن الريبة إن الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه إجالة أبصارهم
واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا
على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن
فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من الرجال ويحفظن فروجهن
بالتستر أو التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لأن النظر بريد الزنا
ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والأصباغ فضلا عن مواضعها
لمن لا يحل أن تبدى له إلا ما ظهر منها عند مزاولة الأشياء كالثياب
والخاتم فإن في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف
المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه
والكفان لأنها ليست بعورة والأظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر
فإن كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا
لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا
لأعناقهن وقرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وهشام بضم الجيم ولا يبدين
زينتهن كرره لبيان من يحل له الإبداء ومن لا يحل له إلا لبعولتهن
فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج

بكره

بكره أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن
أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن
إلى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة
عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة
والخدمة وإنما لم يذكر الأعمام والأخوال لأنهم في معنى الإخوان
أو لأن الأحوط أن يتسترن عنهم حذرا أن يصفوهن لأبنائهم أو
نسائهن يعني المؤمنات فإن الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال
أو النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف أو ما ملكت أيمانهن يعم الإماء
والعبيد لما روي أنه عليه السلام أتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب
إذا تقنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإن غطت رجليها لم يبلغ
رأسها فقال إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك وقيل المراد
بها الإماء وعبد المرأة كالأجنبي أو التابعين غير أولي الإربة
من الرجال أي أولي الحاجة إلى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون
وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم
ولا يعرفون شيئا من أمور النساء وقرأ أبو بكر وابن عامر غير بالنصب

على الحال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من
الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى
الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا
يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم
انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي
عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت وتوبوا الى الله
جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما في الكف عن
الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب في الاسلام
ولكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف كلما يتذكر لعلكم تفلحون
بسعادة الدارين وقرأ ابن عامر ايه المؤمنون وفي الزخرف يا ايه الساحر
وفي الرحمن ايه الثقلان بضم الهاء في الوصل في الثلاثة والباقون
بفتحها ووقف ابو عمرو والكسائي عليهن بالالف والباقون
بغير الالف وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم
لما نهى عما عسى يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن
التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه

امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج
المولية والمملوك وذلك عند طلبهما واشعار بان المراة والعبد
لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم
كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا قال
فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم وتخصيص الصا
لحين لان احصان دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون
للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى
يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة
فان في فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله
بالاغنا لقوله اطلبوا الغنى في هذه الاية لكنه مشروط بالمشية
لقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شا والله
واسع ذو سعة لا ينفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته عليم يبسط الرزق
ويقدر على ما تقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد في العفة
وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح
ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا

ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل
لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى
المال او لانه مما يكتب لتاجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه
يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان
او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره
والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة
معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه
على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن
الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ان
علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روي
مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا
ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز واتوهم
من مال الله الذي اتاكم امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم
وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي
اقل ما يتمول وعن علي يحط الربع وعن ابن عباس الثلث وقيل ندب

لهم الانفاق عليهم بعد ان يودوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين
باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان
كان غنيا لانه لا ياخذه صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله عليه السلام
في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم
اماءكم على البغاء على الزنا كانت لعبد الله بن ابي ست جوار يكرههن
على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله فنزلت
ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل
شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع
النهي بامتناع المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن
من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن
فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن او له ان تاب
والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود من بعد اكراههن
لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير اثمة فلا حاجة
الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على
المكره القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات

يعني الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود
وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي في الموضعين هنا والطلاق بالكسر لانها
واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى
تبين او لانها بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من
قبلكم اي ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم
وهي قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين يعني ما
وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل
المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات
والارض النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها
سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام
الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله
تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز
اما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورهما بالكواكب
وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة والانبياء او مدبرها
من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به

في الامور

نور

في الامور او موجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور
هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته
موجد لما عداه او الذي به يدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق
على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له في توقف الادراك عليه
ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات
والجزئيات الموجودة والمعدومة وتغوص في بواطنها وتتصرف
فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا
لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو سبحانه وتعالى
ابتداء او بتوسط من الانبياء والملائكة ولذلك سموا انوارا و
يقرب منه قول ابن عباس معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون
واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على
الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما
وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما مثل نوره صفة نوره العجيبة
الشان واضافته الى ضميره سبحانه دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن
على ظاهره كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة

فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل
والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاج
الزجاجة كأنها كوكب دري مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته
منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه
او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة
وابو بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به
مقلوبا توقد من شجرة مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب هذا
المصباح من شجرة الزيتونة المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها
وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها
تفخيم لشأنها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول
من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة
بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع
زيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية يقع الشمس عليها حينا
دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او
صحراء واسعة وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى

تشرق

تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او في مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها
نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى
يكاد زيتها يضيء اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط وبيصه
ولو لم تمسسه نار نور على نور نور متضاعف فان نور المصباح
زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته
وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دلت عليه الآيات
المبينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة
المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام
الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها
عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب
المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها
ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من
القوى الدراكة الخمس المترتبة التي نيطت بها المعاش والمعاد
وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية
التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية

متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف
المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي تتجلى بها
لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالأنبياء والأولياء المعنية
بقوله ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالأشياء الخمسة
المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فإن
الحاسة كالمشكاة لأن محلها كالكوى ووجهها إلى الظاهر لا تدرك ما وراءها
وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور
المدركات من الجوانب وضبطها للأنوار العقلية وإنارتها بما تشتمل عليها
من المعقولات والعاقلة كالمصباح لإضاءتها بالإدراكات الكلية والمعارف
الإلهية والمفكرة بالشجرة المباركة لتأديتها إلى ثمرات لا نهاية لها
الزيتونة المثمرة للزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية
ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية أو لوقوعها بين الصور
والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية
كالزيت فإنها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير
تفكر ولا تعلم أو تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فإنها

في بدء أمرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم
الضرورية بتوسط إحساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير
كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للأنوار وذلك التمكن إن كان
بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وإن كان بالحدس فكالزيت وإن كان
بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لأنها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك
الوحي والإلهام الذي مثله النار من حيث إن العقول تشتعل عنها ثم
إذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان
كالمصباح فإذا استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره لهذا
النور الثاقب من يشاء فإن الأسباب دون مشيئته لاغية إذ بها
تمامها ويضرب الله الأمثال للناس إدناء للمعقول من المحسوس توضيحا
وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو
خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت
متعلق بما قبله أي كمشكاة في بعض بيوت أو توقد في بيوت فيكون
تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فإن قناديل المساجد
تكون أعظم أو تمثيلا لصلاة المؤمنين أو أبدانهم بالمساجد ولا ينافي

جمع البيوت وهذه المشكاة اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة
ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا بذكر لانه من صلة
ان فلا يعمل فيما قبلها او بمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد
لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم اذن الله
ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة
في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والآصال ينزهونه
او يصلون له فيها بالغدوات والعشيات والغدو مصدر اطلق للوقت
ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو
الدخول في الاصيل وقرأ ابن عامر وابو بكر يسبح بالفتح على اسناده
الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورة
لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو رجال لا
تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة
بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو
الاهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى
وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبدؤها وقيل الجلب لانه

الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام
الصلاة عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة
بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وايتاء الزكاة ما
يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من
الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير من
الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار
ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك و
الابصار من اى ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق
بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا
الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم
ولم تخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه
على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم
التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة
في العاقبة كسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت
الظهيرة

فيظن انه ما يبرق اى يجرى ما لبقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية
وقيل جمع قاع كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة يحسبه الظمان ما
اى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند
الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ما او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد
الله عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفيه حسابه
استعراضا او مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روى
انها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية تعبد فى الجاهلية والتمس الدين فلما
جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان
اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن
نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او
للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكا
لظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات فى الدنيا والسراب
فى الاخرة فى بحر لجى عميق منسوب الى اللج وهو معظم الما يغشاه موج
يغشى البحر من فوقه موج اى امواج مترادفة متراكمة من فوقه
من فوقه الموج الثانى سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى

للبحر

للبحر ظلمات اى هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرا ابن كثير ظلمات بالجر على
ابدالها من الاولى او باضافة السحاب اليها وفى رواية البزى اذا اخرج
يده وهى اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها
كقوله اذا غير النائى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح والضمائر
للواقع فى البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له
نورا ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف
الموفق الذى له نور على نور الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة فى
اليقين والوثاقة بالوحى او الاستدلال ان الله يسبح له من فى السموات
والارض ينزه ذاته عن كل نقص وافة اهل السموات والارض ومن
لتغليب العقلا او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة
حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل
الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطا الاجرام الثقيلة
ما به تقوى على الوقوف فى الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من
القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره
كل اى كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلاته وتسبيحه اى قد علم الله

دعاءه وتسبيحه اختيارا وطبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم
كل على تسبيحه وصلاته في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه
بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا
كما ألهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلا
ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات
والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى
الله المصير مرجع الجميع ألم تر ان الله يزجي سحابا ومنه البضاعة
المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم
بعضه على بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه
ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج
من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل
من السماء من الغمام وكلما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع
عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول
محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان
تكون من الثانية والثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل

المراد

المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر و
ليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها
حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع
وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل
الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد
الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج
وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل
على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه
اشار فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء الضمير للبرد يكاد سنا برقه
ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه
بفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع
يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك
اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد
وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة
بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد

والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار
لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه
ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة
والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل
بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا
للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة
وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية
وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي
على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش
ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت
على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف
ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة
يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف
الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والا
فعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ان الله على كل شيء قدير فيفعل

اكثر

مما

ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات للحقائق بانواع الدلائل والله يهدي
من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو
دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا
بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب
ابن الاشرف وهو يدعو الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا في
ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول واطعنا اه واطعنا لهما ثم يتولى
فريق منهم بالامتناع عن قبول حكمه من بعد ذلك بعد قولهم هذا
وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما
من الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق
منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة
على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان او
الثابتون عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي
ليحكم النبي فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه
والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم
معرضون فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم

بأنك لا تحكم لهم فهو شرح للتولي ومبالغة فيه وإن يكن لهم الحق أي الحكم
لا عليهم يأتوا إليه مذعنين منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم وإلى
صلة ليأتوا أو لمذعنين وتقديمه للاختصاص أفي قلوبهم مرض كفر
أو ميل إلى الظلم أم ارتابوا بأن رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم
بك أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بل أولئك هم
الظالمون إضراب عن القسمين الأخيرين لتحقيق القسم الأول ووجه
التقسيم أن امتناعهم إما لخلل فيهم أو في الحاكم والثاني إما أن يكون
محققا عندهم أو متوقعا وكلاهما باطل لأن منصب نبوته وفرط أمانته
تمنعه فتعين الأول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى
الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو إلى حكمه إنما كان قول
المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا
وأطعنا وأولئك هم المفلحون على عادة الله في اتباع ذكر المحق المبطل
والتنبيه على ما ينبغي بعد إنكاره لما لا ينبغي وقرئ قولُ بالرفع وليحكم
على البناء للمفعول وإسناده إلى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن
يطع الله ورسوله فيما يأمرانه أو في الفرائض والسنن ويخش الله

على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره وقرأ أبو بكر
وأبو عمرو وخلاد بخلاف عنه ويتقه بإسكان الهاء وقالون وهشام
بخلاف عنه باختلاس كسرتها والباقون بصلتها وحفص بإسكان القاف
واختلاس كسرة الهاء فشبه تقه بكتف فخفف والهاء في الوقف ساكنة
بالاتفاق فأولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم وأقسموا بالله جهد
أيمانهم إنكار للامتناع عن حكمه لئن أمرتهم بالخروج عن ديارهم وأموالهم
ليخرجن جمعا لا قسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة
أي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية
المنكرة أو طاعة معروفة أمثل منها أو لتكن طاعة وقرئت بالنصب
على أطيعوا طاعة إن الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم
قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به
على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فإن تولوا فإنما عليه على محمد
ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وإن تطيعوه
في حكمه تهتدوا إلى الحق وما على الرسول إلا البلاغ المبين
التبليغ الموضح لما كلفتم وقد أدى وإنما بقي ما حملتم فإن أديتم

فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
خطاب للرسول والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم
في الارض ليجعلنهم خلفا في الارض متصرفين في الارض تصرف الملوك
في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم
او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم
يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وقرا ابو بكر
بضم التا وكسر اللام واذا ابتدا ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدؤا
وكسروا الالف وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية
والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعدا وقرا ابن كثير وابو بكر
بالتخفيف امنا منهم وكان رسول الله واصحابه مكثوا بمكة عشر
سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح
ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم
بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب
على ما هو به وخلافة الخلفا الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه
لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الاخرة

يعبدونني

يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد
او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا
حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر
هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد وحصول الخلافة فاولئك هم
الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل
هذه الايات او كفروا تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة واطيعوا الرسول في سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك
على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور به فيكون تكرير
الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرج
فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا
معجزين في الارض لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم
واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين وقرا ابن عامر وحمزة بالياء
على ان الضمير لمحمد والمعنى كما في القراءة بالتا او الذين كفروا فاعل
والمعنى لا يحسبن الكفار في الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين
في الارض نعتيه او لا يحسبنهم معجزين فحذف المفعول الاول

لان الفاعل والمفعول لشيء واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث
ومأواهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا
ليسوا بمعجزين ومأواهم النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق
نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين آمنوا
ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد
الفراغ عن الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام
وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب
الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلاما لاسماء بنت ابي مرثد دخل
عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري
وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف
عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا
هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي فوجده وقد
نزلت عليه هذه الآية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم
يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلاث
مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام

من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب
بدلا من ثلاث مرات او الرفع خبرا لمحذوف اي هي من قبل وحين تضعون
ثيابكم اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد
صلاة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف
ثلاث عورات لكم اي هي ثلاث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ
وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة
والكسائي وابو بكر ثلاث بالنصب بدلا من ثلاث مرات ليس عليكم ولا عليهم
جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان وليس فيه ما
ينافي آية الاستئذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول
عليه وتلك في الاحرار البالغين طوافون عليكم اي هم طوافون استئناف
ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة
وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاثة
وغيرها بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف
بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات اي
الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ الاطفال

منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم من الذين بلغوا قبلهم
فى الاوقات كلها ويستدل به من اوجب استئذان العبد البالغ على سيده
وجوابه ان المراد بهم المعهودون فيما تقدم فلا يتناولهم فيهم
كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة فى الامر
بالاستئذان والقواعد من النساء العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل
اللاتى لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن
ثيابهن اى الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام فى القواعد
بمعنى اللاتى او لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امر باخفائها
فى قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف فى اظهار ما يخفى من قولهم
سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا
بسوادها كله لا يغيب منه شىء الا انه خص بتكشف المرأة زينتها ومحاسنها
للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة
والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفى لما كانوا يتحرجون من مواكلة
الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح

ويبيح

ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة
ان لا يكون ذلك من طيب قلب او بما به من يدعوهم الى بيوت آبائهم واولادهم
واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا
علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة او كان فى اول الاسلام ثم نسخ بنحو
قوله لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفى للحرج
عنهم فى القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده ولا على
انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم من البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل
فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله انت ومالك لابيك
وقوله ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت
آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم
او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه
وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او
حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به
وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط
فى اموالهم وامسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله

انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء
فانه يعتاد التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج
للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تا
كلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من
كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل
بهم ضيف لا ياكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام
لاختلاف الطبائع في القذارة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت
فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية
من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان تكون صلة
للتحية فانها طلب الحياة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى
التسليم مباركة لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب طيبة تطيب بها
نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك
واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى
فانها صلاة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات كرره
ثلاثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاوليين

بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله من صميم
قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب
والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع
لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا رسول الله فياذن لهم
واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه
عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن
مجلس رسول الله بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال
ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد
ان المستاذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بلا اذن ليس كذلك فاذا
استاذنوك لبعض شانهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة
وتضييق للامر فاذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى راي الرسول
واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رايه ومن منع ذلك قيد
المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه فكان المعنى فاذن لمن علمت
ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر
قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد

رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا
دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة
والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه
محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت
به والنداء وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله
مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء
بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه
ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب قد
يعلم الله الذين يتسللون منكم ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظيره
تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضكم ببعض
حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه
على الحال فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون
امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى
الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا
صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف

عنه

عنه والضمير لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر
ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة و
استدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر
مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على خشية المشروط
بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما في السموات
والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة والموافقة
والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد ويوم
يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب
ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال
بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية
عن النبي صلعم قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن
ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي **سورة الفرقان مكية وآيها**
سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير

او تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى
الزيادة وترتيبه على تنزيل الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على
تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها
وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين
اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره
او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال
وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كقوله لقد انزلنا اليكم او الا
نبيا على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان
للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار
وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم
وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح
مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في
الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه
وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء
احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقة الانسان

من مواد

من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا فقدره وهيأه
لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك
والفهم والنظر والتدبر واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة
الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد
يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون
المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا
من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في
الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم
ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر
ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ولا يملكون
اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل
عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه
على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا
ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتريه اختلقه واعانه
عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه

بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد
جاءوا ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا
بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان
تعديته وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها
كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصل اكتتبها
كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم
حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا
ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او لتكتب قل انزله
الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم عن اخركم بفصاحته
وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم
الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك
لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم
ان يصب عليكم صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذي يزعم
الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الاسواق
لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله

حالنا

حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل
عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار
اليه بقوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي لولا انزل اليه ملك فيكون
معه نذيرا لنعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز
فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له جنة يأكل منها
هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له
بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة و
الكسائي بالنون وقال الظالمون وضع الظالمون موضع ضميرهم
تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا
مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا
ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة
واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة
خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون
سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذي
ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا ولكن اخره الى الآخرة

لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا
عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط
اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع لقوله وان اتاه خليل
يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا بوعد
ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا
بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان
الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك او فلذلك كذبوك لا لما
تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب
ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك
فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاشتعال
وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى
منهم كقوله لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث تكون احداهما
بمرأى منها الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم من
مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا
صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه

هذا

هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله
فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها
على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها بيان لما
تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق كما ان
الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات
والارض مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنا
لك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون هلاكا وينادون فيقولون
يا ثبوراه تعالى فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال
لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها
ثبور لشدته او لانه يتجدد لقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت
ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة
الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم
او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة
الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا

كانت لهم في علم الله واللوح او لان ما وعده الله في تحققه كالواقع
جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم
ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي
الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه
من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر
ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان
كل المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم
كان على ربك وعدا مسؤلا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد
اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسال ويطلب او مسؤلا سال
الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة
بقولهم وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب
لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان
تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز
ويوم يحشرهم للجزاء وقرا ابن كثير ويعقوب وحفص
بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما

لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه
اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا
او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة
السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما
قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب
وقرا ابن عامر بالنون أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل
لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام
تقريع وتبكيت للعبدة واصله أأضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي
حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة
فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة الضلال للمبالغة قالوا سبحانك
تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون او جمادات لا
تقدر على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف
يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله تعالى عن الانداد ما كان ينبغي
لنا ما يصح لنا ان نتخذ من دونك اولياء للعصمة او لعدم القدرة
فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ نتخذ

على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله
إبراهيم خليلا ومفعوله الثاني من أولياء ومن للتبعيض وعلى الأول مزيدة
لتأكيد النفي ولكن متعتهم وآباءهم بأنواع النعم فاستغرقوا في الشهوات
حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك والتدبر في
آياتك وهو نسبة الضلال إليهم من حيث إنه بكسبهم وإسناده له إلى ما فعل الله
بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا إليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة
وكانوا في قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه
الواحد والجمع أو جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات إلى العبدة
بالاحتجاج والإلزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون
بما تقولون في قولكم إنهم آلهة أو هؤلاء أضلونا والباء بمعنى في أو مع المجرور
بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء أي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا
فما يستطيعون أي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين
صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم إنه ليتصرف أي
يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم أيها المكلفون
نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط وإن عم كل من كفر أو فسق لكنه

في اقتضائه الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والإحباط
بالطاعة إجماعا وبالعفو عندنا وما أرسلنا قبلك من المرسلين
إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق أي إلا رسلا إنهم
فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه
كقوله وما منا إلا له مقام معلوم ويجوز أن تكون حالا اكتفى فيها
بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق
وقرئ يمشون أي تمشيهم حوائجهم أو الناس وجعلنا بعضكم لبعض
أيها الناس فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء و
المرسلين بالمرسل إليهم ومناصبتهم لهم العداوة وإيذاؤهم لهم
وهو تسلية لرسول الله على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء
والقدر أتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
لنعلم أيكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا أو حث على الصبر
على ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا بمن يصبر أو بالصواب فيما يبتلى به
وغيره وقال الذين لا يرجون لقاءنا لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث
أو لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة وأصل اللقاء الوصول إلى الشيء

ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به
الرؤية على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبرونا بصدق محمد
وقيل فيكونوا رسلا الينا او نرى ربنا فيامرنا بتصديقه واتباعه
لقد استكبروا في انفسهم اي في شانها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من
الانبيا الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتهم وما هو اعظم من ذلك
وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عا
ينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة
ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي
الاستيناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله
وجارة جساس ابانا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون
الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه
لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ
تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام
او بشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين
اما عام يتناول حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى

العامة

العامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر واما خاص
وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى
والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقول
الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم
وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها
الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح
غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف
فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا في
كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فا
حبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال
قوم استعصوا على سلطانهم فقدم الى اشيائهم فمزقها وابطلها
ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة
من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط في
حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن

نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول
ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس
والتحادث واحسن مقيلا مكانا يأوى اليه للاسترواح بالازواج و
التمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من
ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم
من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او
الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة
والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة
الى ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق
فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام
بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان
يأتيهم في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا في
ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرا ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت

وانزل

وانزل ونزل وتنزلت الملائكة بحذف ونزل بحذف نون الكلمة الملك
يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه
فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق
لانه متاخر او صفته والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين
عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض
اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة
لانها من روادفها والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط
كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافته فابى ان يأكل من طعامه
حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه
فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن آلى ان لا يأكل من طعامي وهو في
بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ
قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال
لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر
فامر عليا فقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة فرجع الى مكة
ومات يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا

والمراد هو كل من هو على الحق ولم يتشعب في طرق الضلالة يا ويلتا وقرئ بالياء
على الاصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام
كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او كتابه
او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان
يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل
من تشيطن من جن وانس للانسان خذولا يواليه حتى يؤديه الى الهلاك
ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول محمد يومئذ او في
الدنيا بثا الى الله يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا
بان تركوه وصدوا عنه وعنه من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده
ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني
مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا
انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار
ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء
اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من المجرمين كما جعلنا لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق

عتاب بهجر تلاوة قرآن

الشر

الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم
ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن كخبر بمعنى اخبر
لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلاثة
وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة
واحدة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله
كذلك لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه
فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى
حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القي عليه جملة لتعيا بحفظه ولعله
لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب
الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا نزل منجما
وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه
اذا نزل به جبرائيل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ
والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية
فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة
الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن

ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة
الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا و
قرأناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلث وعشرين واصل
الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل بسؤال عجيب كانه مثل
في البطلان يريدون به القدح في نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ
له في جوابه واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او لا
يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال
ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له الذين يحشرون على
وجوههم الى جهنم اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم
بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة على
ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على
الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره اولئك شر مكانا و
اضل سبيلا والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قل هل انبئكم بشر
من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم
على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا

انهم

انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد آتينا
موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء
الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر
متوازرون عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا
يعني فرعون وقومه فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم
فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام
الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار
الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد با
لنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله
او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة
الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم
وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية عبرة واعتدنا للظالمين
عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر
موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمود عطف على هم في جعلناهم

أو على الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تأويل القبيلة
وأصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيباً فكذبوه
فبينا هم حول الرس وهي البئر غير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم
وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي
فقتلوه فهلكوا وقيل الأخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار
وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم على
صبيانهم فتخطفهم فأغربها الصيد لذلك سميت مغرباً فدعا عليها
حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوه فأهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم
ورسوه أي دسوه في بئر وقروناً وأهل أعصار قيل القرن أربعون سنة وقيل
سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك إشارة إلى ما ذكر كثيراً لا يعلمها
إلا الله وكلا ضربنا له الأمثال بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين
إنذاراً وإعذاراً فلما أصروا أهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيراً فتتناه
تفتيتاً ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الأول منصوب بما دل
عليه ضربنا كأنذرنا والثاني بتبرنا لأنه فارغ ولقد أتوا يعني قريشاً
مروا مراراً في متاجرهم إلى الشام على القرية التي أمطرت مطر السوء يعني

سدوم

عظمى قرى قوم لوط أمطرت عليها الحجارة أفلم يكونوا يرونها في
مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشوراً
بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشوراً ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا
فمروا بها كما مرت ركابهم أو لا يأملون نشوراً كما يأمل المؤمنون طمعاً في الثواب
أو لا يخافونه على اللغة التهامية وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً
ما يتخذونك إلا موضع هزؤ أو مهزوءاً به أهذا الذي بعث الله رسولاً
محكي بعد قول مضمر والإشارة للاستحقار وإخراج بعث الله رسولاً
في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الإنكار تهكماً واستهزاء
ولولاه لقالوا أهذا الذي زعم أنه بعثه الله رسولاً إن كاد ليضلنا
عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في دعائنا إلى التوحيد
وكثرة ما يورد مما يسبق إلى الذهن أنها حجج ومعجزات لولا أن صبرنا
عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقييد للحكم
المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب
من أضل سبيلاً كالجواب لقولهم إن كاد ليضلنا فإنه يفيد نفي ما يلزمه
ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وإن أمهلهم

يأملو

ارأيت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا
وانما قدم المفعول الثاني للعناية به افانت تكون عليه وكيلا حفيظا
تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب
والثاني للانكار ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي
لهم الايات او الحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة
مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان من
آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا
كالانعام في عدم انتفاعهم بقرع الايات اذانهم وعدم تدبرهم فيما
شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها
تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب
ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون
احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم
المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان
لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف
هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن

وصد الناس

وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها
ولا ذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك
الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده
ربك فغير النظم اشعارا بانه المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة
حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل
الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى
ان ربك كيف مد الظل فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال
فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن
الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء
لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس
مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر
للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت
الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه
لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي
هو نوع من الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك

مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل
الامور او التفاضل مبادئ اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا
نير ودحى الارض تحتها فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على
تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا اى مسلطا مستتبعا اياه كما يستتبع
الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها
ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا قليلا قليلا الى ان ينتهي غاية نقصانه او
قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل
عليها وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في
ستره والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت
القطع او موتا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه
المسبوت للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه
الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى
ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان يا بني كما
تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرئ
الريح على التوحيد ارادة للجنس بشرا ناشرات للسحاب جمع نشور

وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون
على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا بتخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر
بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا
ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به
قال عليه السلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان
يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان
غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث وللمصدر كالقبول
وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة
فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته
وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك
اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى
البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى
الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين
يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان
اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم

هذا الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا
يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة
على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعم والانعام قنية الاناسي
وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها
على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها
وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف
ياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين
فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس
في القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة
والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما عام امطر
من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية او في
الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة
في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فأبى اكثر الناس
الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها
بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء

كان

كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط وامارات
بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فتخف
عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشأنك
وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة
واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له
وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم الذي يدل عليه
فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد
في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء
بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم
فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة
لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين
متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا
عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج
بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد
في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا
بليغا

كأن كلا منهما يقول للاخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا
وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير
طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر
الملح الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فيكون القدرة في
الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة كل عنصر ان تضامت وتلاصقت
وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة
آدم وجعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال
والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين
ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من
مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين
متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون
من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من
دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على
ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر

الجنس

الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت
به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسألكم
عليه على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا
من اجر الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه
ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر
من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا
لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض
للثواب والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه
واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته
وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفاء شرورهم
والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء
الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده
ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا
المزيد

الا انعم بالكفر على مخالفيه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن
خبيرا مطلعا فلا عليك ان امنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره
زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف
فيه وتحريض على الثبات والتاني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة
نفاذ امره في كل مراد خلق الاشيا على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي
ان جعلته مبتدا او لمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى
وقرئ بالجر صفة للحي فاسال به خبيرا فاسال عما ذكر من الخلق والا
ستوا عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او من وجده في الكتب
المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه
على الله تعالى فاسال عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجي ما يرادفه في كتبهم
وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدا والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى
بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتنا وقيل
انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم
ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا

السجدة

انسجد لما تامرنا اي للذي تامرناه بمعنى تامرنا بسجوده او لامرك لنا من
غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرا حمزة والكسائي
بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم نفورا
اي الامر بالسجود للرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السما بروجا
يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب
السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل
فيها سراجا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرا حمزة والكسائي
سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيا بالليل وقرئ
وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمرا ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد
والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة
يخلف كل منهما الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان
يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة
والجلسة لمن اراد ان يذكر ان يتذكر الا الله ويتفكر في صنعه فيعلم
ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد او اراد
شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين

والشاكرين من فاته ورده فى احدهما تداركه فى الاخر وقرا حمزة ان يذكر
من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائى فيه وعباد
الرحمن مبتدا خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض
واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون فى عبادة
على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا
مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون فى سكينة وتواضع واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا وبينكم
ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه
اية القتال لتنسخه فان المراد به الاغضاء عن السفهاء وترك مقا
بلتهم فى الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما فى الصلاة و
تخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتاخير
القيام للروى وهو جمع قائم او مصدر اجرى مجراه والذين يقولون ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته
وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق
وجلون من العذاب مبتهلون الى الله فى صرفه عنهم لعدم اعتدادهم

باعمالهم

باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اى بئست
مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف وبه ربط
الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة
تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء
من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا
ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق فى المحارم والتقتير
منع الواجب وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر
بضم الياء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك
قواما وسطا عدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى سواء لاستوائهما
وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو
خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون بين ذلك لغوا وقيل انه اسم
كان لكنه مبنى لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى
القوام فيكون كالاخبار بالشىء عن نفسه والذين لا يدعون مع
الله الها اخر لا يشركون ولا يقتلون النفس التى حرم الله اى حرمها بمعنى حرم
قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون

نفي عنهم امهات المعاصي بعدما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم
واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة
باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق
اثاما جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اى شدائد يقال يوم ذو
ايام لليوم الصعب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه في معناه
كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرا
ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن
كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد
وحذف الالف في يضعف وقرئ ونخلد على بناء المفعول مخففا وقرئ
مثقلا وتضعيف العذاب مضاعفة العقاب لانضمام المعصية
الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت
مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة
وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثيبه لكل عقاب ثوابا
وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات

ومن تاب

ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط
او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع اليه بذلك
متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله
الذي يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا
حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة
الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه
واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين
انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفحش
والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا
ذكروا بايات ربهم بالوعظ او القراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا
عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها
سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية والمراد من النفي نفي
الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول
عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين
بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله

في طاعة الله فيسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين
وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رايت منك اسدا و
قرا ابن كثير وابو عمرو وحفص وذريتنا بالافراد وتنكير الاعين لارادة
تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالا
ضافة الى عين غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين
بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده اما للدلالة على الجنس وعدم اللبس
كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد
منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع ام
كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم ومقتدين بهم اولئك يجزون
الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات
امنون وللعطف بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق
من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية
وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة
من كل افة وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون

ولا يخرجون

ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا
قل ما يعبأ بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا
دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة
والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بكم لولا دعاؤكم
معه الهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر
كانه قيل اي عبء يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه و
قيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه
وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس
عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما
يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم
في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف
وقيل المراد قتل يوم بدر فانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم
كالثبوت والثبات وعن النبي من قرا سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان
الساعة اتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى اخرها وهي مائتان وسبع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة ونافع يبين بين كراهة
للعود إلى الياء المهروب منها وأظهر نونه حمزة لأنه في الأصل منفصل عما
بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر إعجازه وصحته والإشارة إلى السورة
أو القرآن على ما مر في أول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك
وأصل البخع أن يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك
أقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالإضافة ولعل للإشفاق أي
أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة ألا يكونوا مؤمنين لئلا
يؤمنوا أو خيفة أن لا يؤمنوا إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية دلالة
ملجئة إلى الإيمان أو بلية قاسرة عليه فظلت أعناقهم لها خاضعين
منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع
الخضوع وترك الخبر على أصله وقيل لما وصفت الأعناق بصفات
العقلاء أجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء أو الجماعات من قولهم جاءنا
عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل
عطف وأكن على فأصدق لأنه لو قيل أنزلنا بدله لصح وما يأتيهم من
ذكر

موعظة أو طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه إلى نبيه محدث
مجدد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير إلا كانوا عنه
معرضين إلا جددوا إعراضا عنه وإصرارا على ما كانوا عليه
فقد كذبوا أي بالذكر بعد إعراضهم وأمعنوا في تكذيبه بحيث
أدى بهم إلى الاستهزاء به المخبر عنه ضمنا في قوله فسيأتيهم أنباء
إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة أنباء ما كانوا به يستهزئون
من أنه كان حقا أم باطلا وكان حقيقا بأن يصدق ويعظم قدره أو
يكذب فيستخف أمره أولم يروا إلى الأرض أولم ينظروا إلى عجائبها
كم أنبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل
ما يحمد ويرضى في بابه وههنا يحتمل أن تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة
على القدرة وأن تكون مبينة منبهة على أنه ما من نبت إلا وله فائدة إما
وحدها أو مع غيرها وكل لإحاطة الأزواج وكم لكثرتها إن في ذلك أن في
إنبات تلك الأصناف أو في كل واحد لآية على أن منبتها تام القدرة
والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان أكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه
فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام وإن ربك لهو العزيز

الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في
انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وامن واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر
او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت القوم الظالمين بالكفر
واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول او عطف
بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك
الا يتقون استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم
في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم
وغضبا عليهم وهم ان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل
اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبتدا اسماعهم مع ما
فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتامل مورده وقرئ بكسر النون
اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله
الا يسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق
لساني فارسل الى هرون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له
في الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا
عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب

عند

عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي
قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر
حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا ولا [illegible]
ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكون من جملة ما خاف منه ولهم
علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي
وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار القصة المبسوطة في مواضع
فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع
للبلية المتوقعة كما ان ذلك استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله
قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم
بردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال والخطاب في فاذهبا
على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل
ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته انا معكم يعني موسى
وهرون وفرعون مستمعون سامعون ما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه
مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد
اوليائه منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع

الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو مطلق ادراك الحروف والاصوات
وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا انا رسول
رب العالمين افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل و
الرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم
برسول ولذلك ثني تارة وافرد اخرى او لاتحادهما للاخوة او لوحدة المرسل
والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل معنا بني اسرائيل اي
ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم
يذهبوا معنا الى الشام قال اي فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له
ذلك الم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة
ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين
عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين
وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعد ما
عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز
وانت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الآن
فانه كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون

عدل الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور
حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل قال ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا
على السخرية قال رب المشرق والمغرب تشاهدون كل يوم انه يأتي
من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها
الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات وما بينهما ان كنتم
تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم
اولا لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم قال
لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى
التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند
المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره للصانع وان
تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان
دهريا اعتقد ان من ملك قطرا او تولى امره بقوة طالعه استحق
العبادة من اهله واللام في من المسجونين للعهد اي ممن عرفت
حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا

حكماً مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بالهيئة أو بنعمته لما عاد عليه با
لمخالفة أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين
من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه
أو من المخطئين لأنه لم يتعمد قتله أو الذاهلين عما يؤول إليه الوكز
لأنه أراد به التأديب أو الناسين من قوله أن تضل إحداهما ففررت
منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً حكمة وجعلني من المرسلين رد أولاً
بذلك ما وبخه به قدحاً في نبوته ثم كر على ما عد عليه من النعمة ولم
يصرح برده لأنه كان صدقاً غير قادح في دعواه بل نبه على أنه كان في
الحقيقة نقمة لكونه مسبباً عنها فقال وتلك نعمة تمنها على
ظاهراً وهي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل وقصدهم بذبح أبنائهم
فإنه السبب في وقوعي إليك وحصولي في تربيتك وقيل إنه مقدر بهمزة
الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي أن عبدت ومحل أن عبدت الرفع على
أنه خبر محذوف أو بدل نعمة أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل
تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيانها والمعنى
تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وإنما وحد الخطاب في تمنها وجمع في منكما

و

ولذلك لأجعلنك أبلغ من لأسجننك قال أولو جئتك بشيء مبين أي أتفعل
ذلك ولو جئتك بشيء يبين صدقي في دعواي يعني المعجزة فإنها الجامعة بين
الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته
فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فأت به إن كنت من
الصادقين في أن لك بينة أو في دعواك فإن مدعي النبوة لا بد له
من حجة فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق
الثعبان من ثعبت الماء فانثعب إذا فجرته فانفجر ونزع يده فإذا هي
بيضاء للناظرين روي أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج
يده قال ما فيها فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي
الأبصار ويسد الأفق قال للملإ حوله مستقرين حوله فهو ظرف
وقع موقع الحال إن هذا لساحر عليم فائق في علم السحر يريد
أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة
حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم
عن موسى وإظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا
أرجه وأخاه أخر أمرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين شرطاً

يحشرون

قبله لان النعمة كانت منه وفعله على الحقيقة فالقول رؤيته ومع ما لانه
قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو
بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة
المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه واثاره
لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار
بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم
ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها
فلها مبدئ واجب لذاته وذلك المبدئ لا بد وان يكون
مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا
لزم تعدد الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك
الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه
وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون
جوابه سأله عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي
واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية
او غير معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب ابائكم الاولين

كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حفص وقنبل وحمزة والكسائي والكل
وروح امنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا لا ضير لا ضرر
علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا به فان الصبر عليه
محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب من اسباب الموت
والقتل انفعها وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا لان
كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى
تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على
الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل
بامره واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي
وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم
الايات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر
النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر انكم متبعون
يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى
اذا اتبعكم مصبحين كان لهم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم
قبل

قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون
مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في
المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة
القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا بالاضافة
الى جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة
الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون
باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل وانهم لنا لغائظون لفاعلون
ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال
الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم
ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم
حثا عليهم او اعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر
سلطانه وقرأ ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاول للثبات
والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من
الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء
قال احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر وتالي
السلاح

سحره ان السحرة يأتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه في هذا الفن
وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات
يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون
فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تابط
شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق اي
ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا اما الترجي باعتبار الغلبة المقتضية
للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق
الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين
التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا
فاذن مقتضية للجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم
موسى القوا ما انتم ملقون اي بعد ما قالوا له اما ان تلقي
واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن
في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق

فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون أقسموا بعزته
على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم أو لإتيانهم بأقصى ما يمكن أن
يؤتى به من السحر فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف تبتلع وقرأ حفص
تلقف بالتخفيف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم
فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى أو إفكهم تسمية للمأفوك به
مبالغة فألقي السحرة ساجدين لعلمهم بأن مثله لا يتأتى بالسحر
وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له
وأن التبحر في كل فن نافع وإنما بدل الخرور بالإلقاء ليشاكل ما قبله
ويدل على أنهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أنفسهم وكأنهم أخذوا
فطرحوا على وجوههم أو أن الله ألقاهم بما خولهم من التوفيق قالوا
آمنا برب العالمين بدل من ألقي بدل الاشتمال أو حال بإضمار قد رب
موسى وهارون إبدال للتوضيح ودفع التوهم والإشعار على أن
الموجب لإيمانهم ما أجراه على أيديهما قال آمنتم له قبل أن آذن
لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك
غلبكم أو فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه أراد به التلبيس على قومه

كيلا

السؤال

فإن ذلك يوجب حدتهم في الطلب فأخرجناهم بأن خلقنا داعية
الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الإخراج أخرجناهم
فهو مصدر أو مثل ذلك المقام الذي كان لهم على أنه صفة مقام أو
الأمر كذلك فيكون خبرا لمحذوف وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم فلحقوهم
داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل منهما
الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال أصحاب موسى إنا لمدركون لملحقون وقرئ
لمدّركون من ادّرك الشيء إذا تتابع ففني أي لمتتابعون في الهلاك على
أيديهم قال كلا لن يدركوكم فإن الله وعدكم الخلاص منهم إن معي ربي
بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة منهم روي أن مؤمن آل فرعون
كان بين يدي موسى فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك
آل فرعون قال أمرت بالبحر ولعلي أومر بما أصنع فأوحينا إلى موسى أن اضرب
بعصاك البحر القلزم أو النيل فانفلق أي فضرب فانفلق وصار
اثني عشر فرقا بينها مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف
الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب وأزلفنا وقربنا

الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم وأنجينا موسى ومن
معه أجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا ثم أغرقنا الآخرين
بإطباقه عليهم إن في ذلك لآية وأي آية وما كان أكثرهم مؤمنين
وما تنبه عليها أكثرهم إذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي من مصر من القبط و
بنو إسرائيل بالاتفاق سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وإن ربك لهو العزيز المنتقم من أعدائه
الرحيم بأوليائه واتل عليهم على مشركي العرب نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه
وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة
قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين فأطالوا جوابهم بشرح حالهم
معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها
بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون
فحذف ذلك لدلالة إذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم أي يسمعونكم الجواب
عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع إذ على حكاية الحال الماضية استحضارا
لها أو ينفعونكم على عبادتكم لها أو يضرون من أعرض عنها قالوا بل
وجدنا آباءنا كذلك يفعلون أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع

منهم ضر أو نفع والتجأوا إلى التقليد قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم
وآباؤكم الأقدمون فإن التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل
حقا فإنهم عدو لي يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث إنهم يتضررون
من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو أن المغري بعبادتهم
أعدى أعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الأمر في نفسه تعريضا لهم
فإنه أنفع في النصح من التصريح وإشعارا بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون
أدعى إلى القبول وإفراد العدو لأنه في الأصل مصدر أو بمعنى النسب إلا رب
العالمين استثناء منقطع أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبدوه
وكان من آبائهم من عبد الله الذي خلقني فهو يهدين لأنه يخلق كل مخلوق
لما قدر له من أمر المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية
مدرجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع
ودفع المضار مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص
دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بلذائذها
والفاء للسببية إن جعل الموصول مبتدأ وللعطف إن جعل صفة رب العالمين
فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية والذي هو

يطعمني ويسقين على الاول اشعار بمجازية الخبر لكون الكلام بما لا يقدر عليه وكذا الاول
يحيين وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحد من الصلات
مستقلة باقتضاء الحكم واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين
لانه من روادفهما من حيث الصحة والمرض في الاغلب يحدثان من المأكول
والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعداد النعم ولا ينتقض باسناد
الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه انما الضرر في مقدماته
وهي المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي تستحقر دونها
يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط
والاركان من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها
والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة الله الحكيم الذي
يميتني ثم يحيين في الآخرة والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر
ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر
وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه
من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله
هي اختي ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما كمالا

في القلم

٢٦ شعراء آية ٨٤

في العلم والعمل استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين
ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين
لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره واجعل لي لسان صدق في الآخرين
جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم القيامة ولذلك ما من
امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل
ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد واجعلني من
ورثة جنة النعيم في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لابي
بالهداية والتوفيق للايمان انه كان من الضالين الطريق
وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان
تقية من نمرود ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار
للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض
الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب
والدي او ببعثه في عداد الضالين فهو من الخزي بمعنى الهوان
او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون
او للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم

اى لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر
افاته او لا ينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله
في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا
عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل عليه
المال والبنون اى لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن
سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه وازلفت الجنة للمتقين
بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم
للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفي
اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون
من دون الله اين الهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع
العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم والهتهم يدخلون
النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون اى الالهة وعبدتهم والكبكبة
تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى
حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس متبعوه من عصاة الثقلين او
شياطينه اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتدا خبره ما بعده ولا

للضمير

للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله قالوا وهم
فيها يختصمون اى في استحقاق العبادة تالله ان كنا لفي ضلال مبين
على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله
اذ نسويكم برب العالمين ويجوز ان تكون الضمائر للعبدة كما في قالوا
والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في
مبدا ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها
وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين من الملائكة والانبيا
ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا
في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحد
الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولان الصديق
الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع
كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة
تمن للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير
او شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة

لو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لاية فيما ذكر من قصة ابرهيم لاية لحجة
وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير
يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم
الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم
وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد
على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع
والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين به وان ربك لهو العزيز
القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا هم او احد
من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك تصغر
على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم
نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره اني لكم رسول
امين مشهور بالامانة فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد
والطاعة لله وما اسالكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح
من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد
والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم

اليه فكيف اذا اجتمعا قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها
ومالا جمع الارذل على الصحة وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد
واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور
رايهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا
عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه ودليلا على بطلانه واشاروا
بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة
فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا
في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم
على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم
ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين
جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث
جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له
اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي
سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع
الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا علي

اذا امنت لهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من
المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة قال رب ان
قومي كذبون اظهار لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا
تخويفهم له واستثقالهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم
من الفتاحة ونجني ومن معي من المومنين من قصدهم او شوم عملهم
فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد بعد انجائه البا
قين ان في ذلك لاية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مومنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة
وهو في الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على
الدعا الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده
عن عقابه وكان الانبيا متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض
التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية
اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها اية علما للمارة

تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها
او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون
بها وتتخذون مصانع ماخذ الما وقيل قصورا مشيدة وحصونا
لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبا
رين
متسلطين غاشمين بلا رافة ولا قصد تاديب ونظر في العاقبة
فاتقوا الله بترك هذه الاشيا واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم
واتقوا الذي امدكم بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله اياهم
بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام
الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم
كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون
مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بانعام وبنين
وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
في الدنيا والاخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام
قالوا سوا علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي
عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه للمبالغة في قلة

اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به ا
لا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث
ولا حساب وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اي ما هذا الذي جئت
به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه من
الحياة والموت الا عادة قديمة وما نحن بمعذبين
على ما نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود
المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فا
تقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اتتركون فيما ها هنا امنين انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة
في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم امنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون
وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر او لان النخل
انثى وطلع اناث النخل الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه
شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر
اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال

بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق
يعمل بنشاط وطيب قلب وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع فرهين وهو ابلغ فا
تقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد
الامر لامتثال الامر او نسب حكم الامر الى امره مجازا الذين يفسدون
في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون
دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت من المسحرين الذين
سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم او من ذوي السحر وهي الرئة اي من الانا
س فتكون ما انت الا بشر مثلنا تاكيد له فات باية ان كنت من الصادقين
في دعواك قال هذه ناقة اي بعدما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما
اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي و
القوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا
تزاحموها في شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فياخذكم عذاب يوم
عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها
اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا
جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة

او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب
الموعود ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين في نفي الايمان عن اكثرهم
في هذا المعرض ايماء بانه لو امن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب
وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من امن منهم وان ربك لهو العزيز
الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين اي اتاتون
من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم غيركم او اتاتون
الذكران من اولاد ادم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزنكم
فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون
ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم من ازواجكم بيان لما ان اريد به جنس الاناث
او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن ويكون تعريضا بانهم كانوا
يفعلون ذلك بنسائهم بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد
الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي
وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة

قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن
من المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه
على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين من المبغضين غاية
البغض لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول
اني لعملكم قال لدلالته على انه معدود في زمرتهم مشهور بانه
من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اي من شؤمه وعذابه فنجيناه
واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم
وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امرأة لوط في الغابرين مقدرة
في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت
مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقي في القرية
فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم
قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم مطرا فساء مطر
المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل
ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب

اصحاب الايكة المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب
مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا
ولذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة
الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرا ابن كثير ونافع وابن
عامر ليكة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة
على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الف اتباعا للفظ
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق
الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي
وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا
ففعلال وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا
تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل
والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين
وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت
من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه

جامع

جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين
في دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر
به الامر بالتقوى من التهديد وقرا حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين
في دعواك قال ربي اعلم بما تعملون وبعذابه منزل عليكم ما اوجبه
لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم
الظلة على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى
غلت انهارهم فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا
فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا اخر القصص السبع
المذكورة على الاختصار تسلية لرسول الله وتهديدا للمكذبين
واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقترحهم
له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات
فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب
العالمين تنزيل الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص
وتنبيه على اعجاز القران ونبوة محمد فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها

لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب [illegible] الروح فقال لما قال [illegible]
النقص فتخصيص لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل
منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح
المتخيلة والروح الامين جبرائيل فانه امين الله على وحيه الى الانبياء وقرا
ابن عامر وابو بكر بتشديد الزاي ونصب الروح والامين لتكون من المنذرين
عما يؤدي الى عذاب من فعل او ترك بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا
يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي
لتكون من الذين انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل
وشعيب ومحمد وانه لفي زبر الاولين وان ذكره او معناه لفي الكتب
المتقدمة اولم يكن لهم آية على صحة القرآن او نبوة محمد ان يعلمه
علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير
لكونه دليلا وقرا ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر
لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او الاسم ضمير
القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو
زيادة في اعجازه او بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم

واستكبارهم

واستكبارهم او لعدم تفهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي
على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه ادخلناه في
قلوب المجرمين الكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فدلت الآية
على انه بخلق الله وقيل للقرآن اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه
ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى
الايمان فيأتيهم بغتة في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا
هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا أفبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر
علينا حجارة فائتنا بما تعدنا واحوالهم عند نزول العذاب طلب النظرة أفرأيت
ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما
اهلكنا من قرية الا لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى
تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار او الرفع
على انها صفة منذرين باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة
او خبر محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين
وقبل الانذار وما تنزلت به الشياطين كما زعم المشركون انه من قبيل

مما يلقي الشيطان على الكهنة وما ينبغي لهم وما يصلح لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون
وما يقدرون انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة
في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم
خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق
ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة فلا تدع مع الله الها آخر فتكون
من المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين وانذر
عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم
روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال
لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني
نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط
ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض
على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون با
للسان فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه
او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر

اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل
على الابدال من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم الى التهجد وتقلبك في
الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض
قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة
طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة
او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم
وانما وصفه الله بعلمه بحاله التي بها يستاهل ولايته بعد تحقيقه
بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه
عليه انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه هل انبئكم على من تنزل
الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون
مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا لا يصلح لان يتنزلوا
عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم
فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال
محمد على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون
اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا

واما الان فلنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشيا
لا يطابق اكثرها كما جا في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن
وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد فانه اخبر عن مغيبات
كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك اثيم والاظهر
ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هولا قل من يصدق منهم فيما يحكي
عن الجني وقيل الضمائر للشياطين اي يلقون السمع الى الملا الاعلى قبل
ان يرجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او
يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به
اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور
فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعرا يتبعهم الغاوون وابطال
لكون محمد شاعرا وتقرير له بقوله
الم تر انهم في كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة
لها واغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهاء وتمزيق
الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار
بالباطل ومدح من لا يستحقه والاطرا فيه واليه اشار بقوله

وانهم

وانهم يقولون ما لا يفعلون وكانه لما كان اعجاز القران من جهة
اللفظ والمعنى وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين
وفي اللفظ بانه من جنس كلام الشعرا تكلم في القسمين وبين منافاة
القران لهما ومضادة حال الرسول لحال اربابهما وقرا نافع يتبعهم على
التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد الا
الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد
ما ظلموا استثنا للشعرا المومنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله
ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثنا على الله والحث على طاعته
ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة
المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان
عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك
انه عليه السلام قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل
وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما في
سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم
وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلا

لعربهم حتى عهد الله وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو
النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله و
سيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلعم من قرأ سورة
الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب
به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق
بمحمد عم سورة النمل مكية وهي تسعون وثلث او اربع اية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك ايات القرآن وكتاب مبين الاشارة الى السورة
والكتاب المبين اما اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو
كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به
وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه
من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى
الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على
حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين
حالان من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها

الزكاة

او خبران اخران لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون
من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة
على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية
كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون
بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على
المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالآخرة
زينا لهم اعمالهم زينا اعمالهم القبيحة بان جعلناها مشتهاة
للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها
بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها ما يدركون ما يتبعها
من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر
وهم في الآخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة
واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القرآن لتؤتاه من لدن حكيم
عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة
لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم
القرآن

مما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار
عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك القصص بقوله إذ قال موسى
لأهله إني آنست نارا أي اذكر قصته إذ قال ويجوز أن يتعلق
بعليم سآتيكم منها بخبر أي عن حال الطريق لأنه قد ضل وجمع
الضمير إن صح أنه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالأهل والسين
للدلالة على بعد المسافة أي الوعد بالإتيان وإن أبطأ أو
آتيكم بشهاب قبس شعلة نار مقبوسة وإضافة الشهاب إليه لأنه
يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على أن القبس
بدل منه أو وصف له لأنه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل
الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد للدلالة على أنه إن لم يظفر
بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الأمر وثقة بعادة الله أنه
لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء أن تستدفئوا
بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي أن بورك أي بورك
فإن النداء فيه معنى القول أو بأن بورك على أنها مصدرية أو مخففة
من الثقيلة والتخفيف وإن اقتضى التعويض بلا أو قد أو السين

أو سوف لكنه لما دعا كان الفعل دعاء في كلام كثير من في النار ومن حولها
من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله
في البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر أنه عام في كل من في ذلك
الوادي وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث
الأنبياء وكفاتهم أحياء وأمواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم
الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب
بذلك بشارة بأنه قد قضي له أمر عظيم تنتشر بركته في أقطار
الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من
سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الأمر أو تعجب من موسى
لما دهاه من عظمته يا موسى إنه أنا الله الهاء للشأن وأنا الله جملة مفسرة
له أو للمتكلم وأنا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله
ممهدتان لما أراد أن يظهره يريد أنا القوي القادر على ما
يبعد من الأوهام كقلب العصا حية والفاعل ما أفعله بحكمة
وتدبير وألق عصاك عطف على بورك أي نودي أن بورك من
في النار وأن ألق عصاك ويدل عليه قوله وأن ألق عصاك

بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب
كأنها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب
من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا
كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك الامر اريد به ويدل عليه قوله
يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون
اي حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس اي من الله او
لا يكون لهم عندي سوء العاقبة فيخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا
بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في
الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان
فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة
وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف
على محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل يدك في جيبك
لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع
تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات في جملتها او معها
على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم

والطمس والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا
واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث
به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق
الى فرعون وقومه وعلى الاول يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا انهم كانوا
قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة
بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار
بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي
والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها
وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته
وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو
للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على
العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا
والاحراق في الآخرة ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من
العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم وقالا الحمد لله عطفه
بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة

كأنه قال ففعلا شكراً له ما فعلا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من
عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علماً أو مثل علمهما وفيه دليل على فضل
العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا
دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على أن يحمد
الله على ما آتاه من فضله وأن يتواضع ويعتقد أنه وإن فضل على كثير
فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة أو العلم أو الملك
بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا أيها الناس
علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء تشهيراً لنعمة الله وتنويهاً بها
ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير
وغير ذلك من عظائم ما أوتيه والنطق والمنطق في المتعارف كل
لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً أو مركباً وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه
أو التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان و
الجماد فإن الأصوات الحيوانية من حيث إنها تابعة للتخيلات منزلة
منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الأغراض بحيث
يفهمها ما من جنسه ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية

التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي أنه
مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا
العفاء وصاحت فاختة فقال إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله
كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم
قلب والضمير في علمنا وأوتينا له ولأبيه أو له وحده على
عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد به كل شيء كثرة ما
أوتي كقولك فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء إن هذا لهو الفضل
المبين الذي لا يخفى على أحد وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس
والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا حتى إذا
أتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل إليه بعلى
إما لأن إتيانهم كان من عال أو لأن المراد قطعه من قولهم أتى على
الشيء إذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا أخريات الوادي
قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم كأنها لما رأتهم متوجهين
إلى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة
تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء

ومناصحتهم ولذلك أجروا مجراهم مع أنه لا يمتنع خلق الله تعالى فيها
العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد
نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا أرينك ههنا فهو استئناف
أو بدل من الأمر لا جواب له فإن النون لا تدخله في السعة وهم لا يشعرون
أنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم
والإيذاء وقيل استئناف أي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم
ضاحكاً من قولها تعجباً من حذرها وتحذيرها واهتدائها إلى مصالحها
أو سروراً بما خصه الله تعالى به من إدراك همسها وفهم غرضها ولذلك
سأل توفيق شكره وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت
علي وعلى والدي اجعلني أزع شكر نعمتك عندي أي
أكفه وأرتبطه لا ينفلت عني بحيث لا أنفك عنه وأدرج ذكر الوالدين
تكثيراً للنعمة أو تعميماً لها فإن النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة
عليه يرجع نفعها إليهما سيما الدينية وأن أعمل صالحاً ترضاه تماماً للشكر
واستدامة للنعمة وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم
الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي

لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن
أنه حاضر لا يراه لساتر أو غيره فقال ما لي لا أراه ثم احتاط
فلاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه
يسأل عن صحة ما لاح له لأعذبنه عذاباً شديداً كنتف
ريشه وإلقائه في الشمس أو حيث النمل يأكله أو جعله مع ضده في
قفص أو لأذبحنه ليعتبر به أبناء جنسه أو ليأتيني بسلطان مبين
بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم
الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الأمور الثلاثة ثلث
المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير أو ليأتينني بنونين
الأولى مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد زماناً غير مديد يريد به الدلالة
على سرعة رجوعه خوفاً منه وقرأ عاصم بفتح الكاف فقال أحطت
بما لم تحط به يعني حال سبأ وفي مخاطبته إياه بذلك تنبيه على
أن في أدنى خلق الله من أحاط علماً بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه
ويتصاغر لديه علمه وقرئ بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير
إطباق وجئتك من سبأ وقرأ ابن كثير برواية البزي وأبو عمرو

غير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة بنبأ يقين يحقق قوله روي انه لما
اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام بها ما شاء ثم توجه الى اليمن
فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها
فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحس طلل الماء
فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا
واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع
بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة
عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها اني وجدت امرأة تملكهم
يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان والضمير لسبا او لاهلها واوتيت
من كل شيء يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة
اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا
او ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم
عبادة الشمس ونحوها من مقابح افعالهم فصدهم عن السبيل سبيل
الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا لله فصدهم لئلا يسجدوا

اوزين

او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان
يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه
ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله الا يا اسمع
نعظك بخطة فقلت سميعا فانطق واصيب وعلى هذا صح ان يكون
استئنافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون ويكون
امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب
السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء والا
تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في
السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون وصفه له بما يوجب
اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا
على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه
اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات
بالانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج
ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص
بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون

بالثنا الله الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام
واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنعرف
من النظر بمعنى التأمل اصدقت ام كنت من الكاذبين اي ام كذبت
والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فالقه
اليهم ثم تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا
يرجعون ما يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اي بعد ما القي
اليها يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله
او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية في بيت
مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة والقاه على نحرها بحيث
لم يشعر به انه من سليمان استئناف كانه قيل لها ممن هو
وما هو فقالت انه اي الكتاب او العنوان من سليمان وانه
وان المكتوب او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب
او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم
الا تعلوا علي ان مفسرة او مصدرية فتكون بصلتها خبر محذوف
اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب واتوني مسلمين

غاية الوجازة مع كمال الدلالة
...لة على ذات الصانع و
...ي عن الترفع الذي هو ام الرذائل
...ت الفضائل وليس الامر فيه بالا
...لته حتى يكون استدعاء للتقليد
...تلك الحالة من اعظم الدلالة
...مري اجيبوني في امري الفتي واذكروا
...عة امرا حتى تشهدون
...الهيها على الاجابة قالوا نحن اولو
...ة واولو باس شديد نجدة وشجاعة والامر
...ي من المقاتلة والصلح فانظري
اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف
...تلة بادعائهم القوى الذاتية
الصلح مخافة ان يتخطى سليمان
...دفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب

بالثناء الله الذى لا اله الا هو رب العرش العظيم الذى هو اول الاجرام
واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف
من النظر بمعنى التأمل اصدقت ام كنت من الكاذبين اى ام كذبت
والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابى هذا فالقه
اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا
يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اى بعد ما القى
اليها يا ايها الملأ انى القى الى كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله
او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية فى بيت
مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة والقاه على نحرها بحيث
لم تشعر به انه من سليمان استئناف كانه قيل لها ممن هو وما هو
فقالت انه اى الكتاب او العنوان من سليمان وانه
وان المكتوب او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب
او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم
الا تعلوا على ان مفسرة او مصدرية فتكون بصلتها خبر محذوف
اى هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل كتاب واتونى مسلمين

مؤمنين او منقادين وهذا كلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة
على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع و
صفاته صريحا او التزاما والنهى عن الترفع الذى هو ام الرذائل
والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالا
نقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد
فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة
قالت يا ايها الملأ افتونى فى امرى اجيبونى فى امرى الفتى واذكروا
ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا ما ابت امرا حتى تشهدون
الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة قالوا نحن اولو
قوة بالاجساد والعدد واولو باس شديد نجدة وشجاعة والامر
اليك موكول فانظرى ماذا تامرين من المقاتلة والصلح نطعك
ونتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف
لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية
والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان
خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحزم

سجالا لا يدرك عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب
ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما
وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة
او تصديق لها من الله عز وجل وانى مرسلة اليهم بهدية بيان لما
تقدمه فى المصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها
عن ملكى فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك
روى انها بعثت منذر بن عمرو فى وفد فارسلت معهم غلمانا على زى الجوارى
وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب
وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا
وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى عسكره ورأوا عظمة امره تقاصرت
اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبرئيل بالحال وطلب
الحق واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فى الدرة
وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا بالماء
وكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به
على وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء

سليمان

سليمان اى الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا قال اتمدونن
بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرا حمزة
ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف اليا فما اتانى الله
من النبوة والملك الذى لا مزيد عليه خير مما اتاكم فلا حاجة لى الى هديتكم
ولا وقع لها عندى بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا
من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه
افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه
وتقليله الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم فى قصور
الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع اليهم ايها الرسول الى بلقيس
وقومها فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها
ولا قدرة على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من سبا
اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون
قال يا ايها الملا ايكم ياتينى بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض
ما خصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه
فى دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتهتدى ام تكون

قبل أن يأتوني مسلمين فإنها إذا أتت مسلمة لم يحل أخذها إلا برضاها قال
عفريت خبيث مارد من الجن بيان له لأنه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر
أقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخر أنا آتيك به قبل أن تقوم من
مقامك مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف النهار وإني عليه لقوي
أمين لا أختزل منه شيئا ولا أبدله قال الذي عنده علم من الكتاب
آصف بن برخيا وزيره أو الخضر أو جبريل أو ملك أيده الله
سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم
وأن هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في أنا آتيك به قبل أن يرتد
إليك طرفك للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو أراد إظهار
معجزة في نقله فتحداهم أولا ثم أراهم أنه يتأتى له ما لا يتأتى لعفاريت
الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح
وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الأ
جفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بإرسال الطرف كما
في قوله وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر
وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى أنك ترسل طرفك

نحو شيء

نحو شيء فقبل أن ترده أحضر عرشها بين يديك قال تلقيا للنعمة
بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا من فضل ربي تفضل به
علي من غير استحقاق والإشارة إلى التمكن من إحضار العرش
في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره والكلام في
إمكان مثله قد مر في آية الإسراء ليبلوني أأشكر بأن أراه فضلا
من الله بلا حول مني ولا قوة وأقوم بحقه أم أكفر بأن أجد نفسي في
البين أو أقصر في أداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من اليا
ومن شكر فإنما يشكر لنفسه لأنه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها
ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر
فإن ربي غني عن شكره كريم بالإنعام عليه ثانيا قال نكروا لها
عرشها بتغيير شكله وهيئته ننظر مجزوم على الجواب وقرئ بالرفع
على الاستئناف أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفته
أو الجواب الصواب وقيل إلى الإيمان بالله ورسوله إذا رأت تقدم
عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليها الحراس
فلما جاءت قيل أهكذا عرشك تشكيكا عليها زيادة في امتحان

عقلها

الى ذكرت عنده سخافة العقل قالت كانه هو ولم تقل هو هو لاحتمال ان
يكون مثله وذلك من كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين
من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار
معجزة لها فقالت واوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل
هذه الحالة او المعجزة مما تقدم من الايات وقيل انه من كلام سليمان
وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله
حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات
التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على ايدي الانبياء او واوتينا
العلم بالله وبقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا مسلمين
لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم
من التقدم في ذلك شكرا له وصدها ما كانت تعبد من دون الله
اي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله
عن عبادتها بالتوفيق للايمان انها كانت من قوم كافرين وقرئ
بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اي صدها نشؤها
بين الكفار او التعليل له قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار

فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي انه امر قبل قدومها
فبني قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه
حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته
ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقيل ابدا كي يرى رجلها قيل ساقيها
بالهمز حملا على جمعه سؤوق واسؤق قال انه ان ما تظنه صرح
ممرد مملس من قوارير من زجاج قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادتي
الشمس وقيل بظني بسليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة واسلمت
مع سليمان لله رب العالمين فيما امر به عباده وقد اختلف في انه تزوجها
او زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا
ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء
فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فامن فريق
وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة
بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها
الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ
لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها فانها

اخاهم

لا تقبل منكم قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك اذ تتابعت علينا الشدائد
او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم قال طائركم سببكم
الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم
قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان
طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه
وكان في المدينة تسعة رهط تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار
المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة الى العشرة
والنفر من الثلاثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا يصلحون
اي شأنهم الافساد الخالص عن شوب الاصلاح قالوا اي قال
بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا
باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ
حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء
على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه القراءات الثلاث لوليه لولي دمه
ما شهدنا مهلك اهله فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو
يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص

قال

فانه مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا
وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا
لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده
بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا
مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم
وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي
فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله
قبل الثلاث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم
فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في اماكنهم
بالصيحة كما اشار اليه قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
انا دمرناهم وقومهم اجمعين وكان ان جعلتها ناقصة فخبرها كيف
وانا دمرناهم استئناف او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد
وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا بالفتح على
انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم
خاوية خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة

ثلثة

من فوق الجبل اذ اسقطوا وهي حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على
خبر مبتدا محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لآية لقوم يعلمون
فيتعظون وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر
والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا
لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول وظرف
على الثاني اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون فحشها من
بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم
من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش ائنكم لتأتون الرجال
شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على
قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر
من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون
فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح
او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم
انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون

فعلنا

فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين
قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر
المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر
رسوله بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم
شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدو
بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم
وعلما بما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم
في الدين او لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه
بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك الله خير اما يشركون
الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما
اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ
ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء امن بل امن خلق السموات والارض
التي هي اصول الكائنات ومبادئ المنافع وقرئ امن بالتخفيف
على انه بدل من الله وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به
حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص

الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع
المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه
بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من
الاحداق وهو الاحاطة أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعله
شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلها باضمار فعل مثل اتدعون
او اتشركون وقعه بسط ما بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم
قوم يعدلون عن الحق والتوحيد أمن جعل الارض قرارا بدل من
أم من خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها
بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها
وسطها انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا تتكون فيها المعادن
وينبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح
او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان
أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به أمن يجيب المضطر
اذا دعاه المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجا الى الله تعالى من
الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق

فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما
يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها و
التصرف فيها ممن قبلكم أإله مع الله الذي خصكم بهذه النعم العامة
والخاصة قليلا ما تذكرون اي تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما
مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ
ابو عمرو وهشام بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال
أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض و
الظلمات ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات
الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح
بشرا بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح
معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار
حرها وتمويجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية
والقابلية لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب
أإله مع الله يقدر على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى
القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق أمن يبدأ الخلق

ثم يعيده والكفرة وإن أنكروا الإعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها
ومن يرزقكم من السماء والأرض أي بأسباب سماوية وأرضية أإله مع الله
يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على أن غيره يقدر على شيء من ذلك إن كنتم
صادقين في إشراككم فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية قل لا يعلم من
في السموات والأرض الغيب إلا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة
الفائقة العامة أتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء
منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على أنه
إن كان بمما في السموات والأرض ففيهما من يعلم الغيب مبالغة في
نفيه عنهم أو متصل على أن المراد ممن في السموات والأرض من تعلق
علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فإنه يعم الله تعالى وأولي
العلم من خلقه وهو موصول أو موصوف وما يشعرون أيان يبعثون متى
ينشرون مركبة من أي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير لهم وقيل
للكفرة بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك
بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بأن أضرب عنه وبين
أن ما انتهى وتكامل فيه أسباب علمهم من الحجج والآيات وهو أن القيامة

كائنة

كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير في أمر
لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم
وهذا وإن اختص بالمشركين ممن في السموات والأرض نسب إلى جميعهم
كما يسند فعل البعض إلى الكل والإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم
وقيل الأول إضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم
باستحكام علمهم في أمر الآخرة تهكما بهم وقيل أدرك بمعنى انتهى
واضمحل من قولهم أدركت الثمرة لأنها تلك غايتها التي عندها
تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك
بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انقطع من تدارك بنو
فلان إذا تتابعوا في الهلاك وأبو بكر ادرك وأصلهما تفاعل
وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآأدرك بألف بينهما وبل أدرك
وتدارك وبلى أدرك وبلى أأدرك وأم أدرك وأم تدارك وما فيه
استفهام صريح أو مضمن من ذلك فإنكار وما فيه بلى فإثبات
لشعورهم وتفسير له بالإدراك على التهكم وما بعده إضراب عن
التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على أن شعورهم بها أنهم

شاكون فيها بل هم منها عمون او ... فانكارهم قال الذين كفروا
أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل
في إذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا
من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة
للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث
او من حال الفنا الى الحياة وقرأ نافع إذا كنا بهمزة واحدة مكسورة
وقرأ ابن عامر والكسائي أئنا لمخرجون بنونين على الخبر لقد
وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل من قبل وعد محمد وتقديم
هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود
به المبعوث إن هذا إلا أساطير الأولين التي هي كالاسمار
قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم
على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين
قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في
ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن
في ضيق في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق

مخرجون

مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا
الوعد العذاب الموعود إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم
تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل
يتعدى باللام دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي
تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف
في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها اظهارا لوقارهم
واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله
ووعيده وإن ربك لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي
والفضل والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل ولكن أكثرهم
لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون
بجهلهم وقوعه وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه
وقرئ بفتح التاء وضم الكاف من كننت اذا سترت وما يعلنون من
عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة في السماء والأرض خافية
فيهما وهما من صفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في
الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة

إلا في كتاب مبين بيّن أو مبيّن ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح
أو القضاء على الاستعارة إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر
الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار
وعزير والمسيح وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين فإنهم المنتفعون
به إن ربك يقضي بينهم بين بني إسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق
أو بحكمته ويدل عليه أنه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه
العليم بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم
إنك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره
إنك لا تسمع الموتى تعليل آخر للأمر بالتوكل من حيث إنه يقطع طمعه
من مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم
باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع
الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين فإن إسماعهم في هذه الحال أبعد
وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم
حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر إن تسمع أي ما يجدي إسماعك
إلا من يؤمن بآياتنا من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون

مخلصون

مخلصون من أسلم وجهه لله وإذا وقع القول عليهم إذا دنا وقوع
معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب أخرجنا لهم دابة
من الأرض وهي الجساسة روي أن طولها ستون ذراعا ولها
قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها
طالب وروي أنه عليه السلام سئل عن مخرجها فقال من أعظم المساجد
حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل تكلمهم
وروي أنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا
في وجه المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في أنف الكافر
نكتة سوداء فيسود وجهه أن الناس كانوا بآياتنا خروجها
وسائر أحوالها فإنها من آيات الله وقيل القرآن وقرأ الكوفيون
أن الناس بالفتح لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها
أو حكايتها لقول الله أو علة خروجها أو تكلمها على حذف الجار ويوم
نحشر من كل أمة يعني يوم القيامة فوجا ممن يكذب بآياتنا بيان
للفوج أي فوجا مكذبين ومن الأولى للتبعيض لأن أمة كل نبي
وأهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون يحبس أولهم

على اخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم
حتى اذا جاؤوا الى المحشر قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما
الواو للحال اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا
يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او للتكذيب او
للعطف اي اجمعتم بين التكذيب وعدم القاء الاذهان لتحققها
اماذا كنتم تعملون ام اي شي كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت
اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا
فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود
وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات
الله فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا
ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل
لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا
يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور
في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة في مواد الابدان
من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو

هو

مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا
فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا فيه فبولغ
فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك
عنها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلاثة
ويوم ينفخ في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث
الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات ومن في الارض من
الهول وعبر بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله ان لا يفزع
بان ثبت قلبه قيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل
الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق
مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه داخرون الموقف بعد
النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرا حمزة وحفص اتوه
على الفعل وقرئ اتاه للتوحيد لفظ الكل داخرين صاغرين
وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر
مر السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في
سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه

وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله الذي أتقن كل شيء
أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي إنه خبير بما تفعلون عالم بظواهر الا
فعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها
إذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة وقيل خير
منها أي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام
يفعلون بالياء والباقون بالتاء وهم من فزع يومئذ آمنون
يعني به خوف عذاب يوم القيامة وبالأول ما يلحق الإنسان من
التهيب لما يرى من الأهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن
وقرأ الكوفيون بالتنوين لأن المراد فزع واحد من أفزاع ذلك
اليوم وآمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله ومن جاء
بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم في النار فكبوا فيها على
وجوههم ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم كما أريد بالأيدي
في قوله ولا تلقوا بأيديكم هل تجزون إلا ما كنتم تعملون
على الالتفات أو بإضمار القول أي قيل لهم ذلك إنما أمرت أن أعبد
رب هذه البلدة الذي حرمها أمر الرسول أن يقول لهم ذلك

بعدما

بعدما بين المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيامة إشعاراً بأنه قد أتم
الدعوة وقد كملت وما عليه بعد ذلك إلا الاشتغال بشأنه
والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف
لها وتعظيم لشأنها وقرئ التي حرمها وله كل شيء خلقاً وملكاً
وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين أو الثابتين على ملة
الإسلام وأن أتلو القرآن وأن أواظب على تلاوته لتنكشف لي
حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً أو اتباعه وقرئ واتل عليهم
وأن اتل فمن اهتدى باتباعه إياي في ذلك فإنما يهتدي لنفسه
فإن منافعه عائدة إليه ومن ضل بمخالفتي فقل إنما أنا من
المنذرين فلا علي من وبال ضلاله شيء إذ ما على الرسول إلا
البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة أو على ما علمني
ووفقني للعمل به سيريكم آياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر
وخروج دابة الأرض أو في الآخرة فتعرفونها فتعرفون أنها آيات
الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون
فلا تحسبوا أن تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم وقرأ نافع

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو
ينادي لا اله الا الله محمد رسول الله

سورة القصص مكية وقيل الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى الجاهلين وهي ثمانون وثمان آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك نقرأ بقراءة جبريل
ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا من نبأ موسى وفرعون بعض نبائهما
متلوا بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون ان
فرعون علا في الارض استئناف مبين لذلك البعض والارض
ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم
بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه واستعمل صنفا في عمل او
اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف
طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة لشيعا
او استئناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها
وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب
كاهنا ظ

ملكك

ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع
بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين فلذلك اجترأ
على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن
على الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم
من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون
علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال من يستضعف
ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له
لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان
منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجري مجرى
المقارن ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدين ونجعلهم الوارثين
لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر
والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير
للتسليط والاطلاق الامر ونري فرعون وهامان وجنودهما
منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم
على يد مولود منهم وقرأ حمزة والكسائي ويرى بالياء وفرعون

وهامان وجنودهما بالذبح وأوحينا إلى أم موسى بإلهام أو رؤيا
أن أرضعيه ما أمكنك إخفاؤه فإذا خفت عليه بأن يحس به فألقيه
في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني
لفراقه إنا رادوه إليك عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه
من المرسلين روي أنها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات
بحبالى بني إسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الأرض هالها نور
بين عينيه فارتعدت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من
السعاية فأرضعته ثلاثة أشهر ثم ألح فرعون في طلب المواليد
واجتهد العيون في تفحصها فأخذت له تابوتا فقذفته في النيل
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم إياه
بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة
والكسائي حزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين
في كل شيء فليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفا لأجله ثم أخذوه يربونه
ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون أو مذنبين فعاقبهم الله بأن
ربى عدوهم على أيديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطائهم أو بيان

الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين
الصواب إلى الخطأ وقالت امرأة فرعون أي لفرعون حين أخرجته
من التابوت قرة عين لي ولك هو قرة عين لنا لأنهما لما رأياه أخرج
من التابوت أحباه أو لأنه كانت لها ابنة برصاء وعالجها الأطباء
بريق حيوان بحري يشبه الإنسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفي
الحديث أنه قال لك لا لي ولو قال لي كما لك لهداه الله كما هداها
لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى أن ينفعنا فإن فيه
مخائل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه
وارتضاعه إبهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه أو نتخذه ولدا
أو نتبناه فإنه أهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين أو من
القائلة والمقول له أي وهم لا يشعرون أنهم على الخطأ في التقاطه
أو في طمع النفع منه والتبني له أو من أحد ضميري نتخذه على أن
الضمير للناس أي وهم لا يشعرون أنه لغيرنا وقد تبنيناه وأصبح فؤاد
أم موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين
سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وأفئدتهم هواء أي خلاء لا عقول

لبيبها وبوثيل انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر
اوتى الهم لفرط تلهفها بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف
عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى اي بامره
وقصته من فرط الضجر او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها
بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او
الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجراء للضمة
في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وعلى
الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته مريم
قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ
عن جانب وعن جنب وهم لا يشعرون انها تقصه او انها
اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع من المرضعات
جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي من قبل من قبل قصصها
اثره فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له
ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه
قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت

وهم

وهم للملك ناصحون فامرها فرعون ان تاتي بمن يكفله فاتت بامها
وموسى على يد فرعون يبكي وهو يطلب الرضاع فلما وجد ريحها استانس والتقم
ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني
امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه
اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه
الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد
الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعده حق
يرتابون فيه
او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض
بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده
مبلغه الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين الى اربعين
فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على راس الاربعين واستوى
قده او عقله آتيناه حكما نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء و
العلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما
يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لان استنباءه بعد الهجرة في
المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه

يجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها
في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة
وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا
من عدوه اى احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والاخر
من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من
شيعته على الذي من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك
عدى بعلى وقرئ فاستعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه
وقرئ فلكزه اى فضربه فقضى عليه فقتله واصله انهى
عليه حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من
عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم
فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما
عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم في
استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة
قال رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره
انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي بالمغفرة

الخطا

[illegible] لا تؤتين فلن اكون ظهيرا
[illegible] اعصمني فلن اكون معينا
[illegible] شيء فانه يبتلي به مرة اخرى
[illegible] اولياء له خلفه [illegible]
[illegible] خائفا يترقب يترصد الاستقادة
[illegible] يستصرخه يستغيثه من القبطي
[illegible] لانك تسببت لقتل رجل
[illegible] للذي هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي
[illegible] اعداء بني اسرائيل قال يا موسى
[illegible] قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا
[illegible] من قوله انه الذي قتل القبطي
[illegible] جبارا في الارض
[illegible] تريد ان تكون من المصلحين
[illegible] فلما قال هذا انتشر الحديث
[illegible] موسى هذا الى فرعون وملائه فهموا بقتله

نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها
في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة
وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا
من عدوه اي احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر
من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من
شيعته على الذي من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك
عدي بعلى وقرئ فاستعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه
وقرئ فلكزه اي فضربه بصدره فقضى عليه فقتله واصله انهى
عليه حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من
عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم
ولم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما
عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم في
استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة
قال رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره
انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم محذوف

الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا
للمجرمين او استعطاف بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا
لمن ادت معاونته الى الجرم وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى
وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في
مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة
فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ
قال له موسى انك لغوي مبين ظاهر الغواية لانك تسببت لقتل رجل
وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي
لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل قال يا موسى
اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا
ظن انه يبطش عليه او القبطي وكانه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي
بالامس هذا الاسرائيلي ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض
تطاول على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين
بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث
وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه

يتخوف كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة رجل او صلة منه اذا
جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجا لان تخصيصها بالصفة
بالمعارف قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك يتشاورون بسببك
وانما سمي التشاور ايتمارا لان كلا من المتشاورين يامر الاخر ويأتمر
فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان ليس صلة للناصحين لان
معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب
لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني
من لحوقهم ولما توجه تلقا مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم
مدين بن ابراهيم ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة
ثماني ليال قال عسى ربي ان يهديني سوا السبيل توكلا على الله وحسن الظن
به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فاخذ في اوسطها وجا الطلاب
عقيبه واخذوا في الاخرين ولما ورد ما مدين وصل اليه وهو بئر
كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها امة من الناس جماعة كثيرة
مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان اسفل من
مكانهم امراتين تذودان تمنعان اغنامهما لئلا تختلط باغنامهم قال

ما خطبكما ما شانكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعا يصرف
الرعاة مواشيهم عن الما حذرا عن مزاحمة الرجال فحذف المفعول
لان الغرض هو ما يدل على عفتهما وكان عقا الى السقي لهما ثم
دونه وقرا ابو عمرو وابن عامر يصدر اي ينصرف وقرئ الرعا بالضم
وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج
للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت
الرعاة يضعون على راس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر
فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم
وقيل كانت بئر اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم تولى الى
الظل فقال رب اني لما انزلت الي لاي شي انزلت من خير قليل او
كثير وحمله الاكثرون على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك عدي
باللام وقيل معناه اني لما انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في
الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح وال
الشكر على ذلك فجاءته احداهما تمشي على استحيا اي مستحيية متخفرة
قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفورا او صفرا وهي التي

لن تعرضها موسى قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا ليجزي
سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته
لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال
انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من
ينزل بنا وهذا فمن فعل معروفا واهدي بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص عليه
القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه
قالت احديهما يا ابت استاجره لرعي الغنم ان خير من
استاجرت القوي الامين تعليل شائع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار
وللمبالغة فيه جعل خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه
امر مجرب معروف روي ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته و
امانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته
وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين
على ان تاجرني تسلم نفسك او تكون لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله
ثماني حجج ظرف على الاول ومفعول به على الثاني باضمار مضاف
اي رعية ثماني حجج فان اتممت عشرا عملا عشر حجج فمن عندك فاتمامه

آية ٢٧

آية ٢٨

من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه
فلعله جرى على اجرة معينة وبمهر آخر او برعية الاجل الاول ووعد له ان يوفي
الاخير ان تيسر قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة وهو ان يمكن اختلاف
الشرائع في ذلك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر
او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق
المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته
ويوزع رأيك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة
ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك اي ذلك
الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما
او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي لا تعتدي علي
بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة
على الثماني او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم
علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان
يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله تنظرت
نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره

قضيت فيكون ما قبله تأكيد الفعل اي اي الاجلين قضيت فلا عدوان علي لقضائه
وعدم الالباث والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد وحفيظ
فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامرأته روي انه قضى اقصى الاجلين
ومكث عنده بعد ذلك عشرا ثم عزم على الرجوع آنس من جانب الطور
نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي
آتيكم منها بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء كانت في راسه نار
او لم يكن قال باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا
دعر [illegible] من النار [illegible] عليها [illegible] والتهابها
ولذلك بينه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها
لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما أتاها نودي من شاطئ الواد
الايمن اتاه النداء من شاطئ الواد الايمن بالنسبة الى موسى في البقعة المباركة
متصل بشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال
لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى اني انا الله رب العالمين
هذا وان خالف ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في المقصود وان الق
عصاك فلما رآها تهتز اي فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت كانها جان

في الهيئة والجثة او في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب
ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف
فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء
من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك يديك المبسوطتين لتتقي الحية
كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما
بانفلاتها في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك
في وجه العدو اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم
التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال
الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما
اليه من الرهب من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل
ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح
والسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد
وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان من ربك حجتان
وبرهان فعلان من قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم

بين انه اليقين فقال ثعبانا وبعده اليد البيضاء وقيل فخلال لقولهم
تبعثان الى فرعون مرسلا وملائه انهم كانوا قوما فاسقين وكانوا
احقاء بان يرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون
بها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا معينا وهو في الاصل
اسم ما يعان به كالدفء وقرا نافع ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص
الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني
لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه
لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرا عاصم وحمزة يصدقني بالرفع
على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك باخيك سنقويك
به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك
يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة
او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج باياتنا متعلق بمحذوف
اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اي
تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله
انتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى باياتنا بينات انه

اصله

اصله بما ليس اصله له على ان الكلام فيه الشرع لا يعني الذي
قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعمله
ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر
وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة في ابائنا الاولين
كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم اني محق
وانتم مبطلون وقرا ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا لمقالهم
ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما
فيميز صحيحهما عن الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار
العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية
هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب
والعقاب انما قصد بالعرض وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء انه
لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة
في العقبى وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه
باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك
امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال بقوله فاوقد لي

يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم
انه لو كان لكان جسما في السما يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكا
ذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منها اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما
يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم
كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السماء ولا في الارض فان معناه بما ليس
فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلو
ماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل
اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم
الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط
الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق بغير استحقاق وظنوا
انهم الينا لا يرجعون بالنشور وقرا نافع وحمزة والكسائي بفتح اليا
وكسر الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة
وتعظيم لشان الاخذ واستحقار للماخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم
في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد

كيف

كيف كان عاقبة الظالمين وانذر قومك عن مثلها وجعلناهم
ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف
الصارفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي
ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه
الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعنا من اللاعنين يلعنهم الملائكة
والمؤمنون ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن
قبح وجوههم ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى اقوام نوح وهود ولوط وصالح بصائر للناس انوارا
لقلوبهم يبصرون بها الحقائق ويميزون بين الحق والباطل وهدى
الى الشرائع التي هي سبيل الله ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة
الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر
بالارادة وفيه ما عرفت وما كنت بجانب الغربي يريد الوادي او
الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربي منه
والخطاب لرسول الله اي ما كنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر

إذ قضينا إلى موسى الأمر لذكاره وتقريره وما كنت من الشاهدين للوحي
إليه أو على الوصي إليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة
على أن إخباره عن ذلك من قبيل الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف
إلا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم
العمر أي ولكنا أوحينا إليك لأنا أنشأنا قرونا مختلفة بعد موسى
فتطاولت عليهم المدد فحرفت الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست
العلوم فحذف المستدرك وأقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في أهل
مدين شعيب والمؤمنين به تتلو عليهم تقرأ عليهم تعلما منهم آياتنا
التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين إياك ومخبرين لك بها وما كنت
بجانب الطور إذ نادينا لعل المراد به وقت ما أعطاه التوراة
وبالأول حين ما استنبأه لأنهما المذكوران في القصة ولكن رحمة
من ربك ولكن علمناك رحمة وقرئ بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما
متعلق بالفعل المحذوف ما أتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم
في فترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسمعيل
على أن دعوة موسى وعيسى كانتا مختصة ببني إسرائيل وما حواليهم

لعلهم

قصص ١٨٢

لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم
فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين
لولا الأولى امتناعية والثانية تحضيضية وواقعة في سياقها
لأنها بما أجيبت به بالفاء مشبهة بالأمر مفعول يقولوا المعطوف
على تصيبهم بالفاء المعطوفة معنى السببية المنبهة على أن القول
هو المقصود بأن يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وأنه لا ينفك عنهم حتى
يلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم إذا أصابتهم
عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا
يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما أرسلناك أي إنما أرسلناك
قطعا لعذرهم وإلزاما للحجة عليهم فلما جاءهم الحق
من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى من الكتاب جملة واحدة واليد والعصا وفلق البحر وغيرها
من الآيات اقتراحا وتعنتا أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل يعني أبناء جنسهم
في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من
أولاد عاد قالوا ساحران يعنون موسى وهارون أو موسى ومحمد

تظاهرا تعاونا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون
سحران بتقدير مضاف أو جعلهما سحرين مبالغة أو إسناد تظاهرهما
إلى فعلهما دلالة على سبب الإعجاز وقرئ اظّاهرا على الإدغام
وقالوا إنا بكل كافرون أي بكل منهما أو بكل الأنبياء قل فأتوا بكتاب
من عند الله هو أهدى منهما مما نزل على موسى وعلى محمد وإضمارهما لدلالة المعنى
وهو يؤيد أن المراد بالساحرين موسى ومحمد أتبعه إن كنتم صادقين إنا ساحران
مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها الإلزام والتبكيت ولعل
مجيء حرف الشك للتهكم بهم فإن لم يستجيبوا لك دعاءك إلى الإتيان
بالكتاب الأهدى فحذف المفعول للعلم به ولأن فعل الاستجابة يعدى
بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الداعي فإذا عدي إليه حذف الدعاء غالبا
كقوله وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم أنما
يتبعون أهواءهم إذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها ومن أضل ممن اتبع
هواه بغير هدى من الله في موضع الحال للتأكيد أو
التقييد فإن هوى النفس قد يوافق الحق إن الله لا يهدي القوم
الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ولقد

وصلنا

وصّلنا لهم القول أتبعنا بعضه بعضا في الإنزال ليتصل التذكير أو في
النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر
لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب من قبله
هم به يؤمنون نزلت في مؤمني أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل
الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام
والضمير في قبله للقرآن كالمستكن في وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به
أي بأنه كلام الله إنه الحق من ربنا استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم
به إنا كنا من قبله مسلمين استئناف آخر للدلالة على أن إيمانهم
به ليس مما أحدثوه حينئذ وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب
المتقدمة وكونهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن أو تلاوته
عليهم باعتقادهم صحته في الجملة أولئك يؤتون أجرهم مرتين
مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم
وثباتهم على الإيمانين أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول
وبعده أو على أذى من هاجرهم من أهل دينهم ويدرءون بالحسنة
السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله أتبع السيئة الحسنة

مجهولا ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الله في الخير وإذا سمعوا اللغو
أعرضوا عنه وقالوا لا نلتفت لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم
متاركة لهم فلا تجاهلوا ودعوا لهم بالسلامة عنهم لا نبتغي الجاهلين
ولا نطلب صحبتهم ولا نريدها إنك لا تهدي من أحببت لا تقدر أن تدخله
في الإسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الإسلام وهو أعلم
بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب حين
لما احتضر جاءه رسول الله وقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها
عند الله قال يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال
خرع عند الموت وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا نخرج
منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل أتى النبي فقال
نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب
وإنما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد الله عليهم بقوله
أولم نمكن لهم حرما آمنا أولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن بحرمة
البيت الذي يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى إليه يحمل إليه
ويجمع فيه من كل ناحية ويمنع في داره ثمرات كل شيء من كل أوب

رزقا

رزقا من لدنا فإذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام فكيف
تعرضهم للتخوف والتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد
ولكن أكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا
وقيل إنه متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون
أن ذلك رزق من عند الله إذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا
على المصدر من معنى يجبى أو الحال من الثمرات لتخصيصها بالإضافة
ثم بين أن الأمر بالعكس فإنهم أحقاء بأن يخافوا بأس الله على ما
هم عليه بقوله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أي وكم من
أهل قرية كانت حالهم كحالهم في الأمن وخفض العيش حتى
أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية
لم تسكن من بعدهم من السكنى إذ لا يسكنها إلا المارة يوما أو بعض
يوم أو لا يبقى من يسكنها إلا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن
الوارثين منهم إذ لم يخلف منهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم
وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفا
بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بإضمار زمان مضاف إليه أو مفعولا

على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك مهلك القرى وما كانت عادته
حتى يبعث في امها رسولا في اصلها التي هي اعمالها لان اهلها تكون
افطن وانبل يتلو عليهم آياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة و
ما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو
في الكفر وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا فمتاع الحياة الدنيا وزينتها
تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية وما عند الله وهو
ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة
وابقى لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي
هو خير وقرا ابو عمرو بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن وعدناه
وعدا حسنا وعدا بالجنة فانه حسن الوعد بحسن الموعود
فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك
عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحياة الدنيا
الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع
ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخي في
الزمان او الرتبة وقرا نافع والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها

المنفصل

المنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها
بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول
اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان
لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه
وحصوله وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وغيرهم من ائمة الكفر ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هؤلاء هم الذين
اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول كما غوينا اي اغويناهم
فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا با
ختيارهم فانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين
صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاد زيادة على الصفة
وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم تبرانا اليك منهم
ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة
ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اي
ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية
متصلة بتبرانا اي تبرانا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم

فادعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة
ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يد
فعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا
انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم ثم عن تكذيبهم
الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم
لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة
على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم
يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل
او ما يعمها فاذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من
الهول ويفوضون العلم الى الله تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم
فهم لا يتساءلون لا يسأل
بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله
فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان
والعمل فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة
الكرام

او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء لا موجب
عليه ولا مانع له ويختار ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة
بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند
التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى منوط بدواع
لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان
يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي
انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم وقيل ما موصول مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى
ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان
الله تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى
عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم
ما تكن صدورهم كعداوة الرسول وحقده وما يعلنون كالطعن
فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها
الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها
وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم

الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا ابتهاجا بفضله
والتذاذا بجماله وله الحكم القضاء النافذ في كل شي واليه ترجعون
بالنشور قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد
وهو المتابعة والميم زائدة كميم دلامص لكميم الفيحة باسكان
الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله
يأتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غير اله
وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار
قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة
باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله
غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشتغال
ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود
بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك
قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل
من السمع اكثر من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكا

ولعلكم

عنكبوت

على ما عملك من مثل هذه الضلالة او على نقص كمال وافهما جعلت الكل بل اكثرهم
لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم انهم يشركون
به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه
الحياة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة
الا لهو ولعب الا كما يلهو ويلعب الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون
به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الآخرة لهي الحيوان لهي
دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او هي في ذاتها
حياة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحياة واصله حييان
فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحياة لما في بناء فعلان
من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها
ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم
الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك
متصل بما دل عليه شرح حالهم انهم على ما وصفوا به من الشرك
فاذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة
من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله لا يدعون سواه

لعلمهم انه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
فاجؤوا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي اي
يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم
على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده
قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون
فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة
انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي
آمنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون
قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل
يؤمنون ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان
يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين
للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول
او الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم
سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه أليس في جهنم مثوى للكافرين

تقرير

تقرير لثوائهم كقوله الستم خير من ركب المطايا اي ألا يستوجبون الثواء
فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا
التكذيب او لاجترائهم اي ألم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى
اجترؤوا مثل هذه الجرأة والذين جاهدوا فينا في حقنا فاطلق
المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم
سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا ولنزيدنهم هداية الى سبيل
الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي
الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين
بالنصر والاعانة قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر
حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين تمت

سورة الروم

مكية الا قوله فسبحان الله حين تمسون وهي ستون او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة
عندهم او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم
من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب

سيغلبون في بضع سنين فيمارثاة فالتقى جيشا الروم فغلبوهم باذرعات
وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم
فبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى
اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن
عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله لا يقرن الله اعينكم فوالله لتظهرن
الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا
اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل
الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله فقال البضع ما بين الثلث
الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص
الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله بعد قفوله من احد وظهرت
الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي وجاء به الى
رسول الله فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود
الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من
دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح و
سيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم

وفي

وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم
وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد
من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم
مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي اول الامر حين غلبوا وحين
يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ من غير
تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا وآخرا ويومئذ
ويوم تغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على من لا
كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به
المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم
وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم
بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى
وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل
عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله
في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحته لجهلهم وعدم تفكرهم

زخرفها

يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخرفها
وهم عن الآخرة التي هي غايتها والمقصود منها هم غافلون لا تخطر ببالهم
وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر
الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة
لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرًا لجهالتهم
وتشبيهًا لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض
ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصا
ئصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف
فيها ولذلك نكر ظاهرًا واما باطنها فانها مجاز الى الآخرة
ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعار بانه لا فرق
بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا
في انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها اولم يتفكروا في امر انفسهم فا
نها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى
في الممكنات بأسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها قدرته
على ابدائها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق

متعلق

متعلق بقول او علم محذوف يدل عليه الكلام واجل مسمى تنتهي عنده
ولا تبقى بعده وان كثيرًا من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند
انقضاء الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون جاحدون
يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة لا تكون اولم يسيروا في
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم
في اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم كانوا اشد
منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها لاستنباط
المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا
الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل
واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث
انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالًا فيها
اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد و
التصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤون
الى واد لا نفع لها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات
الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم

من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث عملوا ما أدى
إلى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أي ثم كان عاقبتهم
العقوبة السوأى أو الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على
أن ما اقتضى أن تكون تلك عاقبتهم وأنهم جاؤوا بمثل أفعالهم والسوأى
تأنيث الأسوأ كالحسنى أو مصدر كالبشرى نعت بها أن كذبوا بآيات الله و
كانوا بها يستهزئون وهو علة أو بدل أو عطف بيان للسوأى أو
خبر كان والسوأى مصدر أساؤوا أو مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين
اقترفوا الخطيئة أن طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات
واستهزؤوا بها ويجوز أن يكون السوأى صلة الفعل وأن كذبوا تابعها
والخبر محذوف للإبهام والتهويل وأن يكون أن مفسرة لأن الإساءة
إذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول
وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على أن الاسم السوأى وأن
كذبوا على المعنى المذكور الله يبدأ الخلق ينشئهم ثم يعيده
يبعثهم ثم إليه ترجعون للجزاء والعدول إلى الخطاب للمبالغة
في المقصود وقرأ أبو عمرو وروح بالياء على الأصل ويوم تقوم الساعة

يبلس

يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فأبلس إذا سكت
وأيس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ
بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن أشركوهم
بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا
بشركائهم كافرين يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا
في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعؤا وعلمؤا بني
إسرائيل بالواو والسوأى بالألف إثباتا للهمزة على صورة الحرف
الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون أي المؤمنون
والكافرون لقوله فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة
أرض ذات أزهار وأنهار يحبرون يسرون سرورا تهللت له
وجوههم وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأ
ولئك في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين
تظهرون إخبار في معنى الأمر بتنزيه الله والثناء عليه في هذه
الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته أو دلالة على أن

فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من
اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمسا والصباح لان آثار القدرة
والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي
العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيها
اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في
السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس ان الاية جامعة للصلوات
الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشا وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة
العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه
كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفق وانما فرضت
الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عم من سره ان يكال
له بالقفيز الاوفى فليقل سبحان الله حين تمسون الاية
وعنه عم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون
الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا
تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت
كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي

النطفة والبيضة او تعقب الحياة الموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات
بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه
ايضا تعقيب الحياة الموت وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء ومن آياته ان
خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا
انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض
ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من
ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم
لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية
علة للضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم اي بين الرجال
والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حال
الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوان نظما لامر المعاش او بان تعيش
الانسان يتوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد و
التراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله
ورحمة منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك
من الحكم ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم

بأن علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم
واشكاله فانه لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية والوانكم
بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضا وهيئاتها والوانها وحلاها
بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوامين مع توافق موادهما
واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك
لا محالة ان في ذلك لايات للعالمين لا يكاد يخفى على عاقل من ملك او انس
او جن وقرا حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون
ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم
في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب
معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين
الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان
اختص باحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة ويؤيده سائر الايات
الواردة فيه ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار
فان الحكمة فيه ظاهرة ومن اياته يريكم البرق مقدر بان كقوله
الا ايها الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

او الفعل

آية ٢٤

آية ٢٧

ممكن والاعادة الحكيم الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم
مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم
من ما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من الاموال
وغيرها فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم
مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية
للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي
تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار
بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الايات نبينها فان التمثيل
مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر
بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء
فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل الله
فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة
ويحفظونهم عن افاتها فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير
ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه
والاهتمام به فطرت الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر

كما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم
للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا
عليه ادى بهم اليها وقيل العهد الماخوذ من ادم وذريته لا تبديل
لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك اشارة الى
الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين
القيم المستقيم الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته
لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة
بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الزموا
المقدر او في اقم لان الاية خطاب للرسول والامة
لقوله واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها
صدرت بخطاب الرسول تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من
المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم
وقرا حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا
شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها كل حزب بما لديهم
فرحون مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان

الخبر

الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه
راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك
الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجا فريق منهم بالاشراك بربهم
الذي عافاهم ليكفروا بما اتيناهم اللام للعاقبة وقيل للامر
للتهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا
فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام
انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان
فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم او نطق فهو بما كانوا
به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون في الوهيته
واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها
وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم
يقنطون فاجؤوا القنوط من رحمته اولم يروا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا في السراء والضراء كالمؤمنين ان
في ذلك لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة
فات ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة

للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من
الزكوة والخطاب للنبي او لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله
بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون
بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك
هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم
من ربا زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة و
قرا ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا ليربوا في اموال الناس
ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربوا عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك
فيه وقرا نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما آتيتم
من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك
هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي
والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة
الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما
للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب به الملائكة
وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم

المضعفون

المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون
به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم
يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم
الالوهية ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا
بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق
ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى
عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم
والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيد
ان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم
المنفي فكل منها مستقلة بتاكيد لتعجيز المنفي فكل منها مستقلة
بتاكيد لتعجيز الشركاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان
وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار
او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ
والبحور بما كسبت ايدي الناس بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه
وقيل الفساد في البر قتل قابيل اخاه وفي البحر ان جلندا كان ياخذ

كل سيئة عصيا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزاه فان تمامه في الآخرة
واللام للعلة او العاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون
لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان اكثرهم
مشركين استيناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك
وغلبته فيهم اوكان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل
منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي
يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بياتي
ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة
بمجيئه يومئذ يصدعون اي يتصدعون يتفرقون فريق في الجنة وفريق
في السعير من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة
ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم
الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون
والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات

والاكتفا

والاكتفا على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض
لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم من
ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة
تفضل محض وتاويله بالعطا او الزيادة على الثواب عدول عن
الظاهر ومن اياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح
الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عم اللهم اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة
الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة
لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي
هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات
او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه
ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم
تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا
الى قومهم فجاوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان
حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث

جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض
اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف
على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا صح
فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا
مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا
قطعا تارة اخرى وقرا ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع
كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين
فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون
بمجيء الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد
والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وقيل الضمير
للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لآيسين فانظر الى آثار رحمة
الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه
ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ
بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني ان الذي قدر على احياء
الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان

في

في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان
فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات
الراهنة ما يكون من موادها ما تفتت وتبدد من جنسها
في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته
الى جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا
الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه
اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف
الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون جواب سد مسد الجزاء
ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات ناعية على الكفار
بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم
وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله
ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولا ييأسوا
من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا
اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه
اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى

وهم مثلهم لكلهم اعن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل
وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئا وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى
قلوبهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ
وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما
تامرهم به الله الذي خلقكم من ضعف اي ابتداكم ضعفا وجعل الضعف
اساس امركم كقوله خلق الانسان من عجل او خلقكم من اصل ضعيف
هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم
او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا
اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول
ابن عمر قراتها على رسول الله من ضعف فاقراني من ضعف وهما لغتان
كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتاخر ليس عين المتقدم يخلق
ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وهو العليم القدير فان الترديد
في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم

تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات
الدنيا او لانها تقوم بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة
يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا
والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث
اربعون وهو يحتمل الساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة
لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الاخرة او نسيانا كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك
الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يصرفون في الدنيا وقال الذين
اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله
في علمه او قضائه او ما كتبه لكم او اوجبه او اللوح او القرآن وهو
قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه
وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون
انه حق لتفريطكم في النظر والفاء جواب شرط محذوف تقديره
ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه او لتعليل نحو بطلان انكاركم
فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرا الكوفيون بالياء
لان المعذرة بمعنى العذر او لان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما

ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من
التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان
فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التي هي في الغرابة
كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال لهم
ولا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل
ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم باية من القرآن
ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون
الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك الطبع
يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على
خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق
فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين
كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة والقلق
الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع
منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك اي لا يزيغونك

فيكونوا

فيكونوا احقاء بك من المؤمنين عن رسول الله من قرأ سورة الروم كان
له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله بين السماء والارض
وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمان مكية وقيل
الا آية وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما
بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلثا
من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وهي اربع
وثلثون او ثلث وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة
للمحسنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما
حمزة على الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه
الثلثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد
ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم
المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس

١٧٧
عنكبوت آية ٢

...لت في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين
...في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه
...نهم [illegible] فقتله فجزع عليه ابواه وامراته
...من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان
...ة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه
...الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فلم
...الامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا
...كذبوا فيه او ليتعلق [illegible] ثوابهم وعقابهم و
...ليميز او ليجازي وقرئ وليعلمن من الاعلام اي
...او ليسمنهم بسيمة يعرفون بها [illegible]

عنكبوت آية ٣

...حسب الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصي
...القلب والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر
...جزيهم وهو ساد مسد المفعولين [illegible]
...ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء
...يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا في ان

١٠
١٧٧

من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير
التي لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي
تبيينية ان اراد بالحديث المنكر و تبعيضية ان اراد به الاعم
منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان
يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا
احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان
ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل
الله دينه او قراءة كتابه وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت
على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة
حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل
سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على ليضل
اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستئثار الباطل
عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها
كان لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كان في اذنيه وقرا
مشابها من في اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاوليان حالان من المستكن

آية ٦

في العذاب روي انها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين
وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر رضي الله عنه رماه
عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته
ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان
ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه
فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن
علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا
في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم و
لذلك قيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام
اي فليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة
الكفر والمعاصي الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصي
فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر
ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب ومنقطعة
فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء
ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف

من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث ال
التي لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام وال
للتبيين ان اراد بالحديث المنكر وللتبعيض
منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى
كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحد
احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقي
ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه ع
الله دينه او قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح
على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما ي
حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزوا
سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي وحفص عطفا
اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار
عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا
كأن لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كأن في
مشابها من في اذنيه ثقلا لا يقدر ان يسمع والاولى

المخصوص بالذم من كان يرجوا لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول
الى ثوابه على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان
يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله فان الوقت المضروب
للقائه لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة
فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضا
وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد
نفسه بالصبر على مشاق الطاعة والكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه
لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم وانما
كلفهم رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر والمعاصي بالايمان ويتبعها الطاعات
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان
بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه في ذاته حسن لفرط
حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقال هو بمعنى قال اي وقلنا
له احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير
قول مفسر للتوصية اي قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو يوافق ما بعده

وعليه

وعليه يحسن الوقف على بوالديه وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك
به علم بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان
ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم
بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل الي مرجعكم مرجع من آمن منكم
ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء
عليه والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت
باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى
يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في لقمان والاحقاف
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في جملتهم
والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبيائه
او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي
في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس ما
يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف
عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم

في الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيده الاول اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين امنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شيء وليسألن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما

جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شان النبي وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسطا بين طرفي قصته تسلية للرسول والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم في قومه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرأ ابو بكر والكسائي وحمزة بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يؤول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة والنبات والثمار ونحوها ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابراهيم او محمد فانظروا كيف بدا الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشاة الاخرة بعد النشاة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشاتان من حيث ان كلا اختراع من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه

جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بالرد

مبتدأ بعد اضماره في بدا والقياس عليه للدلالة على ان المقصود
بيان الاعادة وان من عرف القدرة على الابتدا ينبغي ان يحكم له
بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في العطف ما مر وقرأ
ابن كثير وابو عمرو النشاءة كالرافة ان الله على كل شيء قدير
لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سوا فيقدر
على النشاة الاخرى كما قدر على النشاة الاولى يعذب من يشا تعذيبه
ويرحم من يشا رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين
في الارض ربكم عن ادراككم ولا في السما ان فررتم من قضائه بالتواري
في الارض والهبوط في مهاويها والتحصن في السما او القلاع الذاهبة
فيها وقيل ولا من في السما كقول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه
وينصره سوا وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلا
يظهر من الارض او ينزل من السما ويدفعه عنكم والذين كفروا بايات
الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا
من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة
او ايسوا في الدنيا لانكار البعث والجزا واولئك لهم عذاب اليم

بكفرهم

عنكبوت

٤
١٨

بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابرهيم وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر
الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل
فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اي
فقذفوه في النار فانجاه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في
ذلك في انجائه منها لايات هي حفظه من اذى النار واخمادها
مع عظمها في زمان يسير وانشا روض مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون
بالفحص عنها والتامل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا
مودة بينكم في الحياة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم
على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون المودة
المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتاويلها بالمودودة اي اتخذتم
اوثانا سبب المودة بينكم وقرا نافع وابن عامر وابو بكر منونة
ناصبة بينكم وحمزة وحفص بالاضافة وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس
مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودة او سبب
مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة
والعائد محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة

يفرق بينكم كما فرق لعل تقطع بينكم وقرئ إنما مودة بينكم ثم يوم القيامة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار أي يقوم
التناكر والتلاعن بينكم أو بينكم وبين الأوثان على تغليب المخاطبين
كقوله ويكونون عليهم ضدا وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها
فآمن له لوط هو ابن أخته وأول من آمن به وقيل إنه آمن به حين
رأى النار لم تحرقه وقال إني مهاجر من قومي إلى ربي إلى حيث أمرني ربي إنه
هو العزيز الذي يمنعني من أعدائي الحكيم الذي لا يأمرني إلا بما فيه صلاحي
روي أنه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه
إلى حران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له
إسحاق ويعقوب ولدا ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر
ولذلك لم يذكر إسماعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم
الأنبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الأربعة وآتيناه أجره
على هجرته إلينا في الدنيا بإعطاء الولد في غير أوانه والذرية
الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل إليه والثناء عليه
آخر الدهر وإنه في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح

ولوطا

ولوطا عطف على إبراهيم أو على ما عطف عليه إذ قال لقومه إنكم لتأتون
الفاحشة الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص إنكم
مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام وأجمعوا على الاستفهام في الثاني
ما سبقكم بها من أحد من العالمين استئناف مقرر لفاحشتها من حيث
إنها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى أقدموا عليها
لخبث طينتهم أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة
بالقتل وأخذ المال أو بالفاحشة حتى انقطعت الطرق أو تقطعون سبيل
النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحرث وتأتون في ناديكم
في مجالسكم الجامعة ولا يقال النادي إلا لما فيه أهله المنكر كالجماع
والضراط وحل الإزار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل الخذف
بالحصى والرمي بالبنادق فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب
الله إن كنت من الصادقين في استقباح ذلك أو في دعوى النبوة المفهومة
من التوبيخ قال رب انصرني بإنزال العذاب على القوم المفسدين
بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة
في استنزال العذاب وإشعارا بأنهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب ولما جا

رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا
اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى للاستقبال
ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم
الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها
من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم
به وانهم ما غفلوا عنه وجواب عنه بتخصيص الاهلين بمن عداه واهله
او تاقيت الاهلاك باخراجهم منها وفيه تاخير البيان عن الخطاب الا
امراته كانت من الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم
قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا
وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه
رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال
ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما راوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن
على تمكنهم منا انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين

وقرا

وقرا ابن كثير وحمزة ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم
ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف جر على المختار ونصب
اهلك باضمار فعل او العطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على
اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق
المعذب من قولهم ارتجز اذا اضطرب وقرا ابن عامر منزلون
بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها اية بينة
هي حكايتها الشائعة او اثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطرة فانها
كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او اية والى
مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر
وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجا
بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم
الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل لان القلوب
ترجف لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او ديارهم واكتفى بالواحد لامن
اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان

باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرا حمزة وحفص ويعقوب
وثمود غير منصرف على تاويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين
لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند
مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل
السوي وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم
لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحقهم باخبار الرسل لهم لكنهم لجوا
حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوفون على عادا وتقديم
قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا
سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا
من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حا
صبا ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من
اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون
ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعا
ملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا

من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا
فيما نسجته في الوهن والخور بل ذاك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا
او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر
وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء
طاغوت ويجمع على عناكب وعناكيب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن
البيوت لبيت العنكبوت لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه
لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهن
من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا
للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله
يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان
الله يعلم وما استفهامية
منصوبة بيدعون ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة
وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول
ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين
تجهيل لهم وتاكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم

تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا
شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في
العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على
مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها للناس
تقريبا لما بعد عن افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها
الا العالمون الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي وعنه ع م انه تلا هذه
الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه
خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات
من خلقها افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه
بقوله ان في ذلك لاية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك
من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه
فان القارئ المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع
سمعه واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون
سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله
وتورث للنفس خشية منه روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله

الصلوات

الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم
يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر ولا الصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما
عبر عنها به للتعليل وان اشتمالها على ذكره هو العمدة في
كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او ولذكر الله
اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون
منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمقابلة
الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هي
منسوخة باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه اخر الدوا
وقيل المراد به ذوو العهد منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط
في الاعتداد والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة
او نبذ العهد ومنع الجزية وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم
هي من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي ع م لا تصدقوا اهل الكتاب ولا
تكذبوهم وقولوا امنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم
وان كان حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون

يطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب وحيا
مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين اتيناهم الكتاب
يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول من
اهل الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول من
الكتابين من يؤمن به بالقران وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام
الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم يمنعهم
عن التامل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول كما
اشار اليه بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع علوم الشريعة على امي لم يعرف
بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي
للتجوز في الاسناد اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يخط ويقرا
لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين
لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة
وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم

فيكون

فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القران ايات
بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد على تحريفه وما
يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح
دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه
مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرا نافع وابن عامر
والبصريان وحفص ايات قل انما الايات عند الله ينزلها كما يشاء لست
املكها فاتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار
وابانته بما اعطيت من الايات اولم يكفهم اية مغنية عما اقترحوه
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم متحدين به فلا يزال معهم
اية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الايات او يتلى عليهم اليهود
بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك في الكتاب
الذي هو اية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم
يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين
اتوا رسول الله بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها
ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم

شهيدا

بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي
ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فلا
يخفى عليه حالي وحالكم والذين امنوا بالباطل وهو ما يعبدون
من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث
اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا
حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب
عاجلا وليأتينهم بغتة فجاة في الدنيا كوقعة بدر او الاخرة عند
نزول الموت بهم وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان
جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم ياتيهم العذاب او هي كا
المحيطة بهم الان لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام
للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة
او للجنس فيكونون داخلين فيه دخولا اوليا يوم يغشاهم العذاب
ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم
من جميع جوانبهم ويقول الله او بعض الملائكة بامره وقرأ ابن عامر
والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين

امنوا

١٨٦

امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة
في بلدة ولم يتيسر لكم اظهارها فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عم من فر
بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان
رفيق ابراهيم ومحمد والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة
ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة
الموت تناله لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته
ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء والذين امنوا
وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي و
قرأ حمزة والكسائي لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء فيكون
انتصابها باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه
الظرف المؤقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر
العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله
الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك
من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله
وكأين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخر

وانما يطعمهم بلا معيشة الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها
وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم
الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على
معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم
بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم
بضميركم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر
المسؤل عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول وجوب انتهاء الممكنات
الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد
اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له
يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض
على التعاقب اي لا يكون على وضع القدر موضوعا واحدا لان
بينا منهم ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن
سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله
معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم
يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد

منها فاتى بهما الهم فما له عند ذلك فقال لهما اطيب شيء في اطايبها
واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر او لان اشكر فعل من انباء
الحكمة في معنى القول ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد
حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان
الحال واذ قال لقمان لابنه انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه يا بني
تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يا بني لا تشرك بالله باسكان الياء وقرأ يا بني
اقم الصلاة مثله باسكان الياء وحفص فيهما وفي يا بني انها ان تك بفتح الياء
والبزي مثله في الاخير وقرأ الباقون في الثلاثة بكسرها لا تشرك
بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف جعل بالله قسما
ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن
لا نعمة منه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على
وهن اي تهن وهنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها
لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ
بتحريك الهاء يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين
وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ

وفصاله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك
تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل
والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ولذلك
قال عليه السلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي
المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به
علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما
في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه
الشرع ويقتضيه الكرم واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد والا
خلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون
بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والايتان معترضتان
في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال
وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما
مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا
في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولها في سعد بن ابي وقاص وامه
مكث لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب الي ابو بكر

بأي

يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان
ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير
القصة وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة
فتكن في صخرة او في السموات او في الارض في اخفى مكان واحرزه كجوف
صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف
من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يات بها الله يحضرها فيحاسب
عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم
الصلاة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك
واصبر على ما اصابك من الشدائد سيما في ذلك ان ذلك اشارة الى
الصبر او الى كلها انه من عزم الامور مما عزمه الله من الامور اي قطعه
قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله
فاذا عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم ولا
تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد
داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر

كبرية ولا تصعر والصعر واحد مثل عال وعلاه واغلاه ولا تمش في الارض
مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر
ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتاخير الفخور وهو مقابل للمصعر
خده والمختال للماشي مرحا لتوافق رؤس الاي واقصد في مشيك توسط
فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول
عائشة كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع
الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك
وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم
سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي تمثيل الصوت
المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد
الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الاحاد او لانه مصدر
في الاصل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا محصلة
لمنافعكم وما في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط
واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه
وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ

بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر
وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس من يجادل في الله
في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى رسول
ولا كتاب منير انزله الله بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما
انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وهو منع صريح من التقليد
في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم ولابائهم
الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو
محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله
بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون
ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص
وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما
يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى الى شاهق
جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل
صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة
وقرئ فلا يحزنك من احزن وليس بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين

فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور فمجاز عليه
فضلا عما في الظ نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة
الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام
الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا
الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان
معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض
لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق
للحمد وان لم يحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار
اقلاما وتوحيد الشجرة لان المراد تفصيل الآحاد والبحر يمده من بعده
سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة ابحر فاغنى عن
ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان و
معمولها ويمده حال او للابتداء على انه مستأنف او الواو للحال ونصبه
البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ يمده
بالياء والتاء ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد

وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالكثير كيف بالقليل ان الله
عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود
سألوا رسول الله او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم
من العلم الا قليلا وقد انزل التوراة وفيها علم كل شيء ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأن عن
شأن لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية
كقوله انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع
كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك
الخلق الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم
الشمس الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم القيامة والفرق
بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل هاهنا منتهى الجري وثم غرضه حقيقة
او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وان الله بما تعملون خبير
عالم بكنهه ذلك الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع
واختصاص الباري بها بان الله هو الحق بسبب انه الثابت في ذاته

الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وان ما يدعون من دونه الباطل
المعدوم في حد ذاته لانه لا يوجد ولا يتصف الا بجعله او الباطل الهيته
وقرأ البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع
على كل شيء متسلط عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه
في تهيئة اسبابه وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول
انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله
بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من اياته
دلائله ان في ذلك لايات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه في التفكر
في الافاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان
الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم
موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرها وقرئ كالظلال جمع ظلة
كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة
من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر
فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط
في الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار

فانه نقض للعهد الفطري او لما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور
للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده
لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف
محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او مبتدأ خبره
هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى
بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر فيها
ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحياة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة
والمغفرة فيجسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة علم
وقت الساعة وقيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله ص فقال
متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر
وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عم
مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وينزل الغيث في ابانه المقدر
والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد
ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وما تدري نفس ماذا

تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه وما تدري
نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت
مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال
الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني
بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ
امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية
للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على
انه ان عمل حيلته وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه
وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض
وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الا
شياء كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه من قرا سورة لقمن
كان له لقمن رفيقا يوم القيمة واعطي عشر حسنات بعدد من عمل
بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وآيها ثلثون وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدا خبره تنزيل الكتاب على ان

التنزيل

التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف
او مبتدا خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في
لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب
فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة
ويؤيده قوله ام يقولون افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين
وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا
انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين
وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه
على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم
اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله
فقال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة
لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في الاعراف
ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضا الله
احد ينصركم او يشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى

مصالحكم

ويبصركم في مواطن نفعكم على أن الشفيع متجوز به للناصر فإذا خذلكم لم
يبق لكم ولي ولا ناصر أفلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الأمر من السماء
إلى الأرض يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة
آثارها إلى الأرض ثم يعرج إليه ثم يصعد إليه ويثبت في علمه موجودا
في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة
يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الأمر
بإظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج إليه في زمان هو كألف سنة
لأن مسافة نزوله وعروجه مسيرة ألف سنة فإن ما بين السماء والأرض
خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد
الألف لألف آخر وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء إلى
الأرض بالوحي ثم لا يعرج إليه خالصا كما يرتضيه إلا في مدة متطاولة
لقلة المخلصين والأعمال الخالصة وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم
الغيب والشهادة فيدبر أمرهما على وفق الحكمة العزيز الغالب على أمره
الرحيم على العباد في تدبيره وفيه إيماء بأنه يراعي المصالح تفضلا وإحسانا
الذي أحسن كل شيء خلقه خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به

على وفق

على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل شيء بدل الاشتمال وقيل
علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه أي يحسن معرفته وخلقه
مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على
الأول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدأ خلق الإنسان يعني آدم
من طين ثم جعل نسله ذريته سميت به لأنها تنسل منه
أي تنفصل من ماء مهين ممتهن ثم سواه قومه بتصوير أعضائه
على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه أضافه إلى نفسه تشريفا وإشعارا
بأنه خلق عجيب وأن له شأنا مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية ولأجله
من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة
خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا
قليلا وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الأرض
لا نتميز منه أو غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل
اللحم إذا أنتن وقرأ ابن عامر إذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه
أئنا لفي خلق جديد وهو نبعث أو يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائي
ويعقوب إنا على الخبر والقائل أبي بن خلف وإسناده إلى جميعهم لرضاهم به

بل هم بلقاء ربهم بالبعث وبتلقي ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون
قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او يبقي منكم احدا والتفعل
والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته
ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء اجالكم ثم الى ربكم
ترجعون للجزاء والحساب ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم
من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك
تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم
يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرأيت
امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت
في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون
يكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ و
الخطاب للرسول او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق
القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لاملأن جهنم من الجنة و
الناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم

لقيه يتعلق وفي الغالبة سيا عنا نسيانهم العاقبة
الحق فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من
المنقضية انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في
وفي استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد
ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون لامثال التكذيب
بخصوص وتبليله بانما لهم السنة ما الكلامية
له بشركهم تدل على عاقبته والتفكر فيها دلالة
يقتضي ذلك انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها
سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا ونزهوه عما
العجز عند البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا لما
هم واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان
تفعل ما يعمل المتكبرين تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى
عن الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين
سخطه وطمعا في رحمته عن النبي في تفسيرها قيام العبد
اذ جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد ينادي

يلهم بلقاء ربهم بالبعث وبتلقي ملك الموت وما بعده
قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او يبقى
والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقضيه واستقضيه
ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء ا
ثم الى ربكم ترجعون للجزاء والحساب ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
من الحياء والخزي عند ربهم قائلين ربنا ابصرنا ما وعد
تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا
يليق بنا الان بما علمتنا انا موقنون وجواب لو محذوف
امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي
في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى ما يتناوله المفعول
يكون منك رؤية في هذا الوقت او تقدير ما دل عليه
الخطاب للرسول او لكل راى ولو شئنا لاتينا كل
نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق
ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لاملان جهنم
الناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة

بانهم اهل النار لا يدفعه بعذر وفي العذاب سيما عند نسيانهم العاقبة
وعدم تفكرهم فيها فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من
الوسائط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في
العذاب ترك المنسي وفي استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد
في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد
ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب
والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيها دلالة
على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها
وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا ونزهوا عما
لا يليق به من العجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما
وفقهم للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان
والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى
عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين
اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي في تفسيرها قيام العبد
في الليل وعنه اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد ينادي

يعني بعض الخلائق سابقهم بعلم اهل الجنة امرا ليؤمن او لي ما كلهم
ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون
وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في الباساء
والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحهم الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس
وقيل كانت اناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم
ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك
مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر به عيونهم وعنه يقول الله اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر بله ما اطلعتم عليه اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقرئ
وأخفي على انه مضارع وقرئ نخفي واخفي والفاعل الكل
هو الله وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة
وما موصول او استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون
اي جوزوا جزاء فاخفي الجزاء فان اخفاءه لعلو شأنه وقيل هذا
لقوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا خارجا عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تأكيد

وتصريح والجمع حملا على المعنى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم
جنات المأوى فانها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها
لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان نزلا سبق في ال عمران
بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين فسقوا
فمأواهم النار مكان الجنة المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب
النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم و
لنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من
السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر عذاب الاخرة
لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة
فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الاية ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه
ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط
وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا
كما في بيت الحماسة ولا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت
ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون فكيف ممن كان اظلم كل ظالم

ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية في شك من لقائه
من لقائك الكتاب كقوله وإنك لتلقى القرآن فإنا آتيناك من الكتاب
مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط نظيره أو من لقاء موسى
الكتاب أو من لقائك موسى عليه السلام رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا
جعدا كأنه من رجال شنوءة وجعلناه أي المنزل على موسى هدى لبني إسرائيل
وجعلنا منهم أئمة يهدون الناس إلى ما فيه من الحكم والأحكام بأمرنا
إياهم به أو بتوفيقنا له لما صبروا وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا
على الطاعة أو عن الدنيا وكانوا بآياتنا يوقنون لإمعانهم فيها
النظر إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيقضي فيميز الحق من الباطل
بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين أولم
يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما
دل عليه كم أهلكنا من قبلهم من القرون أي كثرة من أهلكناهم من
القرون الماضية أو ضمير الله بدلالة القراءة بالنون يمشون في
مساكنهم يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون
بالتشديد إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ

أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز التي جرز نباتها أي قطع
وأزيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن
تأكل منه من الزرع أنعامهم كالتبن والورق وأنفسهم كالحب والثمر
أفلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى
هذا الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا إن كنتم
صادقين في الوعد قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم
ولا هم ينظرون وهو يوم القيامة فإنه يوم نصر المؤمنين على الكفرة
والفصل بينهم وقيل يوم بدر أو يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا
المقتولون فإنهم لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه
جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فإنهم لما
أرادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء أجيبوا بما يمنع الاستعجال فأعرض
عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وانتظر النصرة
عليهم إنهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى أنهم
أحقاء بأن ينتظر هلاكهم أو أن الملائكة ينتظرونهم عن النبي عليه السلام من
قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الأجر كأنما أحيا

ليلة القدر او عشرة من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يعود بوهن في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليما حكيما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرأ ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا

موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل من قلبين اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الانسانية اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية والامومة في امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او لجميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله ابن محمد او المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه الى التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي لرجل امه وابنه لادائه الى التنافي بينهما وبينه وقرأ ابو عمرو واللاي بالياء وحده على انه ابدلت الهمزة ياء ثم سكنت وعن نافع ويعقوب مثله وعنهما وعن ابن كثير بالهمزة وحده واصله

تظهرون فادغمت التا الثانية في الظا وقرا ابن عامر تظاهرون من
ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من التظهر ومعنى الظهار
ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ
كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان
طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة
كما عدى الى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن
الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم
كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السما وادعيا جمع دعي على الشذوذ
وكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى
الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي والله
يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق
ادعوهم لابائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة
وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل
تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه
البالغ في الصدق فان لم تعلموا اباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم

في

في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي
ومولاي بهذا التاويل وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولا اثم عليكم
فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده على النسيان او سبق
اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن
فيما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ و
اعلم ان النبي لا عزم له عندنا وعند الحسن يعاقب عنه فما لكنه
بعث النبي المجتهد الذي ملكة الحافية النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم في الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم
ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب
اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم
عليها روي انه اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس
نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين
فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك
صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم
واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة

لنا امهاتنا لنثاو اولوا الارحام وذوا القرابات بعضهم اولى ببعض
في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة
والموالات في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزل وهو هذه الاية او
اية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام
او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين
بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء
من اعم ما تقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية
او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الايتين ثابتا
في اللوح او القران وقيل في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين
القيم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر
لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا منهم
ميثاقا غليظا عظيم الشان او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا
الوصف ليسال الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك ليسال الله
يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم

اياهم

اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق
صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم
عن تصديقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف على
اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤ منين
او على ما دل عليه ليسال كانه قال فاثاب للمؤمنين واعد للكافرين
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني
الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود القريظة والنضير وكانوا
زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها
الملائكة روي انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم
خرج اليهم في ثلثة الاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين
قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم
الصبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم
واطفات نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض
وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد
الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا

من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وقرئ بالياء اى بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادى من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى راس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده فى اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم والالف مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلى المؤمنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقو

واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعنى اوس بن قيظى واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة فى ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرا حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم النبى للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هى بعورة بل هى حصينة ان يريدون الا فرارا اى ما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم

ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا
الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لأعطوها وقرئ لأتوها بالقصر اي
لجاؤوها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اي باعطائها
الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد
الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين
فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسئولا عن الوفا
به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه
لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت معين سبق به القضا
وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار
مثلا فتمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا
قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة
اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا
سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم

المعوقين

المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم
من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله في الانعام
ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او وقتا قليلا كقوله
وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم
بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر او الغنيمة جمع شحيح ونصبها
على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف
رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه
كنظر المغشي عليه او كدوران عينيه او مشبهين به او مشبهة بعينه
من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب
الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة
يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او اللسان اشحة
على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس
بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا
فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل

نقضهم تعاقبهم وكان ذلك على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة
به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اى هؤلاء لجبنهم يظنون
ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يات
الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون فى الاعراب تمنوا انهم خارجون
الى البدو حاصلون بين الاعراب يسالون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم
عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال
ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا عن التعيير لقد كان لكم فى رسول الله اسوة
حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب والمقا
ساة الشدائد او هو فى نفسه قدوة يحسن التاسى به كقولك فى البيضة
عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرا عاصم
بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الاخر اى ثواب
الله او لقائه ونعيم الاخرة او ايام الله واليوم الاخر خصوصا وقيل
هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الاخر داخل فيها بحسب الحكم والرجا
يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من
لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن

بالرجا

بالرجا كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان
كذلك ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا
من قبلكم الخ وقوله سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة
لكم عليهم وقوله انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وصدق
الله ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا فى النصر
والثواب كما صدقا فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم
فيه ضمير لما راوا او الخطب او البلاء الا ايمانا بالله ومواعيده و
تسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عا
هدوا الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء
الدين من صدقنى اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى
بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل
حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب
النذر استعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان ومنهم
من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد

ولا غيروه بتبديل ما شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله
يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق
ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به وكان
المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات
والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد
بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد
الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا
غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب وكفى الله المؤمنين القتال
بالريح والملائكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا
على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب
يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن
به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف
في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون
فريقا وقرئ بضم السين روي ان جبريل اتى رسول الله صبيحة الليلة

...ب فقال انزع لامتك والملائكة لم يضعوا
...ير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن
...لا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او
...م الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا
...معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم
...فكبر النبي فقال حكمت بحكم الله من فوق
...ستمائة او اكثر واسر سبعمائة واورثكم ارضهم
...حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم وارضا لم
...للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في منا
...الحمس كما ضمنت لهم بكر فقال لا انما جعلت
...تام نطاؤها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل
...الغنيمة وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر
...قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا
...او زينتها زخارفها فتعالين امتعكن
...واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار

ولا تغني عنه بالاشباه من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله

يوم احد اصيب يده فقال عم اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق

ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب

المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به وكان

المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات

والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروط بتوبتهم او المراد

بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد

الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين

غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال

بالريح والملائكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا

على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب

يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصة وهي ما يتحصن

به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقذف

في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون

فريقا وقرئ بضم السين روي ان جبرائيل اتى رسول الله صلعم صبيحة الليلة

الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال انزع لامتك والملائكة لم تضع

السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن

في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او

خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا

فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم

وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق

سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر سبعمائة واورثكم ارضهم

مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم

روي انه جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في

منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت

هذه لي طعمة وارضا لم تطؤوها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل

كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر

على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا

السعة والتنعم فيها وزينتها زخارفها فتعالين امتعكن

اعطكن المتعة واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار

ويروى أنهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ
بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها
فشكر لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح
بإرادتهن الدنيا وجعلها قسيما لإرادتهن الرسول يدل على
أن المخيرة إذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك
وإحدى الروايتين عن علي ويؤيده قول عائشة رضي خيرنا رسول الله فاخترناه
ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن
الخلق وقيل لأن الفرقة كانت بإرادتهن كاختيار المخيرة نفسها
فإنه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف في وجوبه
للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ أمتعكن وأسرحكن بالرفع
على الاستئناف وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة
فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها
ومن للتبيين لأنهن كلهن كن محسنات يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة
مبينة ظاهر قبحها يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي
عذاب غيرهن أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فإن زيادة قبحه

تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي
حد العبد وعوتب الأنبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف
وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب
وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي
وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله
ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين مرة
على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي بالقناعة وحسن
المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي بالياء حملا على اللفظ ويؤتها
على أن فيه ضمير اسم الله وأعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة
على أجرها يا نساء النبي لستن كأحد من النساء أصل أحد وحد بمعنى
الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث
والواحد والكثير لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في
الفضل إن اتقيتن مخالفة حكم الله ورضا رسوله فلا تخضعن
بالقول فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات
فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على

محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع
بالقول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن
من وقر بالجزم وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن
ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع
وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار
اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيتكن تبرج الجاهلية الاولى
تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين ادم
ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم كانت المراة تلبس درعا من
اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية
الاخرى ما بين عيسى ومحمد وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام
والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله لابي الدرداء
ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن
الصلاة واتين الزكاة واطعن الله ورسوله في سائر ما امركن به
ونهاكن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس
لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك

عمم الحكم اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم تطهيرا عن
المعاصي وفي استعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها
وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما لما روي انه خرج
ذات غدوة وعليه مرط من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها
فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على
عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب
قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة من الكتاب الجامع
بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت
النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة
الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما
كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين
ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح
ان يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم

المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق
به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعات والخاشعين
والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين
والمتصدقات بما وجب في اموالهم والصائمين والصائمات الصوم
المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين
الله والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا
من الصغائر لانهن مكفرات واجرا عظيما على طاعتهم والاية
وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي
ان ازواج النبي قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير
فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المؤمنين
والمسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور
لاختلاف الجنسين وهو ضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات
وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله امرا
اي قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه

قضاء الله

قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة خطبها
رسول الله لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم
بنت عقبة وهبت نفسها للنبي فزوجها من زيد ان يكون لهم الخيرة
من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم
لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن
ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الضمير الثاني للتعظيم
وقرا الكوفيون وهشام يكون بالياء ومن يعص الله ورسوله فقد ضل
ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول للذي انعم
الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت
عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك
زينب وذلك انه ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال
سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد
ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي وقال
اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء فقال لا والله
ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك

عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا او تعللا بتكبرها
وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها
وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى
والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل على
الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال
ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا
حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها
زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك
وقرئ زوجتكها والمعنى امرت بتزويجها منه او جعلتها زوجته بلا واسطة
عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي ان الله تولى نكاحي
وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء
عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان
حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان امر الله امره
الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان

على النبي

على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض
له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله سن
ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم
فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما
مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم
منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا
الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او
محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم
على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة
المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم
وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم
ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق
ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه
وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالنصب على اضمار كان و ولكن
بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش

ولكن رسول الله وخاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة
عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه ان يكون نبيا كما
قال عليه السلام في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه
اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ وكان
الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف
ينبغي شأنه يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا
يغلب الاوقات ويعم الانواع بما هو اهله من التقديس والتحميد
والتهليل والتمجيد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار وآخره
خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر
الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه
العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح
الصلاة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار
لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية
بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة وقيل الترحم
والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتمل على الانعطاف

الصوري

الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم
للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو
الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية
الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حتى اعتنى بصلاح
امركم وانافة قدركم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم
من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه
عند الموت او الخروج من القبور او دخول الجنة سلام اخبار
بالسلامة عن كل مكروه وآفة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل
اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا
ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم
وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وبما يجب الايمان به من
صفاته باذنه بتيسيره واطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد
الدعوة به ايذانا بانه امر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جناب قدسه
وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره

انوار البصائر وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الامم او
على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك
ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفة
لهم ودع اذاهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة
او مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ بآية السيف وتوكل على الله
فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال كلها لان ما بعده
كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن
المداراة الكفار المنافقين باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر
بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله برهانا
على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفي به عن غيره يا ايها الذين امنوا اذا
نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن فما لكم عليهن
من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من
عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والا
سناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الا
زواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير

تعتدونها

تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء
بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة
وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا ينكح
الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي
الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن
اي ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون
المتعة ويجوز ان يأول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب
والندب فان المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم
اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا
يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير
لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي
آتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال
له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له
كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما
افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها

وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك
وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل
بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هاني بنت ابي طالب خطبني رسول
الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه
كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل
يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي
للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امرأة
مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف
في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت
خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح
اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد
النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها
نفسها لا يوجب حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول
والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه
في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به

لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على
ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه
بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة
مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود
المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اي
هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد
ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع
الامر فيها انه كيف ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله
لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان
الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه
بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى
وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان
الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك
من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء
وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت

طلبت ممن عزلت طلبت بالقسمة فلا جناح عليك في شي من ذلك ذلك
ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن ذلك التفويض
الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم
كلهن فيه سوا ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت
بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التا واعينهن
بالنصب وتقر على البنا للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب
تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما
بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل
لك النسا بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرا البصريان بالتا من بعد
من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت
واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق
واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك
حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله
وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن
واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشا منهن

وتؤي

وتؤوي اليك من تشا على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو
مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النسا من بعد الاجناس
الاربعة اللاتي نص على احلالهن ولا ان تبدل بهن ازواجا
من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثنا من النسا لانه يتناول
الازواج والاما وقيل منقطع وكان الله على كل شي رقيبا
فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين امنوا لا
تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا
لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار
بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر
قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل
لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة للطعام فيكون جاريا
على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد
امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك
ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا
والاية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون

منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل
بيوته الا بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستا
نسين لحديث لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له
عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او لا تمكثوا مستا
نسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى
اهله واشغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا
يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يترك
الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى
والقاء حركتها على الحاء واذا سالتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسالوهن
المتاع من وراء حجاب ستر روي ان عمر قال يا رسول الله يدخل عليك
البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه
كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره
النبي ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر
الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان
تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد

وفاته

وفاته او فراقه وخصص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس
تزوج المستعيذة في ايام عمر فهم برجمهما فانه فارقها قبل ان
يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعني ايذاءه ونكاح نسائه كان
عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله ورسوله
وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال
ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فا
ن الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم عليه وفي التعميم
مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح
عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن
ولا ابناء اخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه
لما نزلت اية الحجاب قال الآباء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن
ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما
بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله واله آبائك
ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة
ان يصفاهن لابنائهما ولا نسائهن يعني نساء المؤمنات ولا ما ملكت

ابنا

ايمانهن من العبيد والاما وقيل من الاما خاصة وقد مر في سورة
النور واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء شهيدا
لا يخفى عليه خافية ان الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون
باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اعتنوا
انتم فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما
وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والاية
تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلاة كلما
جرى ذكره لقوله عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله
من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلاة
على غيره تبعا له وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك
كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا ان الذين يؤذون
الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون
رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله
للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره
بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا

في الاخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد
احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا قيل انها نزلت في المنافقين
يؤذون عليا رضه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون
النساء وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن
وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المراة
ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن يميزن
من الاما والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة
بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث
يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون
عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة
ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم والمرجفون
في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين و
نحوها من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة

سمي به الخبر الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك بهم لنأمرنك
بقتالهم وإجلائهم أو ما يضطرهم إلى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك
عطف على لنغرينك وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار
الرسول أعظم ما يصيبهم فيها في المدينة إلا قليلا زمانا أو جوارا
قليلا ملعونين نصب على الشتم أو الحال والاستثناء شامل له أيضا
أي لا يجاورونك إلا ملعونين ولا يجوز أن ينتصب عن قوله
أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل
فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد أي سن
الله ذلك في الأمم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء
وسعوا في وهنهم بالإرجاف ونحوه أينما ثقفوا يسألك الناس
عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء أو تعنتا أو امتحانا قل
إنما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل
الساعة تكون قريبا شيئا قريبا أو تكون الساعة عن قريب و
انتصابه على الظرف ويجوز أن يكون التذكير لأن الساعة في معنى
اليوم وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للمتعنتين إن الله لعن الكافرين

وأعد لهم سعيرا نارا شديدة الإيقاد خالدين فيها أبدا لا يجدون
وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار تصرف
من جهة إلى جهة كاللحم يشوى بالنار أو من حال إلى حال وقرئ
تقلب بمعنى تتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا
الرسول فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا
وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب
ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فأضلونا السبيلا
بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا منه
لأنهم ضلوا وأضلوا والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرأ عاصم
بالباء أي لعنا هو أشد اللعن وأعظمه يا أيها الذين آمنوا لا
تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فأظهر براءته
من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك أن قارون حرض امرأة
على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص أو اتهمه ناس
بقتل هارون لما خرج معه إلى الطور فمات هناك فحملته الملائكة
ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءته

أو قذفه بعيب في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله على
أنه بريء منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان
عبد الله على أنه وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب
ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا
إلى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب
من غير قصد يصلح لكم أعمالكم يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها
بالقبول والإثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم
في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الأوامر والنواهي فقد فاز
فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا إنا عرضنا
الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن
منها وحملها الإنسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها
أمانة من حيث إنها واجبة الأداء والمعنى أنها لعظمة شأنها بحيث
لو عرضت على هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك
لأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان مع ضعف بنيته
ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير

الدارين

الدارين إنه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها
وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب وقيل المراد بالأمانة الطاعة
التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم
طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة
فيها والامتناع عن أدائها ومنه قولهم حامل الأمانة ومحتملها
لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الإباء عنه إتيانا بما يمكن أن يتأتى منه
والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل إنه تعالى لما خلق هذه
الأجرام خلق فيها فهما وقال لها إني فرضت فريضة وخلقت جنة
لمن أطاعني ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا
لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه
مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة
عاقبته ولعل المراد بالأمانة العقل أو التكليف وبعرضها عليهن
اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن وبإبائهن الإباء الطبيعي الذي
هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الإنسان قابليته واستعداده
لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية

وعلى هذا يحسن ان يكون عجزه عن الحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون
مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم
مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل
من حيث انه نتيجته كالتاديب للضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في
الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم عند فرطات
وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على
طاعاتهم قال النبي عليه السلام من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي
الامان من عذاب القبر

سورة سبا مكية وقيل الا
ويرى الذين اوتوا العلم الاية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في
الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الاخرة لان
ما في الاخرة ايضا كذلك وليس من عطف المقيد على المطلق فان
الوصف بما يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم

الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق
الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الاخرة وهو الحكيم الذي احكم امور
الدارين الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ
في موضع وينبع في آخر كالكنوز والدفائن والاموات وما يخرج
منها كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السما
كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق
وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة
وهو الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الآخرة
مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين
كفروا لا تأتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء
بالوعد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربي لتأتينكم
عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم
به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة و
الكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم
الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يعزب عنه مثقال

ذرة في السموات ولا في الأرض وقرأ الكسائي لا يعزب بالكسر ولا أصغر من
ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما
بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع
على مثقال والمفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع
الصرف لأن الاستثناء يمنعه اللهم إلا إذا جعل الضمير في عنه للغيب
وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له
فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء إلا مسطورا في اللوح ليجزي الذين
آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي إتيانها
أولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين
سعوا في آياتنا بالإبطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين
كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين أي مثبطين عن الإيمان
من أراده أولئك لهم عذاب من رجز من سيء العذاب أليم مؤلم
ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين أوتوا العلم ويعلم
أولوا العلم من الصحابة ومن تابعهم من الأمة أو من مسلمي أهل
الكتاب الذي أنزل إليك من ربك القرآن هو الحق ومن رفع

الحق

الحق هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف
للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب
معطوف على ليجزي أي ليعلم أولوا العلم عند مجيء الساعة أنه الحق
عيانا كما علموه الآن برهانا ويهدي إلى صراط العزيز الحميد الذي
هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا يعني
قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا
ينبئكم يحدثكم بأعجب الأعاجيب إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد
أنكم تنشأون خلقا جديدا بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزيق بحيث
تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه
وعامله محذوف دل عليه ما بعده فإن ما قبله لم يقارنه
وما بعده مضاف إليه أو محجوب بينه وبينه بإن وممزق يحتمل أن
يكون مكانا بمعنى إذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم
كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول
من جد النساج الثوب إذا قطعه أفترى على الله كذبا أم
به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم

اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب
واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين
لان الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب و
الضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع
من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه
وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما
عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعيد في الاصل
صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا
الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض
او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة
الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزوا
وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء
والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط
عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي
يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص

كسفا

كسفا بالتحريك ان في ذلك النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لآية
لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل في امره
ولقد آتينا داود منا فضلا اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او
على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن
يا جبال اوبي معه رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك
اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل
ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي
في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار
قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة با
لرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة
الاعرابية او على فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز
ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا
داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل بهذا النظم
لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه
حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها.

والنا له الحديد جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق
بالآلة او بقوته ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية
سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها وقدر
في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها
فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه
لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا صالحا
الضمير فيه لداود واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان
الريح اي وسخرنا له الريح وقرأ ابو بكر الريح بالرفع اي ولسليمان
الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر جريها
بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها
واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اسال له من معدنه
فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك با
ليمن ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن
حال متقدمة او جملة من مبتدأ وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ
منهم من امرنا ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ

يزغ

يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير من عذاب النار لانه يعلق له
ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت به لانها
يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل وصورا له وتماثيل للملائكة
والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها فيعبدون نحو عبادتهم
وحرمة التصاوير شرع مجدد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل
كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له
ذراعيهما اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب
كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة
كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها
اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة
اي اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف
له او الحال او المفعول به وقليل من عبادي الشكور المتوفر على
اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع
ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر
لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر

فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل أهله إلا دابة الأرض
أي الأرضة أضيفت إلى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من
فعلها يقال أرضت الأرضة الخشبة أرضا فأرضت أرضا مثل
أكلت القوادح الأسنان أكلا فأكلت أكلا تأكل منسأته عصاه من نسأت
البعير إذا طردته لأنها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا
وحذفا على غير قياس إذ القياس إخراجها بين بين ومنسأته على مفعالة
كميضأة ومن سأته أي طرف عصاه مشتقة من سأة القوس وفيه
لغتان كما في قحة وقحة وقرأ نافع وأبو عمرو منساته بألف ساكنة بدلا
من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة إذا وقف جعلها بين بين
فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم أن لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون
لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره إلى أن خر
أو ظهرت الجن وأن بما في حيزه بدل منه أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك أن داود أسس بيت المقدس في موضع
فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل تمامه فوصى به إلى سليمان فاستعمل الجن فيه

فلم يتم

فلم يتم فلما دنا أجله أعلم به فأراد أن يعمي عليهم موته ليتموه
فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا
على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى أكلتها الأرضة
فخر ثم فتحوا عنه وأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة
على العصا فأكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه
قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة
وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ
لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه
ابن كثير وأبو عمرو لأنه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته
ألفا ولعله أخرجها بين بين فلم يؤده الراوي كما وجب في مساكنهم
في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء
مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالإفراد والفتح والكسائي بالكسر
حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة
على وجود الصانع المختار وأنه قادر على ما يشاء من الأمور عجيبة
مجازاة للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان

جنتان بدل من آية او خبر محذوف تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب
على المدح والمراد جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة
عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضا
مها كانه جنة واحدة او بستانا كل رجل عن يمين مسكنه وعن
شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم
او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة
طيبة ورب غفور استئناف للدلالة على موجب الشكر اي هذه البلدة
التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم
رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح وقيل
كانت اخصب البلاد واطيبها لم تكن عاهة ولا هامة فاعرضوا
عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اي
الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او
المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا
ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار
ما يحتاجون اليه او المسناة التي عقدت سكرا على انه جمع

عرمه وهي الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك
بين عيسى ومحمد وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط ثمر
بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل
شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان واثل وشيء
من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو
الطرفاء ولا ثمر له وقرئ بالنصب عطفا على جنتين ووصف
السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك
يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم
وقرا ابو عمرو ذواتي اكل بغير تنوين اللام وقرا الحرميان بالتخفيف
اكل ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل
روي انه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم
لا للتخصيص وهل نجازي الا الكفور وهل نجازي بمثل ما فعلنا
بهم الا البليغ في الكفران او الكفر وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى

القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قرى
ظاهرة متواصلة تظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة
لابنا السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح
في قرية الى ان يبلغوا الشام سيروا فيها ليالي على ارادة القول بلسان
الحال او المقال واياما متى شئتم من ليل او نهار امنين لا يختلف الامن
فيها لاختلاف الاوقات او سيروا امنين وان طالت مدة سفركم فيها
او سيروا فيها ليالي اعماركم وايامها لا تلقون فيها الا الامن فقالوا
ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل
فسالوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها
على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى
المتوسطة وقرا ابن كثير بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على
انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفه وعدم الاعتداد
بما انعم الله عليهم ومثله قراءة من قرا ربنا بعد بين سفرنا على النداء
واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا
بها فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون

تفرقوا

تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم غاية التفريق حتى
لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان
ان في ذلك فيما ذكر لايات لكل صبار عن المعاصي شكور على النعم ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه او صدق بظن ظنه مثل فعلته
جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع
من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا
وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا
والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيل له اغواءهم وبرفعهما
والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم
في الشهوات او ببني ادم حين راى اباهم ادم ضعيف العزم او ما ركب فيهم
من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها
فقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا
فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار
او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون
وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلا

بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك
الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من
الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من
حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى و
ربك على كل شيء حفيظ محافظ والزنتان متآخيتان قل للمشركين
ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول ل
طول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته وهي من دون الله مقامه ولا يجوز
ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون
لانهم لا يزعمونه وهو ظاهر والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع
او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا
بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون بانفسهم
واختيارهم مثقال ذرة من خير او شر في السموات والارض في امرها
وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة
والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر
والخير سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم

فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه
على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا ينفعهم شفاعتهم
ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له
له ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على
الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد
وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة على البناء للمفعول حتى اذا
فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا
للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين
والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم
ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ
اي نفي الوجل من فرغ الزاد اذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا
قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن
بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو
العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم
الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض يريد به تقرير قوله

لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا
في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا
او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين
المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به
الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من
الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال
على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في
صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان اتهجوه
ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف
وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا ينظر
الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال
كانه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع
ان يتفصى منها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا
ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم
والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا

بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو
الفتاح الحاكم الفاصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به
قل اروني الذين الحقتم به شركاء لارى باي صفة الحقتموهم بالله في
استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم
زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو
الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء
الملحقون متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا
والضمير لله او للشأن وما ارسلناك الا كافة للناس الا ارسالة
عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم
او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة
ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن
اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من
فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه
او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون به
رسول الله والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد او زمان وعد

واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ على البدل وقرئ بالنصب
اعني لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجأكم وهو جواب
تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وقال
الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما
تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار
مكة سألوا اهل الكتاب عن الرسول فاخبروهم انهم يجدون نعته
في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيمة
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي في موضع المحاسبة
يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول يقول
الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا للرؤساء
لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين
باتباع الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددنا
كم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين
لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن
الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الكلام

وقال

وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب
عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى
اغرتم علينا رأينا اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا
والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على
الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين
وكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما رأوا
العذاب واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال و
اخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الا
ضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات وللسلب كما في اشكيته و
جعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالظ
اهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا
يعملون اي لا يفعل بهم الا ما يقتضيه اعمالهم وتعدية يجزون اما لت
ضمين معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا في قرية من
نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه وتخصيص
المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم اليه التكبر والمفاخرة

بتفاخرهم بالدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها
ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به
كافرون على مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب
لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل رد لحسبانهم ان
ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص
المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه
لم يكن بمشيئته ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال
والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال
وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قربة والتي
اما لان المراد وما جماعة اموالكم ولا اولادكم او لانها صفة
محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ باللذي اي بالشيء الذي
يقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي
الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي
ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح

او بما اموالكم

او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا
ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر
الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال
الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم
وهم في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ بالفتح وسكون الراء وقرأ حمزة
في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن
فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك
في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له
يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد با
عتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من
من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين
فان غيره وسط في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم
جميعا المستكبرين والمستضعفين ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم
كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما
يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم

والضمائر للمخاطبين منهم ولان عبادتهم مبدا الشرك واصله
قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذي نواليه من
دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا
بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة
بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في
عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويتخيلون انهم الملائكة
فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس والثاني
للجن والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض
نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله لله لان الدار دار جزاء وهو المجازي وحده
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا الا رجل يريد ان يصدكم عما
كان يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا
يعنون القران الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع
مفترى باضافته الى الله سبحانه وقال الذين كفروا

للحق لما جاءهم لامر النبوة او الاسلام او للقران والاول باعتبار
معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته
وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة
الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة الى البت بهذا
القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما اتيناهم من كتب
يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من
نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه
له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل
والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم كما
كذبوا وما بلغوا معشار ما اتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما
اتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك
عشر ما اتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فكيف
كان نكير فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف
كان نكيري لهم وليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب لان
الاول للتكثير والثاني للتكذيب او الاول مطلق والثاني
مقيد

ولذلك عطف عليه بالفا فقال انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح
لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام
من مجلس رسول الله او الانتصاب في الامر خالصا لله معرضا عن
المرا والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا
واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا
في امر محمد وما جا به لتعلموا حقيته ومحله الجر على البدل او البيان
او الرفع او النصب باضمار هو او اعني ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما
به جنون يحمله على ذلك او استيناف منبه لهم على ان ما عرفوا من
رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى
لادعا امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح
على رؤس الاشهاد ويسلم ويلقي نفسه الى الهلاك فكيف وقد
انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا
اي شي به من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب
شديد قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من
اجر اي شي سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي

السؤال

السؤال كانه [illegible] مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع
نفع دنيوي عليه لانه اما ان يكون لغرض او لغيره واياما كان يلزم
احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سالهم بقوله
ما اسالكم عليه من اجر الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم
ان اجري الا على الله وهو على كل شي شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص
نيتي وقيل يقذف بالحق يلقيه على من يجتبيه من عباده او يرمي به
الباطل فيدمغه او يرمي به الباطل الى اقطار الافاق فيكون وعدا
باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة محمولة على محل ان
واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ
بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرا حمزة وابو بكر الغيوب
بالكسر كالبيوت والباقون بالضم كالشعور وقرئ بالفتح كالصبور
على انه مبالغة غائب قل جا الحق اي الاسلام وما يبدئ الباطل
وما يعيد وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ
من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابدا ولا اعادة قال

اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدئ ولا يعيد وقيل الباطل ابليس
او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده
وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها قل ان ضللت عن الحق فانما
اضل على نفسي فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة
بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت
فبما يوحي الي ربي فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب
يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا
عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت امرا فظيعا
فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب
من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى
القليب والعطف على فزعوا او فلا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا
على محله اي فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به بمحمد
وقد مر ذكره في ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا
الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وقد بعد
عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعدما فات عنهم اوانه

بحال

بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة
وقرأ الكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمتها او انه من نأشت
الشيء اذا طلبته قال رؤبة اقحمني جار ابي الخاموش اليك ناش القدر
النؤوش او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون
اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى التناول من بعد
وقد كفروا به بمحمد او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان التكليف
ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول
من المطاعن او في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب
بعيد من امره وهي الشبه التي تمحلوها في امر الرسول او حال الآخرة
كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا
يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان
يلقي اليهم ويلقنهم وكلها عطف على وقد كفروا على حكاية الحال
الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل
ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من
نفع الايمان والنجاة من النار وقرأ ابن عامر والكسائي باشمام

الغم الحائل كما فعل بأشياعهم من قبل بأشباههم من كفرة الأمم الدارجة
إنهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة أو ذي ريبة منقول من المشكك
أو الشاك نعت به الشك للمبالغة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ
لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا سورة

مكية وآيها خمس وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والأرض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه
شق العدم بإخراجهما منه والإضافة محضة لأنه بمعنى الماضي
جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين
من عباده يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا
الصادقة أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه أولي
أجنحة مثنى وثلاث ورباع ذوي أجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت
ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه
فيتصرفون فيه على ما أمرهم به ولعله لم يرد خصوص الأعداد ونفي ما زاد
عليها لما روي أنه عليه السلام رأى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد

في الخلق ما يشاء استئناف للدلالة على أن تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته
ومؤدى حكمته لا أمر تستدعيه ذواتهم لأن اختلاف الأصناف والأنواع
بالخواص والفصول إن كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الأمور
المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة
الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس إن الله على
كل شيء قدير وتخصيص بعض الأشياء بالتحصيل دون بعض إنما هو
من جهة الإرادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من
تجوز السبب للمسبب من رحمة كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة
فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل له يطلقه واختلاف
الضميرين لأن الموصول الأول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضب
وفي ذلك إشعار بأن رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد إمساكه
وهو العزيز الغالب على ما يشاء ليس لأحد أن ينازعه فيه الحكيم لا
يفعل إلا بعلم وإتقان ثم لما بين أنه الموجد للملك والمتكفل والمتصرف
فيهما على الإطلاق أمر الناس بشكر نعمه فقال يا أيها الناس اذكروا
نعمت الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها

ثم ابطل ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق
يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون
عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه
وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره
حمزة والكسائي حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة
لخالق او استئناف مفسر له او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل
من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع كذبت موضعه
استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير الرسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية
والحث على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك واياهم على الصبر
والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه
فلا تغرنكم الحياة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة
والسعي لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة
مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع
كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر

او جمع

او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو عداوة عامة قديمة فاتخذوه
عدوا في عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم
انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان
لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا
الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه
وقطع للاماني الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح
وقوله افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير له اي افمن زين له
سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى
الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق
واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة
فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل تقديره افمن زين له
سوء عمله ذهبت نفسك عليه حسرة عليهم حسرات على غيهم واصرارهم
على التكذيب والفاءات الثلاث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على
السبب والثالثة دخلت على المسبب ووضع الحسرات للدلالة على

تضاعف اغتمامه على أحوالهم أو كثرة مساوي أفعالهم المقتضية
للتأسف وعليهم ليس صلة لها لأن صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة
تذهب أو بيان المتحسر عليه إن الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه
والله الذي أرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح فتثير
سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة
الدالة على كمال الحكمة ولأن المراد بيان إحداثها بهذه الخاصية و
كذلك أسنده إليها ويجوز أن يكون اختلاف الأفعال للدلالة على
استمرار الأمر فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بالمطر النازل
منه وذكر السحاب كذكره أو بالسحاب فإنه سبب السبب أو الصائر مطرا
بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة إلى ما هو أدخل في الا
ختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور أي مثل إحياء الموات
نشور الأموات في صحة المقدورية إذ ليس بينهما إلا احتمال اختلاف
المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل لها فيها وقيل في كيفية الإحياء فإنه
تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه أجساد الخلق من كان يريد العزة
الشرف والمنعة فلله العزة جميعا أي فليطلبها من عنده فإن كلها

له فاستغني بالدليل عن المدلول إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما
إليه مجاز عن قبوله إياهما أو صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن
في يرفعه للكلم فإن العمل لا يقبل إلا بالتوحيد ويؤيده أنه نصب العمل
أو للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه أو لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما
فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناء للمفعول والمصعد هو الله والمتكلم به
أو الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه ع م
هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد
عرج بها إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين
يمكرون السيئات المكرات السيئات يعني مكرات قريش للنبي ع م في دار الندوة
وتداورهم الرأي في إحدى ثلاث حبسه وقتله وإجلائه لهم عذاب شديد
لا يؤبه دونه بما يمكرون ومكر أولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ
لأن الأمور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه قوله والله خلقكم من تراب
بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم أزواجا
ذكرانا وإناثا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر

ومما يعد في ... مصرع المالكي ولا ينقص من عمر من عمر المعمر بغير بان يعطى
له عمر ناقص مما يعطى او لا ينقص عمر المنقوص بجعله ناقصا والضمير له
والاول لا يكون لك لانه مقابل عليه او للعمر على التسامح فيه كما
يفهم التسامح كقوله لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بالحق وقيل الزيادة
والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل
ان يكون فيه ان حج زيد فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد با
لنقصان ما يمضي من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما
وعلى هذا ولا ينقص على بناء الفاعل الا في كتاب هو علم الله او اللوح
او الصحيفة ان ذلك على الله يسير ومنها ان الحفظ او الزيادة في
النقص ومما يسوى الجملة هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح
اجاج ضرب المثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش
والسائغ الذي يسهل انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ
ملح بالكسر يريد التخفيف وملح وعلى فعل ومن كل تأكلون لحما طريا
وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما فيهما
من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا
يتساويا

فيها

فيما هو المفرد بالذات من المنافع فما لهما اصلهما كما اقبل وغيره على
كما لا يتساوى الاشياء في المؤمن والكافر وان اتفقا اشتركا في بعض الصفا
ت كالشجاعة والسماحة لا يتساويان فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما
على الفطرة الاصلية دون الاخر او تفضيل للاجاج على الكافر
بما يشاركه العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت
وترى الفلك فيه في كل منهما مواخر شق بجريها لتبتغوا من فضله من
فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بنحو مواخر او بما دل
عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي
باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هو مدة دوره او منتهاها
او يوم القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه
الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجب لثبوت الاخبار المترتبة
فيحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ في قرن والذين تدعون
من دونه ما يملكون من قطمير لانه على ... بالعطف والقطمير
لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد

ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع
او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم لهم
يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير
ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الله سبحانه فانه الخبير به
على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من
حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله
في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم
لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر
الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق
الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق
المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ان يشا يذهبكم
ويأت بخلق جديد بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه
وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى
ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم

مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة
نفس اثقلها الاوزار الى حملها الى حمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم
يجب بحمل شيء نفي ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان
ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه
وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان تامة فانها
لا تلائم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين عن
عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا
الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن
تزكى ومن تطهر من دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ
ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة
لانهما من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي
الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل
ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور
الثواب ولا العقاب ولا لتاكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين
لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب

والحرور كما نبهت لنا الو وما يستوي الأحياء ولا الأموات تمثيل آخر للمؤمنين
والكافرين أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء
إن الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته
وما أنت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات
ومبالغة في إقناطه عنهم إن أنت إلا نذير فما عليك إلا الإنذار
وأما الإسماع فلا إليك ولا حيلة لك إليه في المطبوع على قلوبهم
إنا أرسلناك بالحق محقين أو محقا أو إرسالا مصحوبا بالحق
ويجوز أن يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا أي بشيرا بالوعد الحق
ونذيرا بالوعيد الحق وإن من أمة أهل عصر إلا خلا مضى فيها
نذير من نبي أو عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة
قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل أو لأن الإنذار هو المقصود
الأهم من البعثة وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم
جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وباله
وبالزبر كصحف إبراهيم وبالكتاب المنير كالتوراة والإنجيل
على إرادة التفصيل دون الجمع ويجوز أن يراد بها واحد والعطف

لتغاير

لتغاير الوصفين ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير أي إنكاري
بالعقوبة ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات
مختلفا ألوانها أجناسها أو أصنافها على أن كلا منها له أصناف
مختلفة أو هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد
ذو جدد أي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على
ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين
وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف ألوانها بالشدة والضعف
وغرابيب سود عطف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال
ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو
تأكيد مضمر يفسره ما بعده فإن الغربيب تأكيد للأسود ومن حق التأكيد
أن يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة والمؤمن العا
ئذات الطير يمسحها وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير
باعتبار الإضمار والإظهار ومن الناس والدواب والأنعام مختلف
ألوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال إنما يخشى الله من عباده
العلماء إذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله

فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال عم إني أخشاكم لله وأ
تقاكم له وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فإن المعظم
مهيبا إن الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته
على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه
إن الذين يتلون كتاب الله يداومون على قراءته أو متابعة ما فيه
حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن أو جنس
كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الأمم بعد اقتصاص حال
المكذبين وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
كيف اتفق من غير قصد إليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية
في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر إن لن
تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم
أجورهم علة لمدلوله أي تنتفي عنها الكساد وتنفق عند الله
ليوفيهم بنفاقها أجور أعمالهم أو لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا

ذلك

ذلك ليوفيهم أو عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل
أعمالهم إنه غفور لفرطاتهم شكور لطاعتهم أي مجازيهم عليها
وهو علة للتوفية والزيادة أو خبر إن ويرجون حال من واو وأنفقوا
والذي أوحينا إليك من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين أو الج
نس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه أحقه مصدقا لما
تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيته تستلزم
موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام إن الله بعباده لخبير
بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة
لم نوح إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر
الكتب وتقديم الخبير للدلالة على أن العمدة في ذلك الأمور
الروحانية ثم أورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك أو
نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه أو أورثناه من الأمم السالفة
والعطف على إن الذي نوحي والذي أوحينا إليك ثم
اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من
عبادنا يعني علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة

آ ـ ٢٩

بالعلم فان الله اصطفاهم على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير
في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم سابق
بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم
الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم
والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت
حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله اما الذين
سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما الذين
اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم
فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم
الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم
بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق
عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفا
او السبق جنات عدن يدخلونها مبتدا وخبر والضمير للثلاثة
او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن
وجنات منصوب بفعل يفسره الظاهر وقرا ابو عمرو يدخلونها

على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون
من حليت المراة فهي حالية من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض
والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ
او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على
محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش
وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا
لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة دار الاقامة
من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها
نصب ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد
اتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا
لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا
فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله
ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما
خبت زيد اسعارها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور

مبالغ في الكفر او الكفران وقرا ابو عمرو ويجزى على البنا للمفعول
واسناده الى كل وقرئ نجازي وهم يصطرخون فيها يستغيثون
يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة
لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل
باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر
على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم
لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والان تحقق
لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب
من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول لكل عمر يتمكن المكلف
فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عم
العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة والعطف على معنى
اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي
او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما
للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم انه عليم بذات
الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما

يكون

يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض وهو ملقى
اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة
والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد
الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا
خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر
لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب
عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار
الاخرة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني
الهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله او لانفسهم
فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارايتم
بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي
جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السماوات ام لهم
شركة مع الله في خلق السماوات فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية
ذاتية ام اتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة
منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان

ان يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرا نافع
وابن عامر ويعقوب وابو بكر والكسائي على بينات فيكون ايما
ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظا
لمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه
بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف والرؤساء
الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا كراهة ان تزولا فان
الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الا
مساك منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد
من بعده من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد
الجوابين من الاولى زائدة والثانية للابتداء انه كان
حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا
هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن وتنشق الارض واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى
الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم

قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى
من احدى الامم اي من واحدة اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة
التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى
والاستقامة فلما جاءهم نذير يعني محمدا ما زادهم اي النذير
او مجيئه على التسبب الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض
بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا المكر
السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل
بالمصدر ثم اضيف ولا يحيق ولا يحيط المكر السيء الا باهله
وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر السيء
اي لا يحيق الله فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين سنة
الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد
لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب ولا يحولها
بان ينقله من المكذبين الى غيرهم اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليهم
بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من اثار

الماضين وكان اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته
في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو
يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهرها على ظهر الارض
من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة
الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيامة
فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن
النبي عم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب

سورة يس مكية وآيها ثلاث وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على
ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله
في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب
على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم
بناء كحيث او اعرابا على هذه يس وامال الياء حمزة والكسائي
وابو بكر وروح وادغم النون في واو والقرآن الحكيم ابن عامر

والكسائي وابو بكر وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل
يس مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم لمن الذين ارسلوا
على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون
على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفائدته
وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما
تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي وحفص بالنصب باضمار اعني او فعله على انه اصله
وقرئ بالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى
لمن المرسلين ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الاقربين
لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله
او الذي انذر به او شيئا انذر به آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا
ثانيا لتنذر او انذار آبائهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي
على الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله انك لمن المرسلين
على الوجوه الاخر اي ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون
لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس

فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث
لا تغني عنهم الايات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي
الى الاذقان فالاغلال واصلة الى الاذقان فلا تخليهم يطا
طئون اي يخفضون رؤسهم فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم
في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطا
طئون رؤسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا
فاغشيناهم فهم لا يبصرون وبمن احاطت بهم سدان فغطى ابصارهم
بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة
ممنوعون عن النظر في الايات والدلائل وقرا حمزة والكسائي وحفص
سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان
بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشا وقيل الايات
في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ راس النبي فاتاه وهو يصلي ومعه
حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده
حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي

اخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم
تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة انما تنذر انذارا يترتب عليه
البغية المرومة من اتبع الذكر اي القران بالتامل فيه والعمل به
وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله
او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره
بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهدى
ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة واثارهم
الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتاسيس ظلم وكل
شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم من
قولهم هذه الاشيا على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى
مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف
مضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد
ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية
اذ جاءها المرسلون بدل منه اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى الى اهلها
واضافه الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله

وقلبهت وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأ
ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه
ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث وهو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون
وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل عليهم عيسى اثنين فلما قربا
الى المدينة راءا حبيبا النجار يرعى غنما فسالهما فاخبراه فقال امعكما
آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض
منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ
حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك
والهتك قال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل
متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استانسوا به واوصلوه الى الملك
فانس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما
يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي
خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما
يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام
مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين

فوضعا

فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت لو
سالت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي
عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما
على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فقام وقال
اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه
فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة
شمعون وهذين فلما راى شمعون ان قوله اثر فيه نصحه فآمن
في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا
لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض
النفي المقتضي اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء وحي ورسالة
ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم
لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا
اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا البلاغ
المبين الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد
فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك

لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا
عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طا
ئركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ
طيركم معكم أئن ذكرتم وعظتم به وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم
او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد الف بين الهمزتين وفتح
أن بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وان وأين بغير الاستفهام وأين ذكرتم بمعنى
طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون
قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم او في الضلال
ولذلك توعدتم وتشأمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به وجاء من اقصى
المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار كان ينحت اصنامهم وهو ممن
آمن بمحمد عليه السلام وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله فلما
بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لا يسألكم اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون
الى خير الدارين وما لي لا اعبد الذي فطرني على قراءة غير حمزة فانه
يسكن الياء في الوصل تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة

لنفسه

لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم
على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون
مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه
آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني
شفاعتهم ولا ينقذون بالنصرة والمظاهرة اني اذا لفي ضلال مبين
فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر
على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل وقرأ
نافع وابو عمرو بفتح الياء اني آمنت بربكم الذي خلقكم فاسمعون
فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا
يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه
بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء
او لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم
يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام
استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه
بعد تصلبه في نصرة دينه ولذلك قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي

ربي وجعلني من المكرمين فانه يحول عن السؤال عن قوله عند ربه الى
القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة
عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على داب الاوليا
في كظم الغيظ والترحم على الاعدا او ليعلموا انهم كانوا على خطا
عظيم في امره وانه كان على حق وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ومصدرية
والباء صلة يعلمون او استفهامية جات على الاصل والباء صلة غفر
اي باي شي غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم
وما انزلنا على قومه من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند
من السما لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم
بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايما بتعظيم الرسول عم
وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه
اذ قدرنا لكل شي سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك
وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي ومما كنا منزلين على من قبلهم
من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت ما كانت الاخذة او
العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل وقرئ بالرفع على كان
التامة

فاذا هم

فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار
الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب
وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد فهذه
من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها ما يا
تيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون فان المستهزئين بالناصحين
المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقا بان يتحسروا عليهم
وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان
يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على
انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها
وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة
الى الفاعل او المفعول ويا حسره على العباد باجرا الوصل مجرى الوقف
الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون
لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام
انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا
من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف.

وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيامة للجزاء وان مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما
بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا
ظرف له او لمحضرون وآية لهم الارض الميتة وقرأ نافع بالتشديد
احييناها خبر للارض والجملة خبر آية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة
وهي الخبر او المبتدأ والآية خبرها او استئناف لبيان كونها آية
واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على
ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب
من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال
على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر
النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد
النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير
كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اي شيئا من العيون فحذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش ليأكلوا
من ثمره من ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات

والاضافة

والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين وهو
لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف
على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية
والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين
بلا هاء فانها حذفها من الصلة احسن من غيرها افلا
يشكرون امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي خلق
الازواج كلها الانواع والاصناف مما تنبت الارض من النبات
والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا
لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشف عن مكانه مستعار
من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون
داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي اليه
دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء
فان حركتها فيه يوجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال
والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقر لها على نهج مخصوص

او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق و المغارب فان لها في دورها ثلثماية

وستين مشرقا و مغربا تطلع كل يوم من مطلع و تغرب من مغرب ثم لا

تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ

لا مستقر لها اي لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس

ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن

احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط

علمه بكل معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل او سيره في منازل

وهي ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة

الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا

السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة

سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو

المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد

منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في آخر منازله وهو الذي

يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرا الكوفيون وابن عامر

والقمر بنصبه حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج

وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم

العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل

ان تدرك القمر في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش

الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه

فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة

لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته

ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق

القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك

بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض عن

المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال

يوجب تعددا ما في الذات او للكواكب فان ذكرهما مشعر بها

في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم

اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين

يستصحبونهم فان الذرية يقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم

لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرا نافع وابن عامر ذرياتهم

في الفلك المشحون المملو وقيل المراد فلك نوح وحمل الله ذرياتهم فيها
انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية
لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله
من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق
وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق او
فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من
الموت به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتع بالحياة الى حين زمان
قدر لاجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقائع
التي خلت والعذاب المعد في الاخرة او نوازل السما ونوائب
الارض كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السما
والارض او عذاب الدنيا وعذاب الاخرة او عكسه او ما تقدم
من الذنوب وما تاخر لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب
اذا محذوف دل عليه قوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا
عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه
وتمرنوا عليه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم

قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة للذين امنوا تهكما
بهم من اقرارهم بالله وتعليقهم الامور بمشيئته انطعم من لو يشاء
الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء
المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم فلم يطعمهم فنحن
احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها
حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ان انتم الا
في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله ويجوز ان يكون
جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث ما ينظرون
ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تاخذهم وهم
يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم ولا يخطر ببالهم
امرها كقوله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله
يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين
وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرا ابن كثير وورش وهشام بفتح
الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به مع اختلاس وعن نافع

الفتح فيه والاسكان وكانه جوز الجمع بين الساكنين ان كان الثاني مدغما
وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء
من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم
الصيحة ونفخ في الصور اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم
من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون
يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا
وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح
ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وقرئ
من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا
صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب الملائكة
والمؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم
عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث
كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل

فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس كبعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث
وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة
واحدة هي النفخة الاخيرة وقرئ بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع
لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر
واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم
لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم
حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا لهم وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة
اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل
وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى
ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران
لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة
كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف
وشغل خبر هم وازواجهم في ظلال
جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل

على الارائك على السرر المزينة متكئون وهم مبتدأ خبره في ظلال والجملة
مستانفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تاكيد له
او تاكيد للضمير في شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر
اخر لان وازواجهم عطف عليهم للمشاركة في الاحكام الثلاثة وفي ظلال
حال من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون
ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا
شوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او ما
يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه في الدنيا
من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء
ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون
خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ
بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من
رب رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله
يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك
مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا

اليوم

اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة
كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا عن كل
خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى
الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال
لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية
والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة
الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف
المضارعة واحهد واحد وهي لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل
للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف
على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم
او الى عبادته فالجملة استئناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه
او بشقه الاخير والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض
فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا
كثيرا رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع
ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق

وقرا

وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وأبو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الأجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على أفواههم نمنعها من الكلام وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على أفعالها أو بإنطاق الله إياها وفي الحديث أنهم يجحدون ويخاصمون فيختم الله على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم ولو نشاء لطمسنا على أعينهم لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه ونصبه بنزع الخافض أو بتضمين الاستباق معنى الابتدار أو جعل المسبوق إليه مسبوقا على الاتساع أو بالظرف فأنى يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وإبطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ أبو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل

موضعه للفواصل وقيل لا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مِضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى أنهم بكفرهم ونقضهم ما عهد إليهم أحقاء بأن يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة إمهالهم ومن نعمره نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء أمره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو أبلغ والنكس أشهر أفلا يعقلون أن من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فإنه مشتمل عليهما وزيادة غير أنه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم إن محمدا شاعر أي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فإنه لا يماثله لفظا ولا معنى لأنه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له إن أراد قرضه على ما اختبرتم طبيعته نحوا من أربعين سنة وقوله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي

من غير قصد وتكلف منه إلى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف
المنثورات على أن الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي
أنه حرك البائين وكسر التاء الأولى بلا إشباع وسكن الثانية وقيل
الضمير للقرآن أي وما يصح للقرآن أن يكون شعرا إن هو إلا ذكر عظة
وإرشاد من الله وقرآن مبين كتاب سماوي يتلى في المعابد
ظاهر أنه ليس من كلام البشر لما فيه من الإعجاز لينذر القرآن أو
الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا
عاقلا فهما فإن الغافل كالميت أو مؤمنا في علم الله تعالى فإن الحياة
الأبدية بالإيمان وتخصيص الإنذار به لأنه المنتفع به ويحق القول
وتجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في
مقابلة من كان حيا إشعار بأنهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم
تأملهم أموات في الحقيقة أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا
مما تولينا إحداثه ولم يقدر على إحداثه غيرنا وذكر الأيدي
وإسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد
بالإحداث أنعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة

المنافع

فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا إياهم أو متمكنون من ضبطها والتصرف
فيها بتسخيرنا إياها لهم قال أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس
البعير إن نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم
مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه أي
ذو ركوبهم أو فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون أي ما يأكلون لحمه
ولهم فيها منافع من الجلود والأصواف والأوبار ومشارب من
اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع أو المصدر أفلا يشكرون نعم الله في
ذلك إذ لولا خلقه لها وتذليله إياها كيف أمكن التوصل إلى تحصيل
هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة أشركوها به في العبادة
بعدما رأوا منه تلك القدرة [illegible] والنعم المتظاهرة وعلموا
الله المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء أن ينصروهم فيما حزبهم من الأمور
والأمر بالعكس لأنهم لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند
محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم أو محضرون أثرهم
في النار فلا يحزنك قولهم فلا يهمنك وفي بعض النسخ فلا يحزنك قولهم
في الله بالإلحاد والشرك أو فيك بالتكذيب والتهجين إنا نعلم ما

ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تسلى به
وهو تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك لو قرئ انا بالفتح على
حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا
هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم
الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا في
الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله
في بدء خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس
الشيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روي ان ابي بن
خلف اتى النبي بعظم بال يفتته بيده وقال اترى يحيي الله هذا بعد
ما رم فقال نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو
خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على
الخصام معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفي القدرة
على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفهم بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه
خلقنا اياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا اياه مستبعدا
والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء

صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل
على ان العظام ذات حياة فيؤثر فيها الموت كسائر الاعضاء قل يحييها
الذي انشأها اول مرة فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه
والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق
عليم يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الا
شخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق
تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض
والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها الذي جعل لكم من الشجر
الاخضر كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ على العفار
وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح منه النار فاذا انتم
منه توقدون لا تشكون في انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث
النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته
كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي
وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون
منها البطون اوليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما

من عظم شأنهما يقدر على أن يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالإضافة
إليهما أو مثلهم في أصول الذات وصفاتها وهو المعاد وقرئ يقدر
بلى جواب من الله تعالى لتقرير ما بعد النفي مشعر بأنه لا جواب سواه وهو
الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات إنما أمره إنما شأنه إذا أراد
شيئا أن يقول له كن أي تكون فيكون فهو يكون أي يحدث وهو تمثيل لتأثير
قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع
وتوقف وافتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة
الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصب ابن عامر
والكسائي عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له
عما ضربوا له وتعجيب عما قالوه فيه معللا بكونه مالكا للأمر كله قادرا
على كل شيء وإليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمكذبين وقرأ
يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا أعلم ما روي في فضل
يس كيف خصت به فإذا أنه لهذه الآية وعنه عليه السلام إن لكل شيء قلبا
وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي
من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده

إذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين
يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويشيعون
جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو
في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة
يشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان
ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا أقسم بالملائكة
الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم
الأنوار الإلهية منتظرين لأمر الله الزاجرين الأجرام العلوية
والسفلية بالتدبير المأمور فيها أو الناس عن المعاصي بإلهام الخير
أو الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه
على أنبيائه وأوليائه أو بطوائف الأجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة
والأرواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس

يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات
الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين ايات الله وشرايعه
او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين
ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات او
الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن القبيح
والتلاوة افاضة او الرتبة كقوله رحم الله المحلقين
فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتاخر وهذا للعكس وادغم
ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول
الثنايا ان الهكم لواحد جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم
به وتاكيد المقسم عليه على ما هو المالوف في كلامهم واما تحقيقه
فقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها
وانتظامها على اكمل الوجوه مع امكان غيره دليل على وجود الصانع
الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من الواحد او خبر ثان او خبر
محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه

والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة
وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى
بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها
مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا السماء
الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة
للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب
على ابدالها منه او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان
زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت
اسما جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين
والنصب على الاصل او بان زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل
وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات
في الست المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح
في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة
على سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار
فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكوا

بزينة السما وحفظا من كل شيطان مارد خارج من الطاعة برمي الشهب
لا يسمعون الى الملا الاعلى كلام مبتدا لبيان حالهم بعدما حفظ السما
عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ
من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك
ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغا
فان اجتماع ذلك منكر وتعدية السماع بالى
لتضمنه معنى الاصغا مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل
عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب
السماع والملا الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون ويرمون
من كل جانب من جوانب السما اذا قصدوا صعوده دحورا علة
اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان
او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه البا جمع داحر نحو قاعد
وقعود ويؤيده القراءة بالفتح فهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول
او صفة له اي قذفا دحورا ولهم عذاب واصب اي عذاب اخر دائم او شديد
وهو عذاب الاخرة الا من خطف الخطفة

استثنا من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس
كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد
مفتوح الخا ومكسورها واصلهما اختطف فاتبعه شهاب ثاقب لحقه
ثاقب مضي والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد
الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على
انه ينقض من الفلك ولا في قوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو
مصباح لاهل الارض وزينة للسما من حيث انه يرى كانه على سطحه
ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان
يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد
النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرته او مصيره دحورا واختلف
في ان المرجوم يتاذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد
مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون
عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه
ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص

مع أن النار لقوتها إذا اشتعلت على الضعيفة استهلكتها ثاقب
مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة
أو لبني آدم أهم أشد خلقا أم من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة
والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب
ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه إطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة
من قرأ أم من عددنا وقوله إنا خلقناهم من طين لازب فإنه الفارق بينهم
وبينها لا بينهم ومن قبلهم كعاد وثمود ولأن المراد إثبات
المعاد ورد استحالتهم والأمر فيه بالإضافة إليهم وإلى من قبلهم
سواء وتقريره أن استحالة ذلك إما لعدم قابلية المادة ومادتهم
الأصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي إلى الجزء الأ
رضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا أن الإنسان
الأول إنما تولد منه إما لاعترافهم بحدوث العالم أو بقصة
آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة
فلزمهم أن يجوزوا إعادتهم كذلك وإما لعدم قدرة الفاعل
فإن من قدر على خلق هذه الأشياء قدر على ما لا يعتد به

بالإضافة إليها سيما ومن قبل ذلك بدأهم أولا وقدرته ذاتية لا تتغير
بل عجبت من قدرة الله وإنكارهم البعث ويسخرون من تعجيبك وتق
ريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء أي بلغ كمال قدرتي
وكثرة خلائقي أني عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها
أو عجبت من أن ينكر البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن
يجوزه والعجب من الله إما على الفرض والتخييل أو على معنى الاستعظا
م اللازم له فإنه روعة تعتري الإنسان عند استعظامه الشيء
وقيل إنه مقدر بالقول أي قل يا محمد بل عجبت وإذا ذكروا
لا يذكرون وإذا وعظوا بشيء لا يتعظون به أو إذا ذكر لهم ما يدل
على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم وإذا رأوا آية
معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية
ويقولون إنه سحر أو يستدعي بعضهم بعضا أن يسخر منها
وقالوا إن هذا يعنون ما يرونه إلا سحر مبين ظاهر سحريته
أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أصله أنبعث إذا
متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة

مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه
الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى
وقراءة نافع وحمزة والكسائي بطرح الثانية اوآباؤنا الاولون
عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول
عنه بهمزة الاستفهام لتاكيد الانكار بالاستبعاد ولبعد زمانهم وسكن
نافع وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون
وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على
صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي الله او الرسول وقرا الكسائي نعم
بالكسر وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي
اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة
الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وامرها في الاعادة
كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها فاذا هم ينظرون فاذا هم
قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا
ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم
وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة

وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين
المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر
بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم
وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الاصنام وعابد
الكواكب مع عبدة الكواكب كقوله وكنتم ازواجا ثلثة او نساءهم اللاتي
على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من
دون الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو
عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وفيه دليل
على ان الذين ظلموا هم المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعر
فوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم
مسئولون عن عقائدهم واعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز
ان يكون موقفهم ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص
وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم
وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة
او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله واقبل بعضهم على بعض

يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون يسال بعضهم بعضا
للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين
عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او الخير كانكم تنفعوننا نفع
السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو
اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح
او يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان
لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا
بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم كانوا
مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم
انا كنا غاوين [illegible] ووقوعهم في العذاب كان
امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم
الى الغي لانهم كانوا في الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان
غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو من
[illegible] فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون
كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل

[illegible] من انزف الشارب اذا نفد عقله
او شرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت
الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على
ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن
ببيض النعام المصون عن الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط
بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض
يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على
الشراب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام
والتعبير عنه بالماضي للتاكيد فيه فانه [illegible] اللذات الى الفعل
يتساءلون عن المعارف والفضائل وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا
قال قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول ائنك
لمن المصدقين يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد
الصاد من التصدق ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون
لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال ذلك القائل هل انتم مطلعون
الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض

بكل لذة ونابهما عام في المفسدة من انزف الشارب اذا نفد عقله
او شرابه ولعله للفساد بف نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت
الركية حتى نزفها وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على
ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن
ببيض النعام المصون عن الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط
بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض
يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على
الشراب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام
والتعبير عنه بالماضي للتاكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل
وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا
قال قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول ائنك
لمن المصدقين يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد
الصاد من التصدق ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون
لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل هل انتم مطلعون
الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض

الملائكة

تخيف الرؤساء الاتباع او الكفرة ...
[illegible] ...
بعضا الى الهدى واعميتنا ...
السالفة فنبعناكم وهلكنا معكم ...
الحق الجلي ...
او يحلفون لهم انهم على الحق فا...
لنا عليكم من سلطان من تسلط ...
[illegible] ...
مختارين الطغيان فحق علينا ...
انا كنا ...
[illegible] ...
الى الغي لانهم كانوا في الغي فاحبوا ...
[illegible] في الحقيقة ...
[illegible] فانهم ... الاتباع والمتبوعين ...
كما كانوا مشتركين في الغواية ...

يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا
اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف فيهما
وكسر النون وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث
ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد به او خاطب الملائكة على وضع
المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه او شبه
اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم
وسطه قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين
وان هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة
لكنت من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف اي
انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ بمائتين
الا موتتنا الاولى التي كانت لنا في الدنيا وهي متناولة لما في القبر ١
بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على
الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه
لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله
او تعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو

الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله
والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل
هذا فليعمل العاملون اي لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ
الدنيوية المشوبة بالالام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين
اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب
نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل
الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام
وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة
تكون بتهامة سميت بها الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين
محنة وعذابا لهم في الاخرة او ابتلاء لهم في الدنيا فانهم لما سمعوا
انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان
من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها فهو اقدر على خلق
الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم
منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها حملها مستعار
من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع من الشجر كأنه رؤوس

في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك
وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت
بها لذلك فانهم لآكلون منها من الشجر او من طلعها فمالئون منها
البطون لغلبة الجوع او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اي بعد ما شبعوا
منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم
من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد
مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول
مصدر سمي به ثم ان مرجعهم لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها
فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج
عنها لقوله هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها
وبين حميم ان يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى
الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا اباءهم ضالين فهم
على اثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الاباء
في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على اثارهم
وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث

ولقد

ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين
انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من
الشدة والفظاعة الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم
فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اي الذين اخلصهم
الله لدينه والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا
اخبارهم ورأوا اثارهم ولقد نادانا نوح شروع في تفصيل القصص بعد
اجمالها اي ولقد دعانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اي فاجبناه احسن
الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه
ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق واذى قومه وجعلنا
ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم
القيامة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه و
وازواجهم وتركنا عليه في الاخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام
جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من
الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين متعلق
بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة

والثقلين جميعا انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من
التكرمة بانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل
لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ثم اغرقنا الاخرين
يعني كفار قومه وان من شيعته لابراهيم ممن شايعه في الايمان واصول
الشريعة ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفا
وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح اذ جاء ربه
متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم
من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من
السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا
اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء
او سليم أئفكا آلهة دون الله تريدون اي أتريدون آلهة دون الله
افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم
على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به
والهة بدلا منه على انها افك في نفسها للمبالغة او المراد بها
عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين

عما هو

عما هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به
غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن
قطع يصدهم عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن
من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة
في النجوم فرأى مواضعها واتصالاتها او في علمها او كتابها ولا منع منه مع
ان قصده ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعيد معهم فقال اني سقيم
اراهم بانه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم
لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا
يخافون العدوى او اراد اني سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج
عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل
كفى بالسلامة داء وقول لبيد ودعوت ربي بالسلامة جاهدا
ليصحني فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة
العدوى فراغ الى الهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب
واصله الميل بحيلة فقال ألا للاصنام استهزاء الا تأكلون يعني
الطعام الذي كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابي فراغ عليهم.

فراغ عليهم ضربا فالتعدية بعلى للاستعلاء او الميل لمكروه ضربا
باليمين مصدر لراغ عليهم لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ
عليهم يضربهم وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة
تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن
اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابراهيم بعدما رجعوا فراوا اصنامهم مكسرة
وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه في قوله من فعل هذا بالهتنا
يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرا حمزة على بناء المفعول من ازفه
اي يحملون على الزفيف وقرئ يزفون اي يزف بعضهم بعضا ويزفون
من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم
يزفي بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه
من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه
وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره
اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد
او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان
فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم

اولى بذلك

اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك اصحابنا على خلق الاعمال ولهم
يرجحوا على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا
فالقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التاجج
واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا
فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة
عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله
برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما
وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه
لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما
بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم
يكن كذلك حال موسى حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين بعض
الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة
يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام
حليم بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف
بالحلم

ويكون حليماً واي حلم مثل حلمه حين عرض ابوه عليه الذبح وهو مراهق فقال
ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبياً بالحلم
لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه ع وحالهما المذكورة بعد تشهد
عليه فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله
ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر
لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معاً كانه قال فلما بلغ
السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق
والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه
لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه رأى ليلة
التروية ان قائلاً يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روّى
انه من الله او من الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه
من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له
ذلك ولهذا سميت الايام الثلثة بالتروية وعرفة والنحر
والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذي وهب اثر الهجرة ولان

ولان البشارة باسحق بعد معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله ع
انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان عبد
المطلب نذر ان يذبح ولداً ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ
بنوه عشراً فلما سهل خرج السهم على عبد الله ففداه
بمائة ابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كانت
بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في ايام
ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة
بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقاً ومن ذهب
الى انه اسحق احتج بانه ع سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل
الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله والصحيح انه قال يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب
كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت فانظر ماذا ترى من الرأي وانما
شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت
قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه
فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله [illegible]

والكسائي ماذا ترى بكسر الراء وضم التاء خالصة والباقون بفتحهما
وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص
فتحها قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف دفعة او على
الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المامور به والاضافة الى
المامور ولعله فهم من كلامه انه راى انه يذبحه مامورا به او علم
ان رؤيا الانبيا صادقة ومثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر
في المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الا
نقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني
ان شاء الله من الصابرين على الذبح او قضاء الله فلما
اسلما استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابرهيم ابنه وقرئ بهما
واصلهما سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه
وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد
جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى فيه تغيرا يرق
فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف
على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم

قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين
بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره
كان ما كان مما لا ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما
وشكرهما لله تعالى على ما انعم عليهما من دفع البلا بعد حلوله
والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين
مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين
تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز
النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح لقوله افعل
ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي
يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها
وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة
سمين او عظيم القدر لانه يفدي الله به نبيا ابن نبي واي نبي من
نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط
عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات
حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابرهيم وانما قال

وفديناه لانه المعطي له والآمر به على المجهول في لغة او لان
واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة
وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم
سبق بيانه في قصة نوح كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة
وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه
من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود
المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة
تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل
عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا
من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين
فان الداخلين مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا
نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود
من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه
وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق

وباركنا

وباركنا عليه على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه
انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين
والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه بالايمان
والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك
تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقا
بهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهرون
انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجينا
هما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم
الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما
الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط
المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في الآخرين
سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا
المؤمنين سبق مثله وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين
سبط هرون اخي موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس
وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ابليس وقرأ ابن ذكوان بحذف الهمزة

بخلاف همزة الناس اذ قال لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون
بعلا اتعبدونه او اتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام
وهو البلد الذي يقال له الان بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن و
المعنى اتدعون بعضا البعول وتذرون احسن الخالقين وقد تكون عبارته
او قد اشار فيه الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح بقوله الله ربكم ورب
اباىكم الاولين وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل
فكذبوه فانهم لمحضرون في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة
او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين
مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الاخرين
سلام على الياسين لغة في الياس كسينا وسينين وقيل جمع له مراد به
هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام
او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرا نافع
وابن عامر ويعقوب على اضافة ال الى ياسين لانهما في المصحف
منفصلان فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد او القرآن او غيره
من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك

انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير
لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين
ثم دمرنا الاخرين وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم
في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح وبالليل
اي مساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا
والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون به وان يونس
لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب من السيد لما
كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك
المشحون المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار
من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه
لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله فركب
السفينة فوقفت فقالوا هاهنا عبد ابق فاقترعوا فخرجت القرعة
عليه فقال انا الابق ورمى نفسه في الماء فالتقمه الحوت
فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او ات بما يلام
عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب.

فلولا أنه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو
في بطن الحوت وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين
وقيل من المصلين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه
حث على إكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده
عند الضراء فنبذناه بأن حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان
الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت روي أن الحوت سار مع السفينة رافعا
رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهى إلى البر فلفظه واختلف في مدة
لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرون
وقيل أربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد
وأنبتنا عليه أي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه
الأرض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به
والأكثر على أنها كانت الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا
يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله إنك لتحب القرع قال أجل هي شجرة
أخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل بأغصانه
وأفطر على ثماره وأرسلناه إلى مائة ألف هم قومه الذين هرب عنهم

وهم أهل نينوى والمراد به ما سبق من إرساله أو إرسال ثان إليهم أو إلى غيرهم
أو يزيدون في مرأى الناظر أي إذا نظر إليهم قال هم مائة ألف أو أكثر
والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه أو فجددوا الإيمان
بحضوره فمتعناهم إلى حين إلى أجلهم المسمى ولعله إنما لم يختم قصته
وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع
الكبر وأولي العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين
في آخر السورة فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله
في أول السورة أمر رسوله أولا باستفتاء قريش عن وجه إنكارهم البعث
وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها
ببعض ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولأنفسهم
البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات
أخر التجسيم وتجويز الفناء على الله فإن الولادة مخصوصة بالأجسام
الكائنة الفاسدة وتفضيل أنفسهم عليه حيث جعلوا أوضع الجنسين
له وأرفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث أنثوهم ولذلك كرر
الله تعالى إنكار ذلك وإبطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن.

وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة
بهما او لان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام
عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم
المشاهدة لان امثال ذلك لا تعلم الا بها فان الانوثة ليست من
لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار
بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من
افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون
فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين استفهام
انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء وعن نافع كسر الهمزة على
حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول
اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله ما لكم كيف تحكمون
بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ام لكم سلطان
مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فاتوا
بكتابكم الذي انزل عليكم ان كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا بينه

وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا
هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة
وقيل قالوا الله والشياطين اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة
او الانس والجنة ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله
عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء من
المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او
من يصفون فانكم وما تعبدون من دون الله عود الى خطابهم ما انتم
عليه على الله بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم الا
من سبق في علمه انه من اهل النار يصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم
ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون
لما فيه من المقارنة سادا مسد الخبر اي انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون
تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة
الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول
على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل
على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم

ما انتم عليه بفاتنين فانا اضللناها بالبقية الغاوية وما منا الا له مقام معلوم
حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما
منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر
الله في تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من
كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة
ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا
المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة
المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها فحذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون في اداء الطاعة
ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق
به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما
في ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم
المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام
النبي والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في الجنة
او بين يدي الله في القيامة وانا لنحن الصافون له في الصلوة والمنزهون

والمنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون اي مشركو قريش لو ان
عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد
الله المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اي
لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون
عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وعدنا لهم
بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغا
لبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماه كلمة وهي كلمات
لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين
هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم
على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب
كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا لك من التاييد والنصرة
والثواب في الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون
روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بسا
حتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ
بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار

والمجرور نزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين
صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت
نزول العذاب ولما كثر فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموها الغارة
صباحا وان وقعت في وقت آخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف
يبصرون تأكيد الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه
يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع
المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة سبحان
ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكي في اول
السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له
او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار
بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص
بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم
من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم
المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي من احب ان
يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه

اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى رب العالمين عنه من قرأ والصافات
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين
وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين
صدق الله وصدق رسوله سورة ص مكية وهي ست او ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة
ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القرآن بعملك وبا
لفتح لذلك او بحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح
في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر على تا
ويل الكتاب والقرآن ذي الذكر الواو للقسم ان جعل ص اسما للحروف
ومذكورا للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد او السورة خبرا في لمحذوف
او لفظ الامر المعطوف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه
ما في ص من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او
لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين كفروا في عزة
وشقاق اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا

بل في عزة اي استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا
به وعلى الاولى الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره
بذلك والمعنى انه لكتاب معجز او للشرف ما اشتهر او ذكر ما يحتاج اليه
في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق
للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة اي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه
كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا
فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين مناص اي ليس
الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها التاء للتاكيد كما
زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين
وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب
باضماره اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم
لا او مبتدأ محذوف الخبر اي ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين
مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا
ان ليس حين بقاء لما ان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر
في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه

مقطوع

مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا
لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم
ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف عليها
الكوفية بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء
مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف
خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما
خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون
زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته و
عجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال
الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم و
اشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة
كذاب فيما يقول على الله اجعل الالهة الها واحدا بان جعل الالوهية
التي كانت لهم لواحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف
ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه
وقدرته على الاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام

روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا
وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين
ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسألونك السؤال
فلا تمل كل الميل عليهم فقال ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا
وندعك والهك فقال ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون
بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا
الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف
قريش من مجلس ابي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قائلين
بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على آلهتكم على عبادتها
فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول
يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا
من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ
بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد ان هذا الامر لشيء
من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه
من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم

ان اعطيتكم

لشيء يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم لشيء يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذي
يقوله في الملة الآخرة في الملة التي ادركنا عليها آباءنا او في ملة عيسى عم
التي هي آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اي
ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة
ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر من بيننا
انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف
والرياسة لقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر
على الحطام الدنيوي بل هم في شك من ذكري من القرآن او الوحي لميلهم
الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون به من
قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب
بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به
حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة
ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا
بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم

والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له
فانه العزيز اى الغالب الذى لا يغلب الوهاب الذى له ان يهب كل ما
يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات والارض وما
بينهما كانه لما انكر عليهم التصرف فى نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته
التى لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل فى امر هذا العالم الجسمانى
الذى هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا فى الا
سباب جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل
بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحى الى
من يستصوبونه وهو غاية التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل
المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب اى هم جند ما من الكفار المتحزبين على
الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدبير فى الامور
الربانية فلا تكترث لما يقولون وما مزيدة
للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو
خبر مبتدا محذوف وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم

من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو
الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم
عيشة فى ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات البيت المطنب
باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا
كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدى المعذب
ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم
لوط واصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب
المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا
كذب الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل
على انواع من التاكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب
ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل
تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر
قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم
فى علم الله الا صيحة واحدة هى النفخة ما لها من فواق ما لها من توقف
مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن

الى الفزع وقرا حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل
لنا قطنا اي قسطنا من العذاب الذي توعدنا به او الجنة التي
توعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة
لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا
ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون
واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه
مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى
صغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى
تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان
او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة
على اهمالها عنه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان
ايد وذو ايد واد واياد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضات
الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين
وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال
معه يسبحن قد مر تفسيره وسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار

الحال

الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي والاشراق
ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو
وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن
ام هانئ انه صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس
ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة اليه من كل جانب
وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه
مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له اواب كل واحد من
الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين
ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها
او كل منهما ومن داود مسبح لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه با
لهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل ان رجلا
ادعى بقرة على اخر وعجز عن البيان فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه
فقال صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته
واتيناه الحكمة النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب
فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص الذي

نبه المخاطب على المقصود من غير التباس يأتي فيه مقامات الفصل والوصل
والقطع والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها
وانما سمي به لانه يفصل بين المقصود عما سواه [illegible] الحق والباطل
وقيل هو الخطاب المقصود به [illegible] اختصاص [illegible] الاتباع [illegible]
في مختلف كل [illegible] فصل لا [illegible] بين الخصم [illegible]
معناه التعجب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك
اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من
السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا
او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود او [illegible] اسناد الى النبأ
على [illegible] [illegible] بين الخصم او بالخصم [illegible] معنى الفعل لا بانه
لانه [illegible] واذ دخلوا على داود بدل من
الاول [illegible] ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق
في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه
فانه كان عليه السلام جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ
ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان

في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب
الخصم خصمان بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد التعريض ان
كان من الملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في
الحكومة [illegible] ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا
[illegible] الحكم من [illegible] الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء
الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي في الدين او الصحبة له تسع
وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها
عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود
فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته
اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني
في الخطاب وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر
على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو
فخاطبني خطابا اي غالبني [illegible] وقرئ وعازني اي غالبني
وعزني على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه
جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه

ابلغ

ولعل ذلك لانه يقل اعتبار ابقه او على تقدير صدق المدعي فيه لسؤال مصدر
مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا
من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدى وقرئ
بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم
طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من
قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة
هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود
ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي
الاستغفار واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما في هذه القصة الاشعار
بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه
القصة فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع على امرأة
فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله
خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم
وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا

الى الجهاد مرارا وامر ان يقدم حتى قتل فتزوجها هذا وامثاله ولذلك
قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة
وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه
فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد
ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر مما هم به واناب
فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة
وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء
القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى
النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي
وتظليم الآخر قبل مسألته فيضلك عن سبيل الله دلائله التي نصبها
على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره
يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي باطل بمعنى مبطلين

مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من
التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى
خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب
الظن ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التي هي من
لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل المتقين
كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين
من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول
باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل
على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا و
الغالب فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي ان
يكون لهم حالة اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك
نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا

ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ لتدبروا
على الاصل ولتدبروا انت وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب
وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم
من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية
بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل
التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد
اي نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب
رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه ظرف
لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات
الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو
من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب
الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي
يجود بالركض وقيل جمع جيد روي انه غزا دمشق ونصيبين واصاب الف
فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم
تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له

فاغتم لما فاته ولعله ما تعقرها مقربا لله فقال اني احببت حب الخير
عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثر لكن لما انيب
مناب انيب عدي بعن وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء
اذا احب اي برك وحب الخير مفعول له والخير بمعنى الخيل قال ع الخيل معقود
بنواصيها الخير الى يوم القيمة حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس
شبه غروبها بتواري المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي
عليه ردوها علي الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف
مسحا بالسوق والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم
مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها
حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كما في مؤق
وعنه بالسؤوق كما في داود وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد
عن الجمع لامن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه
جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن
على سبعين امرأة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل
ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فوالذي

نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له
ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك وكان يغذوه في السحاب
فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل
على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب
ابنته جرادة من احسنها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشيا
طين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون
لها كعادتهن في ملكه فاخبر آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج
الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل
للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها
بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم
فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه
في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب
الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت
يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته
فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت

في كرسيه فيقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه
الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا
بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل
كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي
مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا
يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل
والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله
فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه
بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل
الدعاء بصدد الاجابة انك انت الوهاب المعطي ما تشاء لمن تشاء فسخرنا
له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري
بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته
كالمأمور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ
الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه

وآخرين

وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه فصل الشياطين
الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن
بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة
صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل
كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء
لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده
قيده واصفده اعطاه عكس وعده واوعده وفي ذلك نكتة
هذا عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة و
التسلط على ما لم نسلط به غيرك عطاؤنا فامنن او امسك
فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن
في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه
اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى
انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير
الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم
في القيد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك

العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا ايوب
هو ابن عيص بن اسحق وامراته ليا بنت يعقوب اذ نادى ربه
بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني باني مسني الشيطان
بنصب بتعب وعذاب الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به
ولولاهي لقال انه مسه واسناده الى الشيطان اما لان الله
مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه
مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه
ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة
للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم
او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من
عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرا يعقوب
بنصب على الاصل وقرئ بنصب بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد
وبضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي
اضرب برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت
عين فقيل هذا مغتسل اي تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك

وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب
من الاخرى ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم
او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم
حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاو
لاولي الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجاء
الى الله فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض و
والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا
تحنث روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افراثيم
بن يوسف ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها
مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود
انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل
به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية
وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه في الدين
نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله واذكر عبادنا
ابرهيم واسحق ويعقوب وقرا ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع
الجمع

اوعلى ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب
عطف عليه اولى الايدى والابصار اولى القوة فى الطاعة والبصيرة
فى الدين او اولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن
الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى
مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا
اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة
لا شوب فيها هى ذكرى الدار تذكرهم للاخرة دائما فان خلوصهم
فى الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما ياتون ويذرون
جوار الله والفوز بلقائه وذلك فى الاخرة واطلاق الدار
للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع وهشام
بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى
فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من
امثالهم المصطفين عليهم فى الخير الاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل
جمع خير او خير على تخفيفه كاموات فى جمع ميت او ميت واذكر
اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائل

ثم استنبى واللام فيه كما فى قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا
وقرا حمزة والكسائى والليسع تشبيها بالمنقول من الليسع من اللسع
وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف فى نبوته ولقبه
فقيل فر اليه مائة نبى من القتل فاواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل
رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلاة وكل من الاخيار هذا
اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو
القرآن ثم شرع فى بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين
لحسن ماب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن ماب وهو من الا
علام الغالبة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده
فانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها
ما فى للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتدا
والخبر او انهما خبرا محذوف متكئين فيها يدعون فيها
بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او متداخلان من
الضمير فى لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون
استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصا

على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان
التغذي للتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن
الى غير ازواجهم اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران
اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب
فانه يمسهن في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان
الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء
ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا
اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر
مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد
المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم
محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه
اي ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز
ان يكون مبتدا خبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف
اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من
غسقت العين اذا سال دمعها وقرا حفص وحمزة والكسائي

غساق بتشديد السين وآخر اي مذوق او عذاب آخر وقرا البصريان
واخر اي ومذوقات او انواع عذاب اخر من شكله من مثل هذا
المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او
للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهي لغة
ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر
محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء
الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في
الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم
دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال اي مقولا
فيهم لا مرحبا اي ما اتوا بهم رحبا وسعة انهم صالوا النار
داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اي الاتباع للرؤساء
بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم
واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب
او الصلي لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتموه من العقائد
الزائغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم .

قالوا اى الاتباع ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار
مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين
من العذاب كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اى الطاغون
ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين
الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى
لرجالا وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه
انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم وقرا نافع وحمزة
والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين ام زاغت
عنهم الابصار فمالهم وام معادلة لما لنا لا نرى على
ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا ليسوا هاهنا ام زاغت
عنهم ابصارنا او لاتخذناهم على ان ام متصلة يعني اي الامرين
فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية
عنه على معنى انكارهما على انفسهم او منقطعة والمراد بها
الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ
ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكينا عنهم

لحق

ص

لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل
من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد
للمشركين انما انا منذر انذركم من عذاب الله وما من اله الا
الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار لكل
شيء رب السموات والارض وما بينهما منه خلقهما واليه امرها العزيز
الذي لا يغلب اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء من الذنوب
لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين
للمتصفين بها والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان
المدعو به هو الانذار قل هو اي ما انبأتكم به من اني نذير من
عقوبة من هذه صفته وانه واحد في الالوهية وقيل ما بعده
من نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان
العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة
اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لي
من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول
الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد في الكتب المتقدمة

من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور إلا بالوحي وإذ متعلق بعلم
أو بمحذوف إذ التقدير من علم بكلام الملأ الأعلى إن يوحى إلي إلا أنما
أنا نذير مبين أي لأنما كأنه لما جوز أن الوحي يأتيه بين بذلك
ما هو المقصود به تحقيقا لقوله إنما أنا منذر ويجوز أن يرتفع بإسناد
يوحى إليه وقرئ إنما بالكسر على الحكاية إذ قال ربك للملائكة إني
خالق بشرا من طين بدل من إذ يختصمون مبين له فإن القصة
التي دخلت إذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وإبليس في
خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في البقرة
غير أنها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود هاهنا
وهو إنذار المشركين على استكبارهم على النبي بمثل ما حاق
إبليس على استكباره على آدم ومن الجائز أن تكون مقاولة
الله إياهم بواسطة الملك وأن يفسر الملأ الأعلى بما
يعم الله تعالى والملائكة فإذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه
من روحي وأحييته بنفخ الروح فيه وإضافته إلى نفسه لشرفه
وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له

وقد

وقد مر الكلام فيه في البقرة فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر
استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين باستنكاره أمر الله واستكباره
عن المطاوعة أو كان منهم في علم الله قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما
خلقت بيدي خلقته بنفسي من غير توسط كأب وأم والتثنية لما في خلقه
من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الإنكار
عليه للإشعار بأنه المستدعي للتعظيم أو بأنه الذي [illegible] في
شأنه وهو المصلح لأنه إذ للسيد أن يستخدم بعض عبيده لبعض
سيما وله مزيد اختصاص أستكبرت أم كنت من العالين تكبرت من
غير استحقاق أو كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت
الآن أم لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة
لدلالة أم عليها أو بمعنى الإضراب قال أنا خير منه إبداء للمانع
وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق
الكلام فيه قال فاخرج منها أي من الجنة أو السماء أو من صور
الملائكة فإنك رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وإن
عليك لعنتي إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون

قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر في الحجر بيانه قال فبعزتك
فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا
قلوبهم لله على القرائتين قال فالحق والحق اقول اى فاحق الحق
واقوله وقيل الحق الاول اسم الله ونصبه بحذف حرف القسم كقوله
ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف
والجملة تفسير للحق المقول وقرا عاصم وحمزة برفع الاول على
الابتداء اى الحق يميني او قسمي او الخبر اى انا الحق وقرئا مرفوعين
على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار
حرف القسم في الاول حكاية لفظ المقسم به في الثاني للتاكيد وهو
سائغ فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثاني
وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس اذ الكلام فيهم
والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين
واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما اسالكم عليه على القرآن

اى على القرآن وتبليغ الوحي وما انا من المتكلفين المتصنعين بما
ليسوا من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة واتقول القرآن
ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نباه وهو ما
فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيانه بعد حين
بعد الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعنه ع
من قرا سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات
وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا او كبيرا سورة الزمر مكية الا قوله قل
يا عبادي الذين اسرفوا الآية وهي خمس وسبعون او اثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدا خبره من الله العزيز
الحكيم وهو على الاول صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها
معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة و
على الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو
اقرا او الزم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق اى
اثبات الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين

ممحضا له الدين من الشرك والريا وقرئ برفع الدين على الاستيناف
لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام
كما صرح به واكده بقوله الا لله الدين الخالص اى الا هو الذى وجب اختصاصه
بان تخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع
على الاسرار والضماير والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل
المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام
على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق
عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
باضمار القول ان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثانى وعلى
هذا يكون القول المضمر بما فى حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى
مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا ليقربونا
حكاية لما خاطبوا به الهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم
فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار
والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون

شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله لا يهدى لا يوفق للاهتداء
الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان
يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ لا موجود سواه
الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين
ووجوب استناد ما عداه اليه ومن البين ان المخلوق
لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله سبحانه
هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب
المستلزم للوحدة الذاتية وهى تنافى المماثلة فضلا عن التوالد
لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص
والقهارية المطلقة تنافى قبول الزوال المحوج الى الولد ثم
استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل
على النهار ويكور النهار على الليل يغشى كل واحد منهما الاخر
كانه يلفه عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف
باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار
العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى هو منتهى دوره او

منقطع كما ألا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء
الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة
وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال
آخر بما أوجده في العالم السفلي مبتدأ به من خلق الإنسان لأنه
أقرب وأكثر دلالة وأعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم
أولا من غير أب وأم ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت
للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها أو
على معنى واحدة أي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها
بها أو على خلقكم لتفاوت ما بينهما فإن الأولى عادة مستمرة
دون الثانية وقيل أخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها
حواء وأنزل لكم وقضى وقسم لكم فإن قضاياه وقسمه توصف بالنزول
من السماء حيث كتبت في اللوح أو أحدث لكم بأسباب نازلة منها كأشعة
الكواكب والأمطار من الأنعام ثمانية أزواج ذكرا وأنثى من الإبل
والبقر والضأن والمعز يخلقكم في بطون أمهاتكم بيان لكيفية
خلق ما ذكر من الأناسي والأنعام إظهارا لما فيه من عجائب

القدرة غير أنه على التدريج أو في الفعل أو خصهم بالخطاب لأنهم المقصودون
خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد
عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات
ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم والمشيمة أو الصلب والرحم والبطن
ذلكم الذي هذه أفعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له
الملك لا إله إلا هو إذ لا يشاركه في الخلق غيره فأنى تصرفون يعدل
بكم عن عبادته إلى الإشراك إن تكفروا فإن الله غني عنكم عن
إيمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وإن
تشكروا يرضه لكم لأنه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع في رواية
وأبو عمرو والكسائي بإشباع ضمة الهاء لأنها صارت بحذف الألف
موصولة بمتحرك وعن أبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة إسكانها وهو
لغة فيها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم
بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة إنه عليم بذات الصدور
فلا يخفى عليه خافية من أعمالكم وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه
منيبا إليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على أن مبدأ الكل

ثم إذا خوله أعطاه من الخول وهو التعهد أو الخول وهو الافتخار
نعمة منه من الله نسي ما كان يدعو إليه أي الضر الذي كان يدعو الله
إلى كشفه أو ربه الذي كان يتضرع إليه وما مثلها الذي في قوله
تعالى وما خلق الذكر والأنثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله أندادا
ليضل عن سبيله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال
والإضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليلهما به وإن لم يكونا غرضين
قل تمتع بكفرك قليلا أمر تهديد فيه إشعار بأن الكفر نوع تشه
لا سند له وإقناط للكافرين من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله إنك
من أصحاب النار على سبيل الاستئناف للمبالغة أمن هو
قانت قائم بوظائف الطاعات آناء الليل ساعاته وأم متصلة بمحذوف
تقديره الكافر خير أم هو قانت أو منقطعة والمعنى بل أمن هو قانت
كمن هو بضده وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى أمن
هو قانت لله كمن جعل له أندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير
قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين
يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه في موضع الحال أو الاستئناف

للتعليل

للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين
باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه
أبلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للأول على سبيل التشبيه أي كما لا
لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون إنما
يتذكر أولو الألباب بأمثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالإدغام
قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين أحسنوا
في هذه الدنيا حسنة أي للذين أحسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة
حسنة في الآخرة وقيل معناه للذين أحسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة
والعافية وفي هذه الدنيا بيان لمكان حسنة وأرض الله واسعة
فمن تعسر عليه التوفر على الإحسان في وطنه فليهاجر إلى حيث يتمكن
منه إنما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء
ومهاجرة الأوطان لها أجرهم بغير حساب أجرا لا يهتدي إليه
حساب الحساب وفي الحديث إنه تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة
والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا تنصب لأهل البلاء بل يصب
عليهم الأجر صبا حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض

بالمغايضة فانه هيجة اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد
الله مخلصا له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين
وامرت لذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والاخرة لان قصب
السبق في الدين بالاخلاص او لانه اول من اسلم وجهه لله من قريش
ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة
والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت
لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه بما يلزمها من السبق في الدين
ويجوز ان يجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم
في الاخلاص والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل اني
اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك
والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا
له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد
الامر بالاخبار عن كونه مامورا بالعبادة والاخلاص خائفا على
المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله
فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين

الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم
بالاضلال يوم القيامة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا
وجوه الخسران وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد
خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد
ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين
مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير بالا وتوسيط
الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل
من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هي
ظلل الاخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي
يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما
يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان
فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت
ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ان
يعبدوها بدل اشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه
بشراشرهم عما سواه لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملائكة

عند حضور الموت فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم
وأنهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الأفضل
فالأفضل أولئك الذين هداهم الله لدينه وأولئك هم أولوا الألباب
العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة
على أن الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها أفمن حق عليه
كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة على
محذوف دل عليه الكلام تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه
أفأنت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الإنكار والاستبعاد
ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على أن من
حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وأن
اجتهادك في دعائهم إلى الإيمان سعي في إنقاذهم من النار
ويجوز أن يكون أفأنت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك
والإشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف
من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل

على الأرض

على الأرض تجري من تحتها الأنهار من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر
مؤكد لأن قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لأن
الخلف نقص وهو على الله محال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء هو
المطر فسلكه فأدخله ينابيع في الأرض عيونا ومجاري كائنة فيها أو
مياها نابعات فيها إذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على الظرف
أو الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه أصنافه من بر وشعير وغيرهما
أو كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه لأنه إذا تم
جفافه حان له أن يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله
حطاما فتاتا إن في ذلك لذكرى لتذكيرا بأنه لا بد من صانع
حكيم دبره وسواه وبأنه مثل الحياة الدنيا فلا تغتر بها لأولي الألباب
إذ لا يتذكر به غيرهم أفمن شرح الله صدره للإسلام حتى تمكن فيه بيسر
عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه
من حيث إن الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابل
للإسلام فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء إلى الحق
وعنه ع إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة
ذلك

قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب
للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من
لان القاسي من اجل الشيء اشد تابيا من قبوله من القاسي عن سببه
وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح
الصدر واسنده الى الله وقابله بقسوة القلب واسنده اليه اولئك
في ضلال مبين يظهر للناظر بادنى نظر والاية نزلت في حمزة وعلي
وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعني القران روي
ان الصحابة رضي الله عنهم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي
الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تاكيد للاسناد وتفخيم للمنزل
واستشهاد لحسنه كتابا متشابها يشبه بعضه بعضا او فصاحة
وتشابه تشابه الفاظه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة
المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى
على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القران
سور وايات والانسان عظام وعروق واعصاب او جعل تمييزا

من متشابها كقولك رايت رجلا حسنا شمائله تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة
الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو
الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط
وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم
المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته
سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمن معنى السكون والاطمئنان و
ذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك اي الكتاب
او الكائن من الخشية والرجاء هدى الله يهدي به من يشاء
هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من
الضلال افمن يتقي بوجهه يجعله درقة يقي به نفسه
لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه
سوء العذاب يوم القيمة كمن هو امن منه فحذف الخبر كما حذف
في نظائره وقيل للظالمين اي لهم فوضع الظاهر موضع الضمير
تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو

ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والعائد للحال وقد مر مثله
كذب الذين من قبلهم فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة
التي لا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحياة
الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الآخرة
المعد لهم اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم
والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به
قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك
جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه
بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل بالشك
استشهادا بقوله وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول
غير كذوب وهو تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم يتقون علة
اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا للمشرك والموحد رجلا فيه
شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه
مذهبه من ان يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتنازعون

فيه

بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة
في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل و
رجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس
الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ
بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلاثتها مصادر سلم نعت بها
او حذف منها ذا ورجل سالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل
لانه افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة او حالا ونصبه
على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع او
لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين فان
التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد لله لا يشاركه
فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق
بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم انك ميت
وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت
ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب
يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت

على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في الشرك وامثالهم في
الارشاد والتبليغ ولججوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالا
باطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا اباءنا وقيل المراد به الاختصام
العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم
ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق
وهو ما جاء به محمد اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره اليس
في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام
يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم يكذبون
بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجيء
الرسول به بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس
ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم المتقون وقيل هو
النبي ومن تبعه كما في قوله ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم
يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق ابو بكر وذلك يقتضي
اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق
بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل وكذا

صادقا بسببه معجزا دالا على صدقه ومصدقا به على انبأ المتقين
لهم ما يشاؤن عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم
ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا افضل لا اسوأ للمبالغة فانه
اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم
الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من
الصغائر اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيء كقولهم الناقص
والاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسوأ جمع سوء ويجزيهم اجرهم
ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم
باحسنها في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف
عبده استفهام انكار للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله
ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالانبياء ويخوفونك
بالذين من دونه يعني قريشا فانهم قالوا انا نخاف ان تخبلك
الهتنا لعيبك اياها وقيل انه بعث خالدا لكسر العزى فقال له سادنها
احذركها ان لها لشدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف
خالد منزلة تخويفه لانه الامر بما فعله ومن يضلل الله

حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد
يهديهم الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لفعله
كما قال أليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده
في الخالقية قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن
كاشفات ضره اي ارأيتم بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله ان آلهتكم
ان اراد الله ان يصيبني بضر هل يكشفنه او ارادني برحمة بنفع هل هن ممسكات
رحمته فيمسكنها عني قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ
تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير او شر
روي انه سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات
على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل
المتوكلون لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم
اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ
مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة
في الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على مر الايام

قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته
وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب
النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم
في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه اذ نفع
نفسه ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم
بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد
بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها
عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا و
باطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي
قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائي قضى
بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء والموت بالرفع ويرسل الاخرى اي
النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب
لموته وهو غاية جنس الارسال وما روي عن ابن عباس ان في ابن آدم
نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز

والروح التي بها الحياة فيتوفيان عند الموت ويبقى الانفس
وزوال الحس عند النوم قريب مما ذكرنا ان في ذلك من التوفي والا
مساك والارسال لآيات دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته
لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية
حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة و
الشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين
الى توفي اجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع
لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ايشفعون ولو
كانوا على هذه الصفة كما تشاهدهم جمادات لا تقدر ولا تعلم
قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء
اشخاص مقربون هي هذه تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة
كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك
فقال له ملك السموات والارض فانه مالك الملك كله لا يملك احد
ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة
فيكون الملك له ايضا حينئذ واذا ذكر الله وحده دون الهتهم اشمازت

قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة انقبضت ونفرت واذا ذكر الذين
من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم
حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار
ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ
غما وغيظا حتى ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا المفاجاة قل اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة التجئ الى الله بالدعاء لما
تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء
والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما
في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة
وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم في الوعد وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم
او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
واحاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه

والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالقابلية مناقضتهم
وتعكيسهم في التسبب فانهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون
بذكر الالهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا
بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه
نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به قال انما اوتيته
على علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطاه لما لي من استحقاقه او من الله
بي واستحقاقي والهاء فيه لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير
لان المراد شيء منها بل هي فتنة امتحان له ايشكر ام يكفر وهو
رد لما قاله وتانيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير
ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس
قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم عندي
لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون
وقومه فانه قالها ورضي بها قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من متاع الدنيا فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء
اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع

اعمالهم

اعمالهم كذلك والذين ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان
او للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم
فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين
اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم
الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
بان الحوادث كلها من الله بوسط او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة
العباد تخصيصه بالمؤمنين على ما هو عرف القران لا تقنطوا من رحمة الله
لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب
جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل
على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية
والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر
والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة
مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص
المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن

القنوط

الله

مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان
الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على
انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه ع
قال ما احب ان لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك
فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث مرات وما روي ان اهل مكة
قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم لم يغفر له
فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل
في عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي
لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان
ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد
من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل
وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
القران والمامور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او
الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة
على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون

بمجيئه

بمجيئه فتداركوا ان تقول نفس كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل
بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم
ينفض الراس مغضبا يا حسرتا وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت قصرت
في جنب الله اي في جهته وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين
الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة
كقوله ان السماحة والمروة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج
وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب
بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين باهله ومحل
وان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله
هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين الشرك والمعاصي او تقول
حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل
واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا او تعللا
بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت
من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني
من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود

مخل بالنظم المطابق للوجود لانه تحسر بالتفريط ثم تعلل بفقد الهدى
ثم تمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله فعل العبد ولا ما فيه
من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ
بالتانيث للنفس ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه
بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما
يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية
البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى للمتكبرين
عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله
الذين اتقوا وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز
وتفسيرها بالنجاة تخصيص لها باهم اقسامها وبالسعادة والعمل الصالح
اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف
اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء
ولا هم يحزنون وهو حال او استئناف لبيان المفازة الله خالق
كل شيء من خير وشر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف
فيه له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن

من التصرف

من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد
دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها
الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا
الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن
عثمان انه سأل النبي عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله
والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا
بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها
ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين
كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين
اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد
مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة
في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين بان خسروا
انفسهم والتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم
او بما يليه والمراد بايات الله دلائل قدرته واستبداده بامر

اعبد ايها الجاهلون
اى افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتامرونى اعتراض
للدلالة على انهم امروه عقيب ذلك وقالوا استلم بعض الهتنا
ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامرونى
لانه بمعنى تعبدوننى على ان اصله تامروننى ان اعبد فحذف ان و
رفع كقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرا ابن عامر
تامروننى باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية
فانها تحذف كثيرا ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك اى من الرسل
لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل
الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم
الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة
للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من
خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح
به فى قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر وكذلك

حبط

٣٠١

حبط اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب
بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص
لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب
الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته فى انفسهم
حق تعظيمه حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به وقرئ
بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة الافعال العظام التى تتحير فيها
الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون
شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة و
اليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة
من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية
بالمصدر او بتقدير ذات قبضته وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها
للمؤقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون
السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على
انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة فى حكمها .

سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد واعلى من هذه قدرته وعظمته
عن اشراكهم او عما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة
الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض خر ميتا او مغشيا
عليهم الا من شاء الله قيل جبرائيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون
بعده وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل
على ان المراد بالاول ونفخ في الصور نفخة ولعلها كما صرح به في
مواضع واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم
او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من
ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون
ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه
نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة
وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه
الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك
اضافه الى نفسه ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب
كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال

واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف
وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل
المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص
ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعيد ووفيت كل نفس ما عملت
جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم ثم فصل
التوفية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة
بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة
جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو
عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة
وهي الجمع القليل حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها ليدخلوها
وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف
للتاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من
جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا
وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا
تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل.

وتبليغهم الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة
الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل
النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك
بالكفرة وقيل هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما
يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم
سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق
ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم
وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال ان الله تعالى اذا خلق العبد
للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة
فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار
حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار وسيق الذين
اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم
اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف
وعلو الطبقة حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا

للدلالة

للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف
وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقرئ فتحت
بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه
طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود
والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو
لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان
الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة
عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه
نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل منا في اي مكان اراده من جنته
الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها
فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين
من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او للابتداء يسبحون بحمد
ربهم متلبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى
ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان

بالله منتهى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات
الحق وقضي بينهم بالحق بين الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم
الجنة أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم
وقيل الحمد لله رب العالمين أي على ما قضى بيننا بالحق والقائلين
هم المؤمنون من المقضي بينهم أو الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم
وتعظيمهم عنه عليه السلام من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم
القيمة وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة
كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر سورة حم التي يذكر
فيها المؤمن مكية وآيها خمس او ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم أمال الحاء ابن ذكوان وحمزة والكسائي وأبو بكر
صريحا ونافع برواية ورش وأبو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم
على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب بإضمار اقرأ ومنع صرفه
للتعريف والتأنيث أو لأنها على زنة أعجمي كقابيل وهابيل تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن

من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات أخر لتحقيق
ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والإضافة
فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد
العقاب مشدده أو الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وأمن
الالتباس أو أبدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط
الواو بين الأولين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول
التوبة أو تغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع
الفعلين لأن الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب
فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة
وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد
صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا إله
إلا هو فيجب الإقبال الكلي على عباده إليه المصير فيجازي
المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا ما يطعن
أما التنزيل فيستعمل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وإدحاض
الحق

لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به فاما الجعل فيه تحويل عقلا و
ابتداء فمقابله وقطعت اهل التريخ وان تخصص بالتصيير فاختيار
الفاعل المختار احد مقدوريه وصرف له عن الاخر واحييتنا اثنتين الا
حياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام
الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان ما في القبر
والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا
ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترافهم لها من اغترارهم
بالدنيا وانكارهم للبعث فهل الى خروج نوع خروج من النار من
سبيل من طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا
وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم الذي انتم فيه بانه بسبب انه
اذا دعي الله وحده متحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه
في الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم
لله المستحق للعبادة العلي الكبير عن ان يشرك به ويسوى بغيره حيث
حكم عليكم بالعذاب السرمد وعلى من اشرك به وسوى به بعض
مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي يريكم اياته الدالة

على التوحيد

على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء
رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالايات التي
هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد
واتباع الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر
فيها فان الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له
الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم رفيع
الدرجات ذو العرش خبران اخران للدلالة على علو صمديته
من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية فان من
ارتفعت درجاته كمالا بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي
هو اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل
الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش او
السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب
على المدح يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده خبر رابع
للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار اثاره
وهو الوحي تمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي

ومن امره بيان له لانه امر بالخير او مبدله والامر هو الملك المبلغ الى
من يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية لينذر غاية الالقاء و
المستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد الثاني يوم التلاق
يوم القيمة فان فيه يتلاقى الارواح والاجسام واهل السماء والارض
والمعبودون والعباد والاعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون من
قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشي
الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء من اعيانهم
واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم
في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسال عنه
في ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال من زوال الا
سباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك
دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه
ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذتها
والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها
زالت العوائق وادركت لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب

وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان
فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الازفة اي القيمة
سميت بها لازوفها اي قربها او الخطة الازفة وهي مشارفتهم
النار وقيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها
فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا
كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على
الاضافة او منها او من ضميرها في لدى وجمعه كذلك لان الكظم
من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين
او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما للظالمين من حميم
قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع يشفع والضمائر ان
كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة
على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة
الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او
خيانة الاعين وما تخفي الصدور من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة
على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق

لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حقه والذين يدعون
من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقرأ نافع
وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير
لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون
وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا
هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين
معرفتين لمضارعة افعل من المعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن
عامر اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع والمدائن
الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فا
خذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب
عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
والاحكام الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن
مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه
ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني المعجزات كالعصى تفخيما لشانه

الى فرعون

٢٠٧

الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعني فرعون وملأه تسلية
لرسول الله وبيانا لعاقبة من هو اشد من الذين كانوا من قبلهم
بطشا واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء
الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون
بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد الكافرين
الا في ضلال في ضياع ووضع الظاهر موضع المضمر لتعميم الحكم و
الدلالة على العلة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه
عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته
ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه
سفاكا في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله او ظن
انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد
وعدم مبالاة بدعائه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم
ان يغير ما انتم عليه من عبادتي وعبادة الاصنام كقوله ويذرك و
آلهتك وان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب
والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير

وابن عامر الكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال
موسى لقومه لما سمع بكلامه اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب صدر الكلام بان تاكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد
في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ و
التربية واضافته اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر
الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه
وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له
على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي عت بالادغام وفي الدخان
عذت بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن من آل فرعون
من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل اسرائيلي او غريب
موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول
لان يقول ربي الله اي لقوله من غير روية وتامل في امره ربي الله و
وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد جاءكم
بالبينات المتكاثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم
اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى

الاعتراف

الى الاعتراف به ثم اخذ بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان
يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه
الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلا اقل من
ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف و
عدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصيبكم ما يعدكم من عذاب
الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم
وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط
بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا
يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو
كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات
وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله
ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم
وعرض به لفرعون لانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب
وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين
في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا اي فلا تفسدوا

امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه
احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة وليريهم
انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير عليكم
الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا بما
علمت من الصواب وقلبي ولساني متطابقان عليه الا سبيل الرشاد
طريق الصلاح وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام
او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة
الى الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم
في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية
يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل داب
قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر
وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما
للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام
وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي
فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم

يوم التناد يوم القيمة ينادي بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون
بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في
الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله تعالى
يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين
عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من
عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب
على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد
او سبطه يوسف بن ابرهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات
فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم
لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب
رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في
رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا
بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله في العصيان
من هو مسرف مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم
والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من

الموصول لان الاسم بمعنى الجمع بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد
او شبهة داحضة اتيهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا فيه
ضرب من التعجب والاستعظام للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدا وخبره كبر على
حذف مضاف اي جدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان
وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله كذلك يطبع
الله على كل قلب متكبر جبار استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم
وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه
منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي
على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا
عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب السموات
بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع
الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص
بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع
عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على
الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه او ان

يرى

يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه
ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى
عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني
لاظنه من الكاذبين في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين
زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على
الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ زين بالفتح وبالتوسط
الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون
صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما
كيد فرعون الا في تباب اي خسار وقال الذي امن يعني مؤمن
آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد
سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون
وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة
زوالها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى
الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم
بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك

الارشاد

يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل
بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمل
وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب
الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه
شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم
الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة
الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما
يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما
هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا
تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر
بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية
بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي
المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها
لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع
لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه

من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب
والغفران لا جرم لا رد لما دعاه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما تدعونني
اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة اي حق عدم دعوة
آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الو
هيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها و
قيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء
اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان
دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من
التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية
الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا
جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان مردنا الى الله
بالموت وان المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك
وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون ما اقول لكم
فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول
لكم من النصيحة وافوض امري الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله

بصير بالعباد فيحرسهم وكانه جواب توعدهم فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى وحاق بال فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش صفوفا حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق او القتل او النار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان او بدل والجملة حال منها او من الال وقرئ بالنصب على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اي هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا ال فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرا نافع

وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار واذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلها وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة عليه كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم لخزنتها ووضع الظاهر موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها

إذ يحتمل أن يكون جهنم أبعد دركاتها من قولهم بئر جهنام
بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب
شيئا من العذاب ويجوز أن يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن
العذاب بيانه قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات أراد به
إلزامهم الحجة وتوبيخهم على إضاعتهم أوقات الدعاء و
تعطيلهم أسباب الإجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فإنا لا نجترئ
فيه إذ لم يؤذن لنا في الدعاء لأمثالكم وفيه إقناط لهم عن الإ
جابة وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ضياع لا يجاب إنا
لننصر رسلنا والذين آمنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من
الكفرة في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد في الدارين و
لا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة أحيانا إذ العبرة بال
عواقب وغالب الأمر والأشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب
والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة
والأنبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
بدل من الأول وعدم نفع المعذرة لأنها باطلة أو لأنه لا يؤذن

لهم

لهم فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد
من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما
يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع وأورثنا
بني إسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك التوراة
هدى وذكرى هداية وتذكرة أو هاديا ومذكرا لأولي الألبا
ب لذوي العقول السليمة فاصبر على أذى المشركين إن وعد الله
حق بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر
لذنبك وأقبل على أمر دينك وتدارك فرطاتك كترك الأولى
والاهتمام بأمر العدا بالاستغفار فإنه تعالى كافيك في النصر
وإظهار الأمر وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ودم
على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين إذ كان
الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا إن الذين يجادلون
في آيات الله بغير سلطان أتاهم عام في كل مجادل مبطل وإن نزلت
في مشركي مكة أو اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن
داود فإنه يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار.

ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم
او ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكون الا لهم ما هم ببالغيه
ببالغي دفع الآيات او المراد فاستعذ بالله فالتجي اليه انه هو السميع
البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق
الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه من امر التوحيد
ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط
غفلتهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير الغافل
والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء المحسن
والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما
بعد البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن
فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول
بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او
الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما يتذكرون اي تذكرا ما
قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرا الكوفيون

بالتاء على تغليب المخاطب والالتفات او امر الرسول بالمخاطبة
ان الساعة لآتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على
جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم
ادعوني استجب لكم اي اعبدوني اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون عن
عبادتي سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال
كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد
بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرا ابن كثير وابو بكر سيدخلون
بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات
وهدو الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار
اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال
ان الله لذو فضل على الناس اي لا يوازيه فضل وللاشعار به
لم يقل لمفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم
مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص

بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا
اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها
وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما
كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه
تصرفون من عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات
الله يجحدون اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتاملها
الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بافعال
اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة
بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع
واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم الله
ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب مفتقر
بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية لا اله
الا هو اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه
مخلصين له الدين الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين
قائلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني

البينات

البينات من ربي من الحجج والآيات او من الآيات فانها مقوية لادلة
العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له او اخلص
له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم
طفلا اي اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد
منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم
يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على
لتبلغوا وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ
شيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ
الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت
او يوم القيامة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي
يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون
فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة
على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية
غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين يجادلون
في آيات الله انى يصرفون عن التصديق وتكرير ذم المجادلة

لتعدد المجادل والمجادل عنه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب
بالقرآن او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من
سائر الكتب او الوحي والشرائع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الا
غلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير
بلفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدأ
خبره يسحبون في الحميم والعائد محذوف اي يسحبون بها وهو على
الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على
تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر
حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال
او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون يحرقون
من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه
سجر بالحب اي ملئ والمراد انهم يعذبون بانواع من العذاب
وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من
دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن
بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم

بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتها
فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن
كذلك مثل ذلك الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى
شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم
يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون
بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح
والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم
الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس
مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل
المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء
عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفرة حق كائن
فاما نرينك فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك
لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي
نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون
يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك

محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في
حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب ويدل على
شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل
عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم
اشخاص معدودة وما كان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله فان
المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم
ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها
فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا او الآخرة قضي بالحق بانجاء المحق
واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات
بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها
ومنها تأكلون فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب
وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها
في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال على الفلك ولم يقل

في الفلك

في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الأكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه
يقصد به التعيش وهو من الضرورات والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون
لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة
ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته
فأي آيات الله اي فأي آية من تلك الآيات تنكرون فانها لظهورها لا
تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى
رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات
لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض ما بقي منهم
من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة
باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم
واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم
الداحضة لقوله بل ادارك علمهم في الآخرة وهو قولهم لا نبعث

ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما
بهم او من علم الطبائع او التنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبيا
وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار
وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق
بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا
قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك
قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى
كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم
كالتفسير لقوله فما اغنى عنهم والباقيتان لان رؤيتهم الباس مسببة
عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية سنة الله التي
قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر
المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس اسم مكان
استعير للزمان عن النبي من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق

ولا شهيد

ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له سورة السجدة
مكية وهي ثلاث او اربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلته مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعدادا
للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره كتاب
وهو على الاولين بدل منه او خبر اخر او خبر محذوف ولعل افتتاح
هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب
متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة
على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت اياته ميزت
باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض
باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل
قرانا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة
قراءته وفهمه لقوم يعلمون لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو
صفة اخرى لقرانا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه
بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئ بالرفع

على الصفة للكتاب او الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله
فهم لا يسمعون سماع طاعة وتامل وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه اغطية جمع كنان وفي اذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر
ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان
الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ
وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقا
دهم ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول
فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في
ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست
ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه
العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة
في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا
اليه فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه
بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه مما انتم عليه من
سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين

من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكاة
لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه
دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون
ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالاخرة هم كافرون
حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم في طلب الدنيا
وانكارهم للاخرة ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او لا يقطع من منت الحبل اذا
قطعته وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة
كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق
الارض في يومين مقدار يومين او نوبتين وخلق في كل نوبة ما
خلق في احسن ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من
الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا
ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحاد في ذاته وصفاته
وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق
الارض في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات

وجعل فيها رواسي استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج
عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من
وجوه الاستبصار ويكون منافعها انواع النبات والحيوانات وقدر
فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به
او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ
وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت
من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمسة عشر ولعله قال
ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما لليومين الاولين
على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل
عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ
بالرفع على هو سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر
للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر
فيها الاقوات للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم
استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان
ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض

بعد

بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان
امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها
فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التاثير والتاثر وابرزا
ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة
او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب
للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان
تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليات كل منكما الاخرى في حدوث
ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المواتاة اي ليوافق
كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما
والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع
والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا طائعين
منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تاثير قدرته
فيهما وتاثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع
الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه خاطبهما واقدرهما
على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال

كالقين على الحفر باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين فقضيهن
سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسما
على المعنى باعتبار كونها او مبهم وسبع سموات حال على الاول
وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات في يوم الخميس والشمس
والقمر يوم الجمعة واوحى في كل سما امرها شانها وما يتاتى منها بان حملها
عليه اختيارا وطبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا السما الدنيا
بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كانها تتلالا عليها وحفظا
وحفظناها من الآفات او المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى
كانه قال وخصصنا السما الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك
تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا
عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة فانذرهم
ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق
او الصعاق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا
اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة

لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم
من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان
الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل
بالتحذير عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من
قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغتهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح
عن المتاخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون
عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان
الا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شا
ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به
كافرون على زعمكم اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد
فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق
وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم وقيل
كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده اولم
يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر
بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره

وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف
على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة
بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع او شديدة الصوت
في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض
سعد سعدا وقرا الحجازيان والبصري بالسكون على التخفيف
او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن اخر شوال من
الاربعا الى الاربعا وما عذب قوم الا في يوم الاربعا لنذيقهم
عذاب الخزي في الحياة الدنيا اضاف العذاب الى الخزي وهو
الذل على قصد وصفه به لقوله تعالى ولعذاب الاخرة اخزى
وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد
المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما
ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل
وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين
وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة
على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السما

اهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا
يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعدا الله الى النار وقرا نافع نحشر با
لنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعدا وقرئ يحشر على البنا للفاعل
وهو الله تعالى فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم لئلا يتفرقوا
وهو عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا ما جاوها اذا حضروها
وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم
وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها
اثارا تدل على ما اقترف بها فينطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا سوال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس
التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي اي ما نطقنا باختيارنا
بل انطقنا الله الذي انطق كل شي او ليس نطقنا بعجب من قدرة
الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب والنطق بدلالة الحال
بقي شي عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه
ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استينافا

او ما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي
كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم
ان اعضاءكم تشهد عليكم بها فما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن
ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم
ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلكم اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى
ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم اراديكم
خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا واراديكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين
اذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء المنزلين
فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا يسألوا
العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره
قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين اي ان سألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا
وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين يستولون
عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض
البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من

من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الآخرة وانكاره وحق
عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله انه تك
عن اصحاب الجنة ما نوكا في نصب قد اهلكوا وهو حال من الضمير
المجرور قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم
انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه
بالخرافات وارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم
الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون
تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم
هؤلاء القائلون بها او عامة الكفار ولنجزينهم
اسوأ الذي كانوا يعملون سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ذلك
اشارة الى الاسوأ جزاء اعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء
او خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد فانها دار اقامتهم
وهو كقولك في هذه الدار دار سرور فعبر بالدار عينها
على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ينكرون .

يكرون الحق او يلغون وذكر الحق الذي هو سبب اللغو وقال
الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس يعني شيطاني
النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس
وقابيل سنا فانهما سنا الكفر والقتل وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف كفخذ في فخذ وقرا الدوري
باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما انتقاما منهما
وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا
ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته
ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من حيث انه
مبدأ الاستقامة او لانها عسر قلما يتبع الاقرار وما روي
عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان
واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة
فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن
او عند الموت او عند الخروج من القبر الا تخافوا ما تقدمون عليه
ولا تحزنوا على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالبا

او مف

او مفسرة وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان
الرسل نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير
بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفي الاخرة بالشفاعة والكرامة
حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها في الاخرة ما تشتهي
انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء
بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون
للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر
ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين
تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا
قول فلان لمذهبه والاية عامة لمن استجمع تلك الصفات
وقيل نزلت في النبي وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا
السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتاكيد
النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك
بحسنة منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن

الثانية مطلقا او حسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه
مخرج الاستئناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة
ولذلك وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق
مثل الولي الشفيق وما يلقاها اي ما يلقى هذه السجية
وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا فانها
تحبس النفس عن الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من
الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك
من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته لانها بعث على ما لا
ينبغي كالدفع بما هو اسوأ وجعل النزغ نازغا على طريق
جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ
بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم
بنيتك او بصلاحك ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران مثلكم
واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة ا

تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم
اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود
عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الآية الاخرى لانه
تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من
الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما وهم
لا يسأمون لا يملون ومن آياته انك ترى الارض خاشعة
يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت وربت تحركت وانتفخت بالنبات وقرئ
ربأت اي زادت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على
كل شيء قدير من الاحياء والاماتة ان الذين يلحدون
عن الاستقامة في آياتنا بالطعن وا
والالغاء فيها لا

كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون في اياتنا
وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر
القرآن وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى
ابطاله وتحريفه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية
والامور الآتية تنزيل من حكيم اى حكيم حميد يحمده كل مخلوق
بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك ما يقال الا كما قد قيل
للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم اى ان ربك لذو مغفرة لانبيائه
وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان يكون المقول
بمعنى ان حاصل ما اوحى اليك والى الرسل ... المؤمنين بالمغفرة والكافرين
... ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا انزل
... لولا فصلت اياته

والعجمي منسوب الى العجم وقرئ اعجمي بهمزة واحدة على الاخبار وعلى
هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا لافهام
العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزام
المحذور والدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات
كيفما جاءت قل هو للذين امنوا هدى الى الحق وشفاء
من الشك والشبه والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر على تقدير
هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم وتعاميهم
عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك
للذين امنوا هدى اولئك ينادون من مكان بعيد هو تمثيل
لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة
ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب
كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك وهو العدة
بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الآجال لقضي بينهم
باستئصال المكذبين وانهم وان اليهود او الذين لا يؤمنون
لفي شك منه من التوراة او القرآن مريب موجب للاضطراب.

من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن أساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد
فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله بهم إليه يرد علم الساعة إذا سئل عنها إذ
لا يعلمها إلا هو وما تخرج من ثمرات من أكمامها من أوعيتها
جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف
الأنواع وقرئ بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الأولى مزيدة للا
ستغراق ويحتمل أن يكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة
بخلاف قوله وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه إلا مقرونا
بعلمه واقعا حسب تعلقه ويوم يناديهم أين شركائي بزعمكم قالوا آذناك
أعلمناك ما منا من شهيد من أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا
عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ أو من
أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء أي ما
منا من يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا
يدعون من قبل يعبدون أو ما يقبل لا ينفعهم أو لا يرونه وظنوا
وأيقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي
لا يسأم الإنسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة

وقرئ من دعاء بالخير وإن مسه الشر الضيقة فيؤوس قنوط
من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله إنه لا ييأس
من روح الله إلا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة
البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور أثر اليأس ولئن
أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي
حقي لما لي من الفضل والعمل أو لي دائما لا يزول وما أظن الساعة
قائمة تقوم ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى أي ولئن
قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك
لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه
فلننبئن الذين كفروا بما عملوا فلنخبرنهم بحقيقة أعمالهم و
لنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ
لا يمكنهم التفصي عنه وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض عن الشكر
ونأى بجانبه وانحرف عنه أو ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته
تكبرا والجانب مجاز عن النفس وهو أبلغ من الطويل إذ الطول
أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله

قل ارايتم اخبروني ان كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر
واتباع دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع
الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم
آياتنا في الآفاق يعني ما اخبرهم النبي عم به من الحوادث الآتية وآثار
النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على
ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما
بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة
على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقرآن او الرسول
او التوحيد او الله اولم يكف بربك اولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد
كأنه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى
انه على كل شيء شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء
شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق
سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم او اولم يكف
الانسان رادعا عن المعاصي انه مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية
الا انهم في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء
ربهم

بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها
مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عنه عم من قرأ السجدة اعطاه الله
بكل حرف عشر حسنات سورة عسق مكية وهي ثلث وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل
بينهما وعد آيتين وان كان اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم
كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم
اي مثل ما في هذه السورة من المعاني او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك
والى الرسل من قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية
للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى
بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر
ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز
الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شان الموحى كما مر في السورة
السابقة او بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده
اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات وما
في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجه الاول استئناف

من فوقهن ومن بعدهن تكاد السماوات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن
يتشققن من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له وقيل من الجهر به وقرأ أبو عمرو وأبو بكر
ينفطرن والأول أبلغ لأنه مطاوع فطّر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن
بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن أي يبتدئ الانفطار
من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الأول لأن أعظم الآيات
وأدلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار
من تحتهن بالطريق الأولى وقيل الضمير للأرض فإن المراد بها الجنس
والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض بالسعي فيما
يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والإلهام وإعداد الأسباب المقربة
إلى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار
بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص
بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة ألا إن الله هو الغفور الرحيم
إذ ما من مخلوق إلا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الأول
زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه عما نسب
إليه وأن عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء

باستغفار

باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه أولياء
شركاء وأندادا الله حفيظ عليهم رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم
بها وما أنت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم أو بموكول إليه أمرهم
وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا ذلك إشارة إلى مصدر يوحي أو إلى
معنى الآية المتقدمة فإنه مكرر في القرآن في مواضع جمة فيكون
الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه لتنذر أم القرى أهل أم القرى
وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيامة
يجمع فيه الخلائق أو الأرواح والأشباح أو العمال والأعمال
والثاني محذوف من الأول والأول من الثاني للتهويل وإيهام التعميم
وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن لا ريب فيه اعتراض لا محل له
فريق في الجنة وفريق في السعير أي بعد جمعهم في الموقف يجمعون
أولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموع لدلالة
الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم أي وتنذر يوم
جمعهم متفرقين أي مشارفين للتفرق أو متفرقين في داري
الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة مهتدين

او ضلالة ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة
والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير
في عذاب السعير ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام في
الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو
الولي جوابه شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي
بالحق وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير كالتقرير لكونه
حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من شيء
من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض الى الله يميز المحق
من المبطل بالنصر او الاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من
تاويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم في كتاب الله ذلكم الله ربي عليه
توكلت في مجامع الامور واليه انيب ارجع في المعضلات فاطر السموات
والارض خبر آخر لذلكم او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل
من الضمير او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء ومن
الانعام ازواجا وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من
الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث

وفي معناه

وفي معناه الذرو والذر فيه في هذا التدبير فهو جعل الناس والانعام
ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء
ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما في قولهم
مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي
عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة
بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته
ومن قال الكاف زائدة فيه لعله عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه
آكد لما ذكرنا وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع
البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنهما
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته
انه بكل شيء عليم فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب
الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا
الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله

ومحله النصب على البدل من مفعول شرع أو الرفع على الاستئناف
كأنه جواب وما ذلك المشروع أو الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا
فيه ولا تختلفوا في هذا الأصل أما فروع الشرائع فمختلفة
كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم
عليهم ما تدعوهم إليه من التوحيد الله يجتبي إليه من يشاء
يجتلب إليه والضمير لما تدعوهم أو للدين ويهدي إليه بالإرشاد
والتوفيق من ينيب يقبل إليه وما تفرقوا يعني الأمم السالفة
وقيل أهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا
من بعد ما جاءهم العلم العلم بأن التفرق ضلال متوعد عليه
أو العلم بمبعث الرسول عليه السلام أو أسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما
فلم يلتفتوا إليها بغيا بينهم عداوة أو طلبا للدنيا ولولا
كلمة سبقت من ربك بالإمهال إلى أجل مسمى هو يوم القيامة أو آخر أعمارهم
المقدرة لقضي بينهم باستئصال المبطلين حين افترقوا لعظم
ما اقترفوا وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم يعني أهل
الكتاب الذين كانوا في عهد النبي أو المشركين الذين أورثوا

القرآن من بعد أهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا لفي شك منه
من كتابهم لا يعلمونه كما هو أو لا يؤمنون به حق الإيمان أو من القرآن
مريب مقلق أو مدخل في الريبة فلذلك فلأجل ذلك التفرق
أو الكتاب أو العلم الذي أوتيته فادع إلى الاتفاق على الملة
الحنيفية أو الاتباع لما أوتيت وعلى هذا يجوز أن تكون اللام
في موضع إلى لإفادة الصلة والتعليل واستقم كما أمرت واستقم على
الدعوة كما أمرك الله ولا تتبع أهواءهم الباطلة وقل آمنت بما
أنزل الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين
آمنوا ببعض وكفروا ببعض وأمرت لأعدل بينكم في تبليغ الشرائع
والحكومة والأول إشارة إلى كمال القوة النظرية وهذا
إشارة إلى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي أمره
لنا أعمالنا ولكم أعمالكم فكل مجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم
لا حجاج بمعنى لا خصومة إذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة
مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم
القيامة وإليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الآية

ما يدل على متاركة الكفار راسا حتى يكون منسوخة باية القتال
والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب
له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه
بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا
بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم
غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي انزل
الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق
انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذي يوزن
به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة
الوزن اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها
فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجئك
اليوم الذي يوزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها وقيل تذكير القريب
لانه بمعنى ذات قريب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين
الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين امنوا مشفقون منها خائفون منها
مع اعتنائها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة

الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من
مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين
يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن
الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها
فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءها الله لطيف بعباده بر بهم
بصنوف من البر لا يبلغها الافهام يرزق من يشاء يرزقه كما يشاء
فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته
وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب من
كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة
تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الاخرة والحرث
في الاصل القاء البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه
نزد له في حرثه فنعطه بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها
من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له
وما له في الاخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى
ام لهم شركاء بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم
شياطينهم

شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار
البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم
متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم و
افتتانهم بما تدين به او صور من سنه لهم ولولا كلمة الفصل
اى القضاء السابق بتاجيل الجزاء او العدة بان الفصل
يكون يوم القيمة لقضى بينهم بين الكافرين والمؤمنين او
المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان
بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولولا كلمة الفصل
وتقدير عذاب الظالمين فى الاخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان
العذاب الاليم غالب فى عذاب الاخرة ترى الظالمين يوم القيمة
مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اى وباله
لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين امنوا وعملوا الصالحات
فى روضات الجنات فى اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند
ربهم ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين
هو الفضل الكبير الذى يصغر دونه ما لغيرهم فى الدنيا ذلك الذى

يبشر الله

يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب الذى
يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذى يبشر الله
عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره قل لا
اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا
منكم الا المودة فى القربى الا ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا قرابتى
وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم
المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى ذوى القربى متمكنة
فى اهلها او فى حق القرابة ومن اجلها كما جاء فى الحديث الحب فى الله
والبغض فى الله روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك
هؤلاء قال على وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب
الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله وقيل نزلت فى ابى بكر
ته ومودته لهم نزد له فيها فى الجنة حسنا بمضاعفة الثواب
وقرئ يزد اى يزد الله وحسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع
بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل
ا يقولون افترى على الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة

والقران فان يشا الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله
بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه
جاهلا بربه فاما من كان على بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان
يشا الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل
يختم على قلبك يمسك القران والوحي عنه او يربط عليه بالصبر
فلا يشق عليك اذاهم ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته
انه عليم بذات الصدور استئناف لنفي الافتراء عما يقول بانه لو كان
مفترى لمحقه اذ من عادته محو الباطل واثبات الحق بوحيه
او بقضائه او بوعد لمحق باطلهم واثبات حقه بالقران او بقضائه
او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض
المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه
والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ
والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي انه اسم يقع على ستة
معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض

الاعادة

الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية
واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل
كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما
تفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرا حفص حمزة والكسائي
ويفعلون بالتاء ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات
اي يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم والمراد
اجابة الدعاء او الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب
عليه ومنه قوله عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله با
لطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ما سالوا او
استحقوا واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد
بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم
على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغي طلب
تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر
بتقدير ما يشاء ما اقتضته مشيئته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم

وطلبا ما لهم فيفعل لهم ما يناسبهم روي ان اهل الصفة تمنوا
الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا
اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم
من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وعاصم وابن عامر
ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقرئ بكسر النون
وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي
الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد
على ذلك ومن آياته خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها
تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات
والخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب
على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة
وهو على جمعهم اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير متمكن منه واذا كما
تدخل على الماضي تدخل على المضارع وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة
معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية

ويعفو

ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين
فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه
وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب
وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم
ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت
الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم في رأسه نار ان يشأ
يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت
على ظهر البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه
عن النظر في آيات الله والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح
العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله
او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقسم كما في قوله
ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم
وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ويعلم
الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم

ويعلم او على الجزم ونصيب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه غير
واجب وهو انا قرا ابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا
على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير
اخرين ما لهم من محيص من العذاب والجملة معلق عنها الفعل وما
اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا تمتعون به مدة حياتكم وما عند
الله من ثواب الاخرة خير وابقى لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى
تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في
الحياة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي
تصدق ابو بكر بماله كله فلامه جمع فنزلت للذين امنوا وعلى
ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما
غضبوا هم يغفرون عطف على الذين امنوا او مدح
منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على
انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم
والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة نزلت في الانصار دعاهم
رسول الله الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم ذو شورى

لا ينفردون

لا ينفردون حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم و
تيقظهم في الامور وهو مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على
ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد
وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران
فانه ينبئ عن عجز المغضوب والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم
عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء
على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي فقال وجزاء
سيئة سيئة مثلها وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من
نزلت به المشبهة بالسيئة والمتجاوز في الانتقام ولمن انتصر
بعد ظلمه بعد ما ظلم فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه فاجره
على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب الظالمين
وقد رخص به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة
انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار او
يطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الارض الفساد.

يغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى
وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اى ان ذلك منه فحذف
كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له
من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظا
لمين لما راوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا
هل الى مرد من سبيل اى الى رجعة الى الدنيا وتريهم يعرضون عليها
على النار ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل متذللين متقاصرين
مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي اى يبتدى نظرهم
الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال
الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض
للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول في الدنيا
او لقول اي يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظا
لمين في عذاب مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان
لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من
سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد

له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به او من صلة لمرد او صلة يأتي اى من
قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجا مفر يومئذ
وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم
يشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم
حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا
اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس
لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور
بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتأمل سببها
وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم
واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان
اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات
بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع
الظاهر موضع الضمير في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم
بكفران النعمة لله ملك السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية
كيف شاء يخلق ما يشاء من غير لزوم ومجال اعتراض يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن
يشاء

الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من
يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة
على مقتضى المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين
جميعا ويعقم اخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل
او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشية
الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب
تعدهن بلاء او لتطييب قلوب اباءهن او للمحافظة على الفواصل
ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه
قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه
قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما
يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا
وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف
مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به
كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف
به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء
حجاب

عليه

عليه يخصه بالاول فالاية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها
وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك
الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء
او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول
الملك الموحى الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر
لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام
ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت
حالا وقرا نافع او يرسل برفع اللام انه علي عن صفات المخلوقين
حكيم يفعل ما يقتضي حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما
عيانا واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني
ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبرئيل والمعنى
ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي قبل
الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد
هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ولكن جعلناه اي الروح او
الكتاب او الايمان نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق

للتبقي والتطفية وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم هو الإسلام وقرئ
لتهدى أي ليهديك الله صراط الله بدل من الأول الذي له ما في
السموات وما في الأرض خلقا وملكا ألا إلى الله تصير الأمور بارتفاع
الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين
عنه من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون
ويسترحمون له سورة الزخرف مكية وقيل إلا قوله واسئل من أرسلنا من رسلنا وهي تسع وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا أقسم بالقرآن على أنه
جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب المقسم والمقسم عليه
كقول أبي تمام وثناياك إنها إغريض ولعل إقسام الله بالأشياء
استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه فالقرآن من حيث
أنه معجز مبين طريق الهدى وما يحتاج إليه في الديانة أو بين
للعرب ما يدل على أنه من عند الله لعلكم تعقلون
كي تفهموا معانيه وإنه عطف على إنا في أم الكتاب في اللوح
المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية وقرأ حمزة والكسائي إم بالكسر لدينا

المحفوظ

محفوظا عندنا عن التغيير لعلي رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا
من بينها حكيم ذو حكمة بالغة أو محكم لا ينسخه غيره وهما خبران
وفي أم الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه أو حال منه ولدينا بدل
منه أو حال من الكتاب أفنضرب عنكم الذكر صفحا أفنذوده ونبعده
عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة أضرب عنك
الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف
أي أنهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فإن تنحية
الذكر عنهم إعراض أو مفعول له أو حال بمعنى صافحين وأصله أن تولي
الشيء صفحة عنقك وقيل إنه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده أنه قرئ
صُفحا وهو يحتمل أن يكون تخفيف صُفُح جمع صفوح بمعنى صافحين و
المراد إنكار أن يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال الكتاب
على لغتهم ليفهموه أن كنتم قوما مسرفين أي لأن كنتم وهو في
الحقيقة علة مقتضية لترك الإعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائي
إن بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك
استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم أرسلنا من نبي في الأولين

وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء
قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من قوم مسرفين لانه صرف
الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين وسلف
في القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى
على الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم
مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم وكأنهم قالوا الله كما حكي عنهم
في مواضع اخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان
يكون مقولهم وما بعده استئناف الذي جعل لكم الارض مهدا
فتستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون
لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك و
الذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به
بلدة ميتا مال عنه الماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان
كذلك مثل ذلك الانشاء تخرجون تنشرون من قبوركم والذي
خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك

آية ١١

ينشأ المحلاة في الحلية اي يتربى في الزينة وفي الخصام متعلق بمبين
واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشأ
وقرئ ينشئ ويناشئ بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعالاه بمعنى
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم
شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا
واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب
عند على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم
احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم اناثا
وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة
مضمومة بين بين وآأشهدوا بمد بينهما ستكتب شهادتهم التي
شهدوا بها على الملائكة ويسألون اي عنها يوم القيامة وهو
وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي
ان لله جزءا وانه بنات وانهن الملائكة ويساءلون من المساءلة
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم لو شاء عدم عبادة
الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على

امتناع النهي عنها

آية ١٨

أو على تشهيها وذلك باطل لأن المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا
كان أو منهيا حسنا كان أو غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك
من علم إن هم إلا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز أن يكون الإشارة
إلى أصل الدعوى كأنه لما أبدى وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى أن
يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم أضرب عنه إلى إنكار أن يكون لهم سند
من جهة النقل فقال أم آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن أو
ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب
مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون
أي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وإنما جنحوا فيه إلى تقليد آبائهم
الجهلة والأمة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول إليه وقرئ
بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم أي القاصد ومنها الدين وكذلك
ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا
آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله ودلالة
على أن التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وأن متقدميهم أيضا لم يكن
لهم سند منظور إليه وتخصيص المترفين إشعار بأن التنعم وحب البطالة

صرفهم

صرفهم عن النظر إلى التقليد قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه
آباءكم أي أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم و
حكاية أمر ماض أوحي إلى النذير أو خطاب لرسول الله ويؤيد الأ
ول أنه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون
أي وإن كان أهدى إقناطا للنذير من أن ينظروا ويتفكروا فيه
فانتقمنا منهم بالاستئصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
ولا تكترث بتكذيبهم وإذ قال إبراهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا
كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل أو ليقلدوه إن لم يكن لهم
بد من التقليد فإنه أشرف آبائهم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون
بريء من عبادتكم أو معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد
والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام إلا الذي
فطرني استثناء منقطع أو متصل على أن ما يعم أولي العلم وغيرهم
وأنهم كانوا يعبدون الله والأوثان أو صفة على أن ما موصوفة
أي إنني بريء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فإنه سيهدين
سيثبتني على الدين أو سيهديني إلى ما وراء ما هداني إليه .

وجعلها اى وجعل ابرهيم او الله كلمة التوحيد كلمة باقية فى عقبه
فى ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ
كلمة فى عقبه على التخفيف وفى عاقبه اى فيمن عقبه لعلهم يرجعون
يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء وآباءهم
المعاصرين للرسول من قريش وآباءهم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا
بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى
اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة
فى تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القرآن ورسول مبين
ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات و
لما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون
زادوا شرارتهم فضموا الى شركهم المعاندة للحق والاستخفاف
فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين من احدى القريتين مكة والطائف
عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى
فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة

روحانية

روحانية تستدعى عظيم النفس بالتحلى بالفضائل والكمالات القدسية
لا التزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه
تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا
بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها
وهو خويصة امرهم فى دنياهم فمن اين لهم ان يدبروا امر النبوة
التى هى اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضى ان يكون
حلالها وحرامها من الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
واوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا ليستعمل بعضهم بعضا فى حوائجهم فيحصل بينهم تآلف
وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال فى الموسع ولا لنقص فى
المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا فى ذلك ولا تصرف فكيف يكون
فيما هو اعلى منه ورحمة ربك يعنى هذه النبوة وما يتبعها
خير مما يجمعون من حطام الدنيا فالعظيم من رزق منها لا منه
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا ان يرغبوا فى الكفر
اذا راوا الكفار فى سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه

لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج مصاعد
جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح
لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك
وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع
البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف
ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون اي ابوابا وسررا من فضة
وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة
وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ان هي المخففة واللام
هي الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام لما بالتشديد بمعنى الا
وان نافية وقرئ به مع ان وما والآخرة عند ربك للمتقين
عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الآخرة
لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع
الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في
الآخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها
كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه

لفرط

لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح
اي يعم يقال عشي اذا كان في بصره آفة وعشى اذا تعشى بلا آفة كعرج
وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو
له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى
ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفعه وانهم ليصدونهم عن
السبيل عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع الضميرين للمعنى
اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له ويحسبون انهم مهتدون
الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا
اي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاءانا اي العاشي
والشيطان قال اي العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما
فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من التمني
اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم
انكم في العذاب مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم
في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه

ولن ينفعكم اشتراكم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب
معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسمهم مكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا تسعه
طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول افانت تسمع الصم او
تهدي العمي انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم
بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى
مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون
الا غيا فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار
تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال مبين
لا يخفى فاما نذهبن بك فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم
وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة فانا
منهم منتقمون بعذاب في الدنيا والاخرة او نرينك الذي
وعدناهم او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب فانا عليهم
مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذي اوحي اليك من الايات
والشرائع وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم
لا عوج له وانه لذكر لشرف لك ولقومك وسوف تسألون

اى عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه واسأل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا اى واسأل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون الرحمن
الهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم
والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة
على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما
حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا موسى باياتنا
الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه
تسلية الرسول ومناقضة قولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى الى التوحيد
فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون فاجأوا وقت ضحكهم
منها اى استهزؤا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم
من اية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى درجات
الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الايات
والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل
من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم

مثل العجمة التي يريها الساري أولا وهي مختصة بنوع من الإعجاز
مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار وأخذناهم بالعذاب بالسنين
والطوفان والجراد لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا
يا أيها الساحر نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط
حماقتهم أو لأنهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا ادع لنا ربك
أن يدعونا فيكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك
من النبوة أو من أن يستجيب دعوتك أو أن يكشف العذاب عمن اهتدى
أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة إننا لمهتدون
فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون فاجؤوا نكث عهدهم بالإيمان
ونادى فرعون بنفسه أو بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم
بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم قال يا قوم أليس
لي ملك مصر وهذه الأنهار أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر
الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي
تحت قصري أو أمري أو بين يدي في جناني والواو إما عاطفة
لهذه الأنهار على الملك فتجري حال منها [illegible] أو واو حال

وهذه

وهذه مبتدأ والأنهار صفتها وتجري خبرها أفلا تبصرون ذلك
أم أنا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين
ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين
الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وأم إما منقطعة والهمزة
فيها للتقرير إذ قدم من أسباب فضله أو متصلة على إقامة المسبب
مقام السبب والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون فتعلمون أني خير منه فلولا
ألقي عليه أسورة من ذهب أي فهلا ألقي إليه مقاليد الملك إن
كان صادقا إذ كانوا إذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من
ذهب أساور جمع أسورة بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير
وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص أسورة وهي جمع سوار وقرئ
أساور جمع أسورة وألقي عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل
وهو الله تعالى أو جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين به يعينونه
أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين [illegible] من قرن
بعضهم ببعض فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته
أو فاستخف أحلامهم فأطاعوه فيما أمرهم به إنهم كانوا قوما فاسقين

فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما اسفونا اغضبونا بالافراط
في العناد والعصيان انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين
في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون
في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخادم وخدم
وقرا حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغيف او سالف
كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه
جمع سلفة اي ثلة سلفت ومثلا للآخرين وعظة لهم او قصة
عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما
ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله في قوله
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى
اهل الكتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة
اولى بذلك او على قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك قريش منه
من هذا المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به
وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون

آيه ٥٧

عن الحق

بالحكمة بالانجيل او الشريعة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه
وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبيا
لم تبعث لبيانه ولذلك قال انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله
واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم
بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا
صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى
او استئناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف
الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او اليهود
او النصارى من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من
المتحزبين من عذاب يوم اليم هو القيامة هل ينظرون الا الساعة
الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تاتيهم بدل من الساعة والمعنى
هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجاءة وهم لا يشعرون غافلون عنها
لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو اي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق
لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين فان

خلتهم

لما كانت في الله تبقى نافعة أبد الآباد يا عباد لا خوف عليكم اليوم
ولا أنتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ
الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو
أي الذين آمنوا مخلصين غير أن هذه العبارة آكد ادخلوا الجنة
أنتم وأزواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سروراً يظهر حباره
أي أثره على وجوهكم أو تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة أو تكرمون
إكراماً يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم
بصحاف من ذهب وأكواب الصحاف جمع صحفة والأكواب جمع
كوب وهو الكوز لا عروة له وفيها وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس
وقرأ نافع تشتهيه على الأصل وتلذ الأعين بمشاهدته وذلك
تعميم بعد تخصيص ما عدد من الزخارف في التنعم والتلذذ وأنتم
فيها خالدون فإن كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف
الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي
أورثتموها بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل
بالميراث لأنه يخلفه عليه العامل وتلك إشارة إلى الجنة

المذكورة

المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي أورثتموها صفتها أو
الجنة صفة تلك والتي خبرها أو صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون
وعليه تتعلق الباء بمحذوف لا بأورثتموها لكم فيها فاكهة
كثيرة منها تأكلون بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل
تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير
بالإضافة إلى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة
إن المجرمين الكاملين في الإجرام وهم الكفار لأنه جعل قسيم
المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم
خالدون خبر إن أو خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم
لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى إذا سكنت قليلاً والتركيب
للضعف وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمنا
هم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا
يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسوراً أو مضموماً ولعله
إشعار بأنهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك
اختصروا وقالوا ليقض علينا ربك والمعنى سل ربنا أن يقضي

علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار
وتمنّ للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص لكم عنه بموت ولا
غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب
ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه وكانه تعالى تولى جوابهم بعد
جواب مالك ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب
النفس وآداب الجوارح ام ابرموا امرا في تكذيب الحق ورده ولم
يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا في مجازاتهم والعدول
عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوأ من كراهتهم او ام احكم المشركون
امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث انفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم
بلى نسمعهما ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمة لهم يكتبون
ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين
منكم فان النبي يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى
بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن حق تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من
ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال

بل المراد

بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان هاهنا لا تشعر
به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال
على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد
ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان
كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له او
الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه
او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ
حمزة والكسائي ولد بالضم سبحان رب السموات والارض رب
العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها
اصولا ذات استمرار تبرأ عما يتصف به سائر الاجسام من توليد
المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم و
يلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي يوم القيمة
وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع
على قلوبهم معذبون في الآخرة وهو الذي في السماء اله وفي الارض

ع

مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن
معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ
محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله
خبرا له لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقدر لانه مبتدأ
محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء
بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الالهة السماوية والارضية
واختصاصه باستحقاق الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه
وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء
وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيمة فيها
واليه ترجعون للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وروح على الا
الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة
كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون
بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون
الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص
بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم سأل العابدين او المعبودين

بالتاء

ليقولن

ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون
عن عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم
او على محل الساعة او لاضمار فعله اي قال قيله وجره عاصم
وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره يا رب
ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف
وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير
وقيله يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن
دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف
يعلمون تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء
على انه من المأمور بقوله عم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له
يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا
الجنة بغير حساب سورة الدخان مكية سبع وخمسون اية
بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين القرآن الواو للعطف ان كان حم مقسما بها
والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة

القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء
الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول نجوما وبركتها لذلك فان
نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية او لما فيها
من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة
وفصل الاقضية انا كنا منذرين استئناف يبين المقتضي للا
نزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق
الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها القرآن
الذي هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة لليلة وما بينهما
اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لان من صفتها
لقوله تنزل الملائكة والروح فيها الآية وقرئ يفرق بالتشديد
ويفرق كل اي يفرقه الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني
بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد
تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امر او ضميره المستكن
في حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهي وقع مصدرا
ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرقة امر او حالا من احد ضميري

انزلناه

انزلناه بمعنى آمرين او مأمورا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من
انا كنا منذرين اي انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال
الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع
الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع
التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اي يفصل كل امر
او يصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا ارسال رحمتنا فان
فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية
من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة انه هو السميع
العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق
لربوبيته فانها لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض
وما بينهما خبر آخر او استئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان
كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين
في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر
كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله
الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم

ورب اباءكم الاولين قرئ بالجر بدلا بل هم في شك يلعبون

رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان

مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة

الدخان من ضعف بصره او لان الهواء تظلم عام القحط لقلة

الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا

وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان

الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان

المعدود في اشراط الساعة لما روي انه عم لما قال اول الايات

الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس

الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله الاية فقال يملا

ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه

كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه

ودبره او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط

بهم صفة الدخان هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب

انا مؤمنون مقول بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف

العذاب

تم

منهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة

وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار

من الايات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال

بعضهم يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال اخرون انه مجنون انا

كاشفوا العذاب بدعاء النبي فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا

او زمانا قليلا وهو ما بقي من اعمارهم انكم عائدون بعد الكشف

ومن فسر الدخان باشراط الساعة قال اذا جاء الدخان غوث

الكفار بالدعاء فكشفه الله عنهم بعد اربعين فما لبثوا الا ريثما يكشفه

عنهم ريثما يرتدون ومن فسرها بالقيمة اولها بالشرط والتعليق يوم

نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه

انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان يحجز عنه او بدل من يوم تأتي وقرئ

نبطش اي نحمل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة

على بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون

امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال

وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد او لكثرة القوم

وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه
ان ادوا الي عباد الله بان ادوهم الي وارسلوهم معي او بان ادوا الي
حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان تكون ان
مخففة او مفسرة لان مجئ الرسول يكون برسالة ودعوة اني لكم رسول
امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه
وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه
ورسوله وان كالاولى في وجهيها اني آتيكم بسلطان مبين علة للنهي
ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شأن لا يخفى
واني عذت بربي وربكم التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني
ضربا او شتما او ان تقتلوني وقرئ عت بالادغام وان لم تؤمنوا لي
فاعتزلون فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا لي بسوء فانه
ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعد ما كذبوه
ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم
بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول
فاسر بعبادي ليلا اي فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك وقرا ابن كثير

ونافع

ونافع بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا
بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على
هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغيره ليدخله القبط
انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا
من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة
ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك
مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك واورثناها عطف
على الفعل المقدر او على تركوا قوما آخرين ليسوا منهم في شيء وهم
بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء
والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم
كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك
ومنه ما روي في الحديث ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته
ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء
والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت آخر ولقد نجينا
بني اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم من فرعون

من فرعون على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب او
حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام
تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان عاليا من المسرفين
متكبرا في العتو والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال من
الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا
بني اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم
يزيغون في بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي
زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر ان هؤلاء
يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة
على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ما حل
بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر
الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات
ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل انه لما قيل لهم
انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا

ان هي

ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي من شانها ذلك الا الموتة
الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور
من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين في وعدكم ليدل عليه اهم خير
في القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة
وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم
دونه وعنه عم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وقيل لملوك
اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين
من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استئناف بمآل قوم تبع والذين من
قبلهم هدد به قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استؤنف
انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين
لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها ما خلقناهما
الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة
او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم الفصل
فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل

عن أقاربه وأحبائه ميقاتهم وقت موعدهم أجمعين وقرئ ميقاتهم
بالنصب على أنه اسم إن أي إن ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني
بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم أو ظرف لما دل عليه الفصل لا له
للفصل مولى من قرابة أو غيرها عن مولى أي كان شيئا من الإغناء
ولا هم ينصرون الضمير لمولى الأول باعتبار المعنى لأنه عام إلا من رحم
الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل
من الواو أو النصب على الاستثناء إنه هو العزيز لا ينصر منه من أراد
تعذيبه الرحيم لمن أراد أن يرحمه إن شجرة الزقوم وقرئ بكسر
الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات طعام الأثيم الكثير الآثام والمراد
الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار
حتى يذوب وقيل دردي الزيت يغلي في البطون وقرأ ابن كثير
وحفص ورويس بالياء على أن الضمير للطعام أو الزقوم لا للمهل
إذ الأظهر أن الجملة حال من أحدهما كغلي الحميم غليانا مثل غليه خذوه
على إرادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الأخذ
بمجامع الشيء وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما
لغتان

إلى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم
كان أصله يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب
هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب إلى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة
على أن المصبوب بعض هذا النوع ذق إنك أنت العزيز الكريم أي
وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي
أنك بالفتح أي ذق لأنك أو عذاب أنك إن هذا إن هذا العذاب
ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه إن المتقين في مقام في موضع
إقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم أمين يأمن صاحبه
عن الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جيء به للدلالة
على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب يلبسون
من سندس وإستبرق خبر ثان أو حال من الضمير في الجار أو استئناف و
السندس ما رق من الحرير والإستبرق ما غلظ منه معرب أو مشتق
من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض كذلك الأمر أي
الأمر كذلك أو آتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن
ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف

في انقضاء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون باحضار
ما يشتهون من الفواكه ولا يتخصص منها شيء بمكان ولا زمان آمنين
من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما
والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة
والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكانه فيها او الاستثناء
للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت فكانه قال لا يذوقون فيها الموت
الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم
وقرئ ووقاهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء
وتفضلا منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم
لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه
حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه
فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل
بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان
في ليلة اصبح يستغفر له الف ملك ومن قرأها
في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب
احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعدادا للحروف كان
تنزيل مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل
صفته وجواب القسم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو
يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات
لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف على الضمير المجرور
بل عطفه على المضاف باحد الضميرين فان بثه وتنوعه
واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع
المختار آيات لقوم يوقنون محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار وما
انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به
الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها
وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه
القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء او ان
الا ان تضمر في او تنصب الآيات على الاختصاص او ترفع باضمار هي

ولعل اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور
تلك آيات الله اي تلك الآيات دلائله نتلوها عليك حال عاملها
معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فبأي حديث بعد الله
وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم
كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن كقوله
الله نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف
لتغاير الوصفين وقرا الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء
ليوافق ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله
تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالآيات
وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع آيات الله كقوله يرى غمرات الموت ثم
يزورها كأن لم يسمعها اي كأنه فخفف وحذف ضمير الشأن والجملة
في موضع الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره
والبشارة على الاصل او التهكم واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء
وعلم انه منها اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين لذلك
من غير ان يتأملها ما بناب الهزء والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار

بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات
كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشيء لانه بمعنى الآية من ورائهم جهنم
من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانها بعد آجالهم
ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب
الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام ولهم عذاب
عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله
والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرا ابن كثير ويعقوب
وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم
البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب
ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم
راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها
ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا بان خلقها نافعة لكم منه حال من ما اي سخر هذه الاشياء
كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم
تكرير للتأكيد او لما في الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه

على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لايات لقوم
يتفكرون في صنائعه قل للذين امنوا يغفروا حذف المقول لدلالة
الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين
لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب
لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم
ووعدهم بها والاية نزلت في عمر شتمه غفاري فهم ان يبطش به
وقيل انها منسوخة باية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر
والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم
او للتحقير او للشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما
اي ليجزى الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان
الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون
فيجازيكم على اعمالكم ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم
والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم
الانبيا .

ما لم يكن لغيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم
على العالمين حيث اتيناهم ما لم نؤت غيرهم واتيناهم بينات من الامر ادلة
في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل الايات من امر النبي مبينة
لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة
الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما
كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة
طريقة من الامر من امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج
ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اراء الجهال التابعة للشهوات
وهم رؤسا قريش قالوا له ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا
عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بعض
اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله
ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا هذا القران
او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى
من الضلالة ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها

إنكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة أن
نجعلهم أن نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثاني
مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه إن كان الضمير للموصول
الأول لأن المماثلة فيه إذ المعنى إنكار أن يكون حياتهم ومماتهم سيين
في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي
وحفص سواء بالنصب على البدل أو الحال من الضمير في الكاف أو المفعولية
والكاف حال وإن كان للثاني فحال منه أو استئناف يبين المقتضي
للإنكار وإن كان لهما فبدل أو حال من الثاني وضمير الأول
والمعنى إنكار أن يستووا بعد الممات في الكرامة أو ترك المؤاخذة
كما استووا في الرزق والصحة في الحياة أو استئناف مقرر لتساوي
محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ ومماتهم بالنصب
على أن محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون
ساء حكمهم هذا أو بئس شيئاً حكموا به ذلك وخلق الله السموات
والأرض بالحق كأنه دليل على الحكم السابق من حيث أن خلق
ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم

والتفاوت بين المسيء والمحسن وإذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات
ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لأنه في معنى العلة أو على علة
محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسميته ذلك ظلماً ولو فعله الله
لم يكن منه ظلماً لأنه لو فعله غيره لكان ظلماً كالابتلاء والاختبار
من اتخذ إلهه هواه ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى
فكأنه يعبده وقرئ آلهة هواه لأنه كان أحدهم يستحسن حجراً فيعبده
فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه وأضله الله وخذله على علم
عالماً بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه
فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات وجعل على بصره غشاوة
فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة
فمن يهديه من بعد الله من بعد إضلاله أفلا تذكرون وقرئ
تتذكرون وقالوا ما هي ما الحياة أو الحال إلا حياتنا الدنيا
التي نحن فيها نموت ونحيا نكون أمواتاً نطفاً وما قبلها في الا
هلا ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا

أو يموت بعضنا ويحيى بعضا أو يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة
ويحتمل أنهم أرادوا به التناسخ فإنه عقيدة أكثر عبدة الأوثان وما
يهلكنا إلا الدهر إلا مرور الزمان وهو في الأصل مدة بقاء العالم
من دهره إذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث إلى
حركات الأفلاك فيما يتعلق بها على الاستقلال أو إنكار البعث أو
كليهما إن هم إلا يظنون إذ لا دليل لهم عليه وإنما قالوه بناء على
التقليد والإنكار لما لم يحسوا به وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات
الدلالة على ما يخالف معتقدهم أو مبينا له ما كان حجتهم
ما كان لهم متشبث يعارضونها به إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا
إن كنتم صادقين وإنما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم
أو على أسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فإنه لا يلزم من
عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم
على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه فإن من قدر
على الابتداء قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة
على ما قرره مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها

وإذا كان كذلك أمكن الإتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت أن يعادوا
يوم الجمع للجزاء ولكن أكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور
نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السماوات والأرض تعميم للقدرة
بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون أي يخسرون
يوم تقوم الساعة ويومئذ بدل منه وترى كل أمة جاثية مجتمعة من الجثوة
وهي الجماعة أو باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية أي جالسة
على أطراف الأصابع لاستيفازهم كل أمة تدعى
إلى كتابها صحيفة أعمالها وقرأ يعقوب كل على أنه بدل من الأول
وتدعى صفة أو مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على
القول هذا كتابنا أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه لأنه أمر الكتبة
أن يكتبوا فيها أعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم
بلا زيادة ونقصان إنا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم
تعملون أعمالكم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم
في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه
عن الشوائب وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم

فيقال لهم الم تاتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى فحذف القول والمعطوف
عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها
وكنتم قوما مجرمين قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله
يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة
لا ريب فيها افراد للمقصود وقرا حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما
ندري ما الساعة اي شيء استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن
ظنا فادخل حرفا النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه
قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم
اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم
تحيروا بين ما سمعوا من اباءهم وما تليت عليهم من الايات في امر
الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان
عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها وحاق بهم
ما كانوا به يستهزءون وهو الجزاء وقيل اليوم ننسيكم نترككم في العذا
ب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضا
فة اللقاء الى اليوم اضافة الى ظرفه وماويكم النار وما لكم من ناصرين

يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا استهزءتم بها
ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حياة سواها فاليوم
لا يخرجون منها وقرا حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم
يستعتبون لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه
فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اذ الكل نعمة
منه ودال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض
اذ ظهر فيها اثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر
وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له عن النبي ﷺ من قرا حم الجاثية
ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب سورة الاحقاف مكية وآيها
اربع او خمس وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض الا بالحق
الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما يقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة
على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا
واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة
او كل واحد وهو اخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما انذروا

من هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون
فيه ولا يستعدون لحلوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني
ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال الهتكم
بعد التامل فيها هل يعقل ان يكون لها في نفسها مدخل في خلق شيء من
اجزاء العالم فتستحق بها العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احترازا
عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب
من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد
او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها
ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر بها ان كنتم صادقين
في دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا
بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اي
مناظرة فان المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به واثرة
بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من
مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة
اسم ما يؤثر ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له انكار

ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر
الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا عن
ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا
وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون
مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم
ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال
او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا
للحق لاجله وفي شانه والمراد به الايات ووضعه موضع ضميرها
ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها
بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين ما
جاءهم من غير نظر وتامل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون
افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه
وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي
من الله شيئا اي ان عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفعه فكيف

فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع
ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح
في اياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ
وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور
الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وامن واشعار بحلم الله عنهم
مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى
ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان
بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال
على انه كقيم او مقدر بمضاف اي ذا بدع وما ادري ما يفعل بي
ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب ولا لتاكيد
النفي المشتمل على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية
مرفوعة وقرئ يفعل اي يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه
وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال
المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا الا نذير
عن عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات

المصدقة قل ارايتم ان كان من عند الله اي القران وكفرتم به وقد جوز
ان تكون الواو عاطفة على فعل الشرط وكذا الواو في قوله
وشهد شاهد من بني اسرائيل الا انها تعطفه بما عطف عليه على
مثله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى وشهادته ما في
التوراة من نعت رسول الله على مثله مثل القران وهو ما في التوراة
من المعاني المصدقة للقران المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه
من عند الله فامن بالقران واستكبرتم عن الايمان ان الله
لا يهدي القوم الظالمين استئناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب
عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال
الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم لو كان الايمان او ما اتى
به محمد خيرا ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء
وموالي ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان
واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود
حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف
مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه

وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القران وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحي وتوقيف من الله سبحانه وقيل نصب مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفا لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها

جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرا الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرا الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهي به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلاثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا

بلغ اشده

إذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي
الا بعد اربعين قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته
بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة
الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر لانه
لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا
ترضاه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضا
الله واصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا
فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك عما لا ترضاه
او يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين
نتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعاتهم فان المباح حسن
ولا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او مثا
بين او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل
ويتجاوز وعد الذي كانوا يوعدون في الدنيا والذي قال
لوالديه اف لكما مبتدأ خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح

نزولها

نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب
التخصيص وفي اف قراءات ذكرت في بني اسرائيل اتعدانني ان اخرج
ابعث وقرأ هشام اتعداني بالادغام وقد خلت القرون
من قبلي فلم يرجع احد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث
بالله منك او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك آمن
اي يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه
ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين
اباطيلهم التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل
النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها
لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه في امم قد خلت من قبلهم
كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا
خاسرين تعليل للحكم على الاستئناف ولكل من الفريقين درجات
مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا
والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب وليوفيهم
اعمالهم جزاءها وقرأ نافع وابن عامر وابن ذكوان وحمزة والكسائي بالنون

وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا
على النار يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلبوا مبالغة كقولهم
عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم
وقرأ ابن كثير ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة
وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم في حياتكم الدنيا
باستيفائها واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب
الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل
والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا
عاد يعني هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل
مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا
يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر
الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال او
اعتراض الا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي عن
الشيء انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم

قالوا اجئتنا لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا
من العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين في وعدك قال انما العلم
عند الله لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه
عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على
الرسول الا البلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا
مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين فلما رأوه عارضا سحابا
عرض في افق السماء مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم والاضافة
فيه لفظية وكذا في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي يأتينا
بالمطر بل هو اي قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ
قل بل ريح هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا
قوله تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا
توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفي ذكر الامر
الرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر
كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فهلك العاديون كلهم فا
صبحوا لا يرى الا مساكنهم يحتمل ان يكون استثناء للدلالة على ان كل مساكنهم

مقتضيا لا تتقدم ولا تتأخر تهلك كل شيء فإنه يحمل الا تنبك فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لو جئتهم لا ترى إلا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة ويعقوب لا يرى إلا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين روي أن هودا لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين في حظيرة وجاءت الريح فأمالت الأحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام حسوما ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه إن نافية وهي أحسن من ما ههنا لأنها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت ألفها هاء في مهما أو شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي أو في شيء إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر وصلة كما في قوله يرجى المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدناه الخطوب والأول أظهر وأوفق لقوله هم أحسن أثاثا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء من الإغناء وهو القليل إذ كانوا يجحدون

يا يات الله

٢٦٦ احقاف

بآيات الله صلة لما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث أن الحكم مرتب على ما أضيف إليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من العذاب ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات كررناها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأول مفعولي اتخذوا الراجع إلى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل أو عطف بيان أو آلهة وقربانا حال أو مفعول له على أنه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع أن يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك إفكهم وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم أي جعلهم آفكين وأفكهم أي قولهم الإفك أي ذو الإفك وما كانوا يفترون وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن أملناهم إليك والنفر دون العشرة يستمعون القرآن

١٢٥

جاءه مجيبين على الفور فلما حضروه اي القرآن او الرسول قالوا انصتوا قال
بعضهم لبعض اسكتوا لنستمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراءته وقرئ على
بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ولوا الى قومهم منذرين
اياهم بما سمعوا روي انهم وافوا رسول الله بوادي النخلة عند
منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا
او ما سمعوا بامر عيسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق من
العقائد والى طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي
الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في
خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم
هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة رحمه الله بهذا الاقتصار على المغفرة
والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف
كبني ادم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي
منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك في ضلال
مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا ان الله

الذي

الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى
ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الاباد بقادر
على ان يحيي الموتى قادر ويدل عليه قراءة يقدر والباء مزيدة
لتاكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه ببلى
بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان
على المقصود وكانه لما صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها باثبات
المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله
اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة
بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات
والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا
العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا
على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم
نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء الله
كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم

على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد
والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه
انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود على خطيئته
اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش
بالعذاب فانه نازل بهم في وقته لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم
في الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به او هذه
السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ
وقيل بلاغ مبتدا خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت
يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم
وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون
الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام
وكسرها من هلك يهلك ويهلك بالنون ونصب القوم عنه عم
من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد وتسمى سورة القتال مدنية وقيل مكية وآيها ثمان او تسع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا
عن الدخول في الاسلام او صدوا غيرهم او منعوا الناس عنه كا
لمطعمين يوم بدر او شياطين قريش او المصرين من اهل الكتاب
او عام في جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة
الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضائعة محبطة
بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا
حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله
والصد عن سبيله بنصره واظهار دينه على الدين كله
والذين امنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار والذين
امنوا من اهل الكتاب وغيرهم وامنوا بما نزل على محمد تخصيص
للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان
لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق
من ربهم اعتراضا على طريقة وحقيته بكونه ناسخا لا ينسخ
وقرئ نزل على بناء الفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف
كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم

حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال
والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره بان الذين كفروا
اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب
اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهو تصريح بما اشعر
ما قبلها ولذلك بحسن كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله
للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس
او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال
مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات
مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب
الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر
وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التاكيد الاختصار
والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة
حيث امكن وتصوير له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم
قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق
فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به

فاما

فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا او تفدون فداء والمراد
التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت
عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن
والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر
فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدى كعصا حتى تضع
الحرب اوزارها آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح
والكراع اي تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها
والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب
او الشد او للمن والفداء او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام
جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم
وقيل بنزول عيسى ذلك اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو
يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم باستئصال ولكن ليبلو بعضكم
ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم
فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم
على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر

والذين قاتلوا في سبيل الله جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا أي
استشهدوا فلن يضل أعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل
على بناء المفعول سيهديهم إلى الثواب أو سيثبت هدايتهم ويصلح
بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى
اشتاقوا إليها فعملوا ما استحقوها به أو بينها لهم بحيث يعلم كل
منزله ويهتدي إليه كأنه كان ساكنه منذ خلق أو طيبها
لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو حددها لهم بحيث يكون لكل
جنة مفرزة يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله إن تنصروا
دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت أقدامكم في
القيام بحقوق الإسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا
فتعسا لهم فعثورا لهم وانحطاطا ونقيضه لعا قال الأعشى
فالتعس أولى لها من أن أقول لعا وانتصابه بفعل الفعل يجب إضماره
سماعا والجملة خبر الذين كفروا أو مفسرة لناصبه وأضل أعمالهم
عطف عليه ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله القرآن لما فيه من التوحيد
والتكاليف المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم كخصيص

وتفرح ليبني الكفر بالقرآن للتنصيص والضلال فأحبط أعمالهم كرره
إشعارا بأنه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال أفلم يسيروا
في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم
استأصل عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم وللكافرين
من وضع الظاهر موضع المضمر أمثالها وتلك العاقبة أو العقوبة
أو الهلكة لأن التدمير يدل عليها أو السنة كقوله سنة الله التي
قد خلت ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ناصرهم على أعدائهم وأن
الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله
وردوا إلى الله مولاهم الحق فإن المولى فيه بمعنى المالك إن الله
يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار
والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل
الأنعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل
ومقام وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك
على حذف المضاف وإجراء أحكامه على المضاف إليه والإخراج
باعتبار التسبب أهلكناهم بأنواع العذاب فلا ناصر لهم

ينعى عنهم وهكذا حال المحكية أفمن كان على بينة من ربه حجة من
عنده وهو القرآن أو ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين
كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا أهواءهم في ذلك
لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون
أي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو
خالد في النار وتقدير الكلام أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد
أو أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف
ما حذف استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك
بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار وهو على
الأول خبر محذوف تقديره أفمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد
في النار أو بدل من قوله كمن زين له سوء عمله وما بينهما اعتراض لبيان ما
يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريرا لإنكار المساواة فيها
فيها أنهار من ماء غير آسن استئناف يشرح المثل أو حال من العائد
المحذوف أو خبر لمثل وآسن من أسن الماء بالفتح إذا تغير طعمه
وريحه أو بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن وأنهار من لبن

لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وأنهار من خمر لذة للشاربين
لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار
تأنيث لذ أو مصدر نعت به بإضمار أو تجوز وقرئت بالرفع
على صفة الأنهار والنصب على العلة وأنهار من عسل مصفى
لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم
مقام الأشربة في الجنة بأنواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد
عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها
ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم
عطف على الصنف المحذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم مغفرة
كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الأشربة فقطع
فقطع أمعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع إليك حتى إذا
خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول ويسمعون
كلامه فإذا خرجوا قالوا للذين أوتوا العلم أي لعلماء الصحابة
ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء أو استعلاما
إذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم أنف الشيء لما تقدم منه

مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتاً
مؤتنفاً أو حال من الضمير في قال وقرئ أنفاً أولئك الذين طبع الله
على قلوبهم واتبعوا أهواءهم فلذلك استهزؤا بها وتهاونوا
بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى أي زادهم الله بالتوفيق
والإلهام أو قول الرسول وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون أو أعانهم
على تقواهم أو أعطاهم جزاءها فهل ينظرون إلا الساعة فهل
ينتظرون غيرها أن تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله
فقد جاء أشراطها كالعلة له وقرئ إن تأتهم على أنه شرط مستأنف
جزاؤه فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم والمعنى إن تأتهم الساعة بغتة
لأنه قد ظهر أماراتها كمبعث النبي وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم
أي تذكرهم إذا جاءتهم الساعة حينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم أنه لا
إله إلا الله واستغفر لذنبك أي إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة
الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل
النفس بإصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما

يستدعي غفرانهم وفي إعادة الجار وحذف المضاف إشعار بفرط احتياجهم
وكثرة ذنوبهم وأنها جنس آخر فإن الذنب ما له تبعة ما بترك
الأولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فإنها مراحل لا بد من قطعها
ومثواكم في العقبى فإنها دار إقامتكم فاتقوا الله واستغفروه وأعدوا
لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة أي هلا نزلت سورة
في أمر الجهاد فإذا أنزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر
فيها القتال أي الأمر به رأيت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين
وقيل نفاق ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت جبناً ومخافة
فأولى لهم فويل لهم أفعل من الولي وهو القرب أو فعلى من آل ومعناه الدعاء
عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤول إليهم أمرهم طاعة وقول معروف
استئناف أي أمرهم طاعة أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية
قولهم لقراءة أبي يقولون طاعة فإذا عزم الأمر أي جد وهو لأصحاب
الأمر وإسناده إليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا
الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان لكان الصدق
خيراً لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس

وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا في
الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا
الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب
والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان
يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على
لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير وخبره ان تفسدوا او اذا توليتم
اعرض عن كل بعض تقلبكم او ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم و
ساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع
وقرئ وتقطعوا من التقطع اولئك اشارة الى المذكورين الذين
لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فاصمهم عن استماع الحق
واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون القرآن يتصفحونه
وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي ام على
قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم
او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها نكرها

ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على
اقفال لها مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ
اقفالها بالمصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه من
الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والآيات
الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول
وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمني وفيه
ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل
ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سُوِّل على تقدير مضاف
اي كيد الشيطان سول لهم واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني
او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب واملي لهم اي
وانا املي لهم فتكون الواو للحال او الاستئناف وقرئ وأُمْلِيَ لهم على
بناء المفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين
كرهوا ما نزل الله اي قال اليهود الذين كفروا بالنبي بعدما تبين
لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين
سنطيعكم في بعض الامر في بعض اموركم او في بعض ما تأمرون به

كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم اذا اخرجوا والتظاهر
على الرسول والله يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه الله عليهم
وقرأ حمزة والكسائي وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم
الملئكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي
والمضارع بحذف احدى التائين يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم
بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك اشارة الى التوفي الموصوف
بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان
الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطا
عات فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان
لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين اضغانهم احقادهم
ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم
بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف
ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته
الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل
الكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم

اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد وسائر التكاليف
الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها ونبلو
اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبحها او اخبارهم
عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقرأ ابو
بكر الافعال الثلثة بالياء ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلوه
بسكون الواو على القطع ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم
قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم
وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه
وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك
او مكائدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم
ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به
هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها
وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا

وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في
كل من مات على كفره وان صح نزوله في اصحاب القليب يدل بمفهومه
على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا
وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا
ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرئ بكسر
السين وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم
اعمالكم ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من
قريب او حميم فافردته منه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده
منه انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا
يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم جميع اموالكم
بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشر ان يسألكموها فيحفكم فيجهدكم
بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى
شاربه اذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم
ويضغنكم على رسول الله والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة
بالنون او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ تخرج بالتاء والياء

ورفعها

ورفعها ونصب اضغانكم ها انتم هؤلاء اي انتم يا مخاطبون هؤلاء
الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف مقرر لذلك
او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة
وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الاية المتقدمة
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان
اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي
فانه امساك عن مستحق والله الغني وانتم الفقراء فما يأمركم
فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا
عطف على وان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقم مقامكم قوما اخرين
ثم لا يكونوا امثالكم في التولي والزهد في الايمان وهم الفرس
لانه عم وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه فقال هذا وقومه
او الانصار او اليمن او الملائكة عنه عم من قرأ سورة محمد كان حقا
على الله ان يسقيه من انهار الجنة **سورة الفتح مدنية نزلت**
في مرجع رسول الله صلعم من الحديبية وهي تسع وعشرون اية
بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة

والتعبير عنه بالماضي لتحققه او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر
وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد
ظهوره على المشركين حتى سالوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ
به رسول الله لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام
خلقا عظيما وظهر له في الحديبية اية عظيمة وهي انه نزح ماؤها بالكلية
فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح
الروم فانهم غلبوا الفرس في تلك السنة وقد عرفت كونه فتحا للرسول
في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اي قضينا لك ان تدخل مكة
من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من انه مسبب عن جهاد
الكفار والسعي في ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس
الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختياريا وتخليص الضعفة
عن ايدي الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تاخر جميع ما فرط منك
مما يصح ان تعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم
الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة
واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز

ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة هو الذي انزل
السكينة الثبات والطمانينة في قلوب المؤمنين حتى يثبتوا حيث تقلق
النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع
يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفوس عليها او انزل فيها
السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم
بالله وباليوم الاخر ولله جنود السموات والارض يدبر امرها
فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى
كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر
ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها علة لما دل عليه قوله ولله جنود السموات
والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا
نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار و
المنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر
او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم
سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اي الادخال والتكفير

عند الله فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر
عندها له من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على
المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر
رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه
بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم
وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه
والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم
ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الاخرة على ما استوجبوه
في الدنيا والواو في الاخريين والموضع للفاء اذ اللعن سبب للاعداد
والغضب سببه لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية
وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا
حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا
على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي
والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه

وتعزروه

وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه
او تصلوا له بكرة واصيلا غدوة وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير
وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين
وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه بالزاءين وتوقروه
من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له
على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه
فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى
بمبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص
عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه
بالنون والاية نزلت في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من
الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله
عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم
وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة
قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من
يقوم

باشتغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف
يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار
قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه إن أراد
بكم ضرا ما يضركم من قتل أو هزيمة وخلل في المال والأهل وعقوبة
على التخلف وقرأ حمزة والكسائي بالضم أو أراد بكم نفعا ما يضاد
ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم
وقصدكم فيه بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم
أبدا لظنكم أن المشركين يستأصلونهم وأهلون جمع أهل وقد يجمع
على أهلات كأرضات على أن أصله أهلة فأما أهال فاسم جمع
كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو
الله أو الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل
عليه بالسوء أو هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الأمور الزائفة
وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء
نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا
وضع الكافرين موضع الضمير إيذانا بأن من لم يجمع بين الإيمان

بالله ورسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل
أو لأنها نار مخصوصة ولله ملك السموات والأرض يدبره كيف يشاء
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء إذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا
رحيما فإن الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه
بالعرض ولذلك جاء في الحديث الإلهي سبقت رحمتي غضبي سيقول
المخلفون يعني المذكورين إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها
يعني مغانم خيبر فإنه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست
وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد
الحديبية ففتحها وغنم أموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا
نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله أن يغيروه وهو وعده لأهل
الحديبية أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا
معي أبدا والظاهر أنه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة
المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا
نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيئهم للخروج إلى
خيبر فسيقولون بل تحسدوننا أن نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر

بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور
الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم
واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور
الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة
في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي باس شديد
بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله او المشركين فانه قال
تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام
لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي
الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره
الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبي
وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم
الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا
والجنة في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية
يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج

عن هؤلاء المعذورين استثناهم عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد
مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم
فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع
من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه
لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي الى اهل مكة
فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان و
فحبسوه فارجف بقتله فدعا اصحابه وكانوا الفا
وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا
ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم
من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس
بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم
وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني مغانم خيبر وكان
الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة

تاخذونها وهي ما يفي على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه
يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني
اسد وغطفان او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة
او الغنيمة آية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان
او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية
او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة
لكف او عجل مثل لتسلموا او لتاخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل
ذلك ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه
واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره
قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة
وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة
قد احاط الله بها استولى فاظفركم الله بها وهي مغانم هوازن
او فارس وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته ذاتية لا
تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة
ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم

ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن الله غلبة انبيائه
سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال كتب الله لاغلبن انا ورسلي
ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم اي ايدي
كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد ان
اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة ابن ابي جهل
خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلعم خالد بن الوليد
على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك
عام الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف
اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا
طاعة لرسول الله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء
وغيره بالتاء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن
المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان
ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ الهدي
وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد
مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحر

الرسول حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر
هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم
باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤوهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم
قال ووطئتنا وطئا على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال ان
اخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان اخر غزاة غزاها
النبي بها واصله الدوس وهو بدل اشتمال من رجال ونساء او
ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب
الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار
بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا
عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤوا اي تطؤوهم غير عالمين
بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا
كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين
بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل
الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي عن اهل مكة
صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته

اي في توفيقه

اي في توفيقه لزيادة الخير او الاسلام من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم
لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا
الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين
كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة
حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين فانزل عليهم الثبات والوقار وذلك ما روي
انه لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد
العزى ومكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان يخلي
له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا
بينهم كتابا فقال ع لعلي ع اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا
ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال ع اكتب هذا ما صالح
عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما
صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد
بن عبد الله اهل مكة فقال ع اكتب ما يريدون فهم المؤمنون
ان يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم

فنزلت والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن
الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة
الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرها
واهلها والمستاهل لها وكان الله بكل شىء عليما فيعلم اهل كل
شىء وييسره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى عليه السلام انه واصحابه دخلوا
مكة امنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا
بها وحسبوا ان ذلك يكون فى عامهم فلما تاخر قال بعضهم والله ما
حلقنا ولا قصرنا ولا راينا البيت فنزلت والمعنى صدقه فى رؤياه
بالحق ملتبسا به فان ما راه كائن لا محالة فى وقته المقدر له
وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف
اى صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على
الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله او بنقيض
الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين
جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية تعليما
للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او كان

لما قاله

على ما قاله ملك الرؤيا والنبى لاصحابه امنين حال من الواو والشرط
معترض محلقين رؤوسكم ومقصرين اى محلقا بعضكم ومقصرا اخرون
لا تخافون حال مؤكدة او استئناف اى لا تخافون بعد ذلك فعلم ما
لم تعلموا من الحكمة فى تاخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون
دخولكم المسجد الحرام فتحا قريبا وهو فتح خيبر لتستروح
اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هو الذى ارسل رسوله
بالهدى ملتبسا به او بسببه او لاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره
على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا
واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما
من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تاكيد لما وعده من
الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته
باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان
يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدا والذين معه
معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم والمعنى انهم
يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم

فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا
سجدا لانهم مشتغلون بالصلاة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا الثواب والرضا سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد
السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا
اعلمه وقد قرئت ممدودة من اثر السجود بيانها او حال من المستكن
في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم
في التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ومثلهم في الانجيل
عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستانف
او تفسير او مبتداء وكزرع خبره اخرج شطاه فراخه يقال اشطا
الزرع اذا افرخ وقرا ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطاه
بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه
بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا
فآزره فقواه من المؤازرة وهي المعاونة او من الايزار وهي الاعانة
وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان فازره كاجره في آجره فاستغلظ
فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه

جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بكثافته
وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا
في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس
ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما
فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عنه من قرا سورة
الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وآيها ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين
آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم
الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم رأسا او لا تتقدموا
ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا
وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار مما
بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه
والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله
وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله

واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم
بافعالكم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم فوق صوته ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا
اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب و
قيل معناه لا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه
بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة
في الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادى وزيادة الاهتمام
به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان
تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان في الجهر
والرفع استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم
اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن
قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله
فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه
الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال ع

لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون
انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله
مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر
بعد ذلك اسرا حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى
خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف
او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف
الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها
للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة
لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم
والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا
لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدا اسم الاشارة
المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دالة على بلوغهم
اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا
بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك .

ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن
ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة
على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد ان يختلف المبتدأ والمنتهى بالجهة وقرئ
الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة
بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة
والقبضة والمراد حجرات النبي وفيها كناية عن خلوته بالنساء
ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها
او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى
الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس
وفدا على رسول الله في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو
راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم
لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون
اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا
المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم
حتى تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها

على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون
مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول
اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها
عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى
يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من
الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء
والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني
العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على
النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي
انه عليه السلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه
وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع
وقال لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت
وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة
متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ

وتعليق الأمر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل
من حيث إن المعلق على شيء بكلمة إن عدم عند عدمه وأن خبر الواحد
لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق إذ الترتيب يفيد
التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا
أي فتوقفوا إلى أن يتبين لكم الحال أن تصيبوا كراهة إصابتكم قوماً
بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين
مغتمين غماً لازماً متمنين أنه لم يقع وتركيب هذه الأحرف الثلاثة
دائر مع الدوام واعلموا أن فيكم رسول الله أن بما في حيزه ساد
مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم
في كثير من الأمر لعنتم فإنه حال من أحد ضميري فيكم ولو جعل استئنافاً لم
يظهر للأمر فائدة والمعنى أن فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي
أنكم تريدون أن يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم أي لوقعتم
في الجهد من العنت وهو إشعار بأن بعضهم أشار إليه بالإيقاع ببني
المصطلق وقوله ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم
وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم

وهو أنه من فرط حبهم الإيمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما
سمعوا قول الوليد أو بصفة من لم يفعل ذلك منهم إحماداً لفعلهم وتعريضاً
بذم من فعل ويؤيد الأول أولئك هم الراشدون أي أولئك المستثنون
هم الذين أصابوا الطريق السوي وكره يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد
فإذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل كره
منزلة مفعولين الكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج
عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلاً من الله ونعمة
تعليل لكره أو حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدون فإن الفضل
فعل الله والرشد وإن كان مسبباً من فعله مسند إلى ضميرهم أو مصدر
لغير فعله فإن التحبيب والرشد فضل من الله وإنعام والله عليم
بأحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم
بالتوفيق عليهم وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا
والجمع باعتبار المعنى فإن كل طائفة جمع فأصلحوا بينهما بالنصح
والدعاء إلى حكم الله فإن بغت إحداهما على الأخرى تعدت عليها
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ترجع إلى حكمه أو ما أمر به

وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها
من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما
بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة
الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا في كل الامور
ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت
في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده ع م بالسعف والنعال وهي
تدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في
الحديث لانه فيء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد
تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة من حيث
انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية
وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه
بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا
الى المامورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين
بالذكر لان اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين
الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله

في مخالفة

في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين
امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من
نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات
من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر و
القوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع
او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال
كما قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلتين
كقوم فرعون وعاد فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال
عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب
في المجامع وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها
لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على
هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم ولا يعب بعضكم بعضا
فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من
فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ
يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدعو بعضكم بعضا

بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روى ان الاية نزلت فى صفية بنت حيى اتت رسول الله فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابى هرون وعمى موسى وزوجى محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهى عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط فى كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه من اى القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن فى الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستأنف للامر والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة

عليه والهمزة فيه بدل من الواو كانه يثم الاعمال اى يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذى هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل عليه السلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وقرأ نافع

واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط
منه والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل
صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي
ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله يبغي لهما اداما
وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا
لو بعثناه الى سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله فقال
لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما
قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من ادم
وحوا او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه
للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الا
غتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون
الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة
تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة
شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس
فصيلة الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف

بعضكم بعضا لا للتفاخر بالاباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام و
لتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى بها
تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال
من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس
انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على
الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا
نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا
الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله اتيناك بالاثقال و
العيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة
ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة واطمانينة
قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على رسول الله بالاسلام وترك
المقاتلة كما دل عليه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان
الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين وترك
المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا امنا ولكن
قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم

احترازا من النهي عن القول بالإيمان والجزم بإسلامهم وقد فقد
شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم توقيت لقولوا فإنه
حال من ضميره أي ولكن قولوا أسلمنا ولم تواطئ قلوبكم ألسنتكم بعد
وإن تطيعوا الله ورسوله بالإخلاص وترك النفاق لا يلتكم من
أعمالكم لا ينقصكم من أجورها شيئا من لاته ليتا إذا نقصه وقرأ
البصريان لا يألتكم من الألت وهو لغة غطفان إن الله غفور
لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم إنما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه
إذا أوقعه في الشك مع التهمة وفيه إشارة إلى ما أوجب نفي
الإيمان عنهم وثم للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في
اعتبار الإيمان ليس حال الإيمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهي كما في
قوله ثم استقاموا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله في
طاعته والمجاهدة بالأموال والأنفس تصلح للعبادات المالية
والبدنية بأسرها أولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء
الإيمان قل أتعلمون الله بدينكم أتخبرونه به بقولكم آمنا والله يعلم

ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية
وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤوا
وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك أن أسلموا
يعدون إسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها
ممن يزلها إليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها قطع الحاجة
وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي إسلامكم بإسلامكم
فنصب بنزع الخافض أو تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن
عليكم أن هداكم للإيمان على ما زعمتم مع أن الهداية لا تستلزم
الاهتداء وقرئ إن هداكم بالكسر وإذ هداكم إن كنتم صادقين
في ادعاء الإيمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أي فلله المنة
عليكم وفي سياق الآية لطف وهو أنهم لما سموا ما صدر عنهم
إيمانا ومنوا به فنفى أنه إيمان وسماه إسلاما بأن قال يمنون
عليك بما هو في الحقيقة إسلام وليس بجدير أن يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم
الإيمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم إن الله يعلم غيب
السماوات والأرض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم.

فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما في الآية من
الغيبة وعنه من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله
ورسوله وعصاه سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر في ص
والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب أو لأنه كلام المجيد أو
لأن من علم معانيه وامتثل أحكامه مجد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم
إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم أحد من جنسهم أو من أبناء
جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا
إشارة إلى اختيار الله محمدا للرسالة وإضمار ذكرهم ثم إظهاره للإشعار
بتعنتهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك أو عطف لتعجبهم
من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر
موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما إن كانت الإشارة إلى مبهم يفسره
ما بعده أو مجملا إن كانت الإشارة إلى محذوف دل عليه منذرهم ثم فسره
أو تفصيله أي تفصيل الإجمال في الإنكار إذ الأول استبعاد لأن يفضل
عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله عما هو أهون مما يشاهدون

من صنعه

من صنعه أئذا متنا وكنا ترابا أنرجع إذا متنا وصرنا ترابا
ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد عن الوهم أو العادة
أو الإمكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الأرض
منهم ما تأكل من أجسادهم وهو رد لاستبعادهم بإزاحة ما هو الأصل
فيه وقيل هو جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب
حفيظ حافظ لتفاصيل الأشياء كلها أو محفوظ عن التغير والمراد
إما تمثيل علمه بتفاصيل الأشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه
أو تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ بل كذبوا بالحق
يعني النبوة الثابتة بالحق أو النبي أو القرآن لما جاءهم وقرئ
لما بالكسر فهم في أمر مريج مضطرب من مرج الخاتم في إصبعه إذا مرج
وذلك قولهم تارة إنه شاعر وتارة إنه ساحر وتارة إنه كاهن
أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى السماء فوقهم إلى آثار قدرة الله
في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب
وما لها من فروج فتوق بأن خلقها ملساء متلاصقة
الطباق والأرض مددناها بسطناها وألقينا فيها رواسي

جبالا ثوابت وأنبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى
لكل عبد منيب راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنعه وهما علتان للأفعال
المذكورة معنى وإن انتصبتا عن الفعل الأخير ونزلنا من السماء ماء
مباركا كثير المنافع فأنبتنا به جنات أشجارا وأثمارا وحب الحصيد وحب
الزرع الذي من شأنه أن يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا
أو حوامل من أبسقت الشاة إذا حملت فيكون من أفعل فهو فاعل وإفرادها
بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لأجل القاف
لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما
فيه من الطلع رزقا للعباد علة لأنبتنا أو مصدر فإن الإنبات رزق
وأحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا أرضا جدبة لا نماء فيها كذلك
الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم كذبت
قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون أراد بفرعون
إياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده وإخوان لوط سماهم إخوانه لأنهم كانوا أصهاره
وأصحاب الأيكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل أي كل واحد
أو قوم منهم أو جميعهم وإفراد الضمير لإفراد لفظه فحق وعيد فوجب

وحل

وحل عليه وعيدي وفيه تسلية للرسول وتهديد لهم أفعيينا بالخلق الأول
أفعجزنا عن الإبداء حتى نعجز عن الإعادة من عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه
عمله والهمزة فيه للإنكار بل هم في لبس من خلق جديد أي هم لا ينكرون
قدرتنا على الخلق الأول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما
فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه والإشعار
بأنه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الإنسان ونعلم
ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة
الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما إن جعلت موصولة والباء
مثلها في صوت بكذا أو للإنسان إن جعلت مصدرية والباء للتعدية
ونحن أقرب إليه من حبل الوريد أي ونحن أعلم بحاله ممن كان أقرب إليه
من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لأنه موجبه وحبل
الوريد مثل في القرب قال والموت أدنى من الوريد والحبل العرق
وإضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق
في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل سمي وريدا
لأن الروح ترده إذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر أو متعلق بأقرب

اي هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان
بانه غني عن استحفاظهما فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى
عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد تثبط العبد
عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام
الحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين
قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه كقوله فاني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد
والمتعدد كالفعول ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه الا لديه
رقيب ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب
عليه ما فيه ثواب او عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات على يمين
الرجل فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة
قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر
وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح
ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب
عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ

الملكي

الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك
جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود
الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان
خلق له او مثل الباطن الجلي وقرئ سكرة الحق بالموت
على انها لشدة اقتضائها الزهوق او لاستعقابها له كانها جاءت
به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها
اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد
تميل وتفر عنه والخطاب للانسان ونفخ في الصور يعني نفخة البعث
ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه
والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان
احدهما يسوقه والاخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل
السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه
او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال
من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من
هذا على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغاله

ما عن الآخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور
المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور النظر
عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب
للنبي والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة
بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا
يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس
وقال قرينه الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب
عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكي
عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة
فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف
القيا في جهنم كل كفار عنيد خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين
من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل
كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا
او الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده
انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير

كثير المنع

كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام
فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه معتد
متعد مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر
مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل
من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتاكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه
قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما استؤنفت
الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا
ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته
بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على
الجمع بين مفهوميها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه
ولكن كان في ضلال بعيد فاعنته عليه فان اغواء الشيطان
انما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلا الى الفجور كما قال وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اي الله لا تختصموا
لدي اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول وقد
قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم

بحاله وهو كالتعليل للنهي اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والبا
مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا
والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدي اي بوقوع الخلف فيه
فلا تطمعوا ان يبدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لاسباب ليس من
التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام
للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلات و
تقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير والمعنى
انها مع اتساعها يطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلي
لقوله لاملان جهنم او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها
وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة
كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد
اما مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف
لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت
الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا
وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيئا غير بعيد او على زنة المصدر

اولان

اولان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشا
الى الثواب او مصدر ازلفت وقرئ بالياء لكل اواب رجاع الى الله
بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشي الرحمن
بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا
يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدا خبره ادخلوها على
تاويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل
او المفعول او صفة لمصدر اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه
وهو غائب او العقاب بعد غيبا او هو غائب عن الاعين لا يراه احد
وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه او
بانهم يخشون خشيتهم مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب
بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام سالمين من العذاب
وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود
يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين لهم ما يشاءون فيها و
لدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا

فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا
فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب
وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه
هل من محيص اي لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل
مكة اي ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى
يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ
فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير
حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في هذه
السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب قلب واع يتفكر في حقائقه
او القى السمع او اصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه
او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير
القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر لا يتدبر ولقد
خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام تفخيم ... وما
مسنا من لغوب من اعيا وهو رد لما زعمت اليهود من
انه بدا خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح

يوم السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون
من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعيا قدر على
بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح
بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكنه والوصف بما يوجب التشبيه
حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل
فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات
جمع دبر وقرا الحجازيان وحمزة بالكسر من ادبرت الصلاة اذا
انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل الطلوع الصبح
وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد
وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات واستمع لما اخبرك به من احوال القيمة
وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به يوم ينادي المناد اسرافيل او جبرئيل
فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة
والاوصال المتقطعة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضا
من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على سوا ولعله في الاعادة

نظير كن في الايجاد ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون
الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة
والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسما
يوم القيمة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا المصير
للجزاء في الاخرة يوم تشقق تتشقق وقرا الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف
الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير
هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم
القادر لذاته الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية للرسول
وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان
او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقران من يخاف وعيد
فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت
وسكراته

سورة الذاريات مكية وآيها ستون بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولود
فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة

وغيرهم

وغيرهم وقرا ابو عمرو وحمزة بادغام التا في الذال فالحاملات وقرا فالسحب
الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل
او اسباب ذلك وقرئ على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا
فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية في مهابها او
الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اي
جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من الامطار
والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح
يقسمن الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة
فالفا لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة
على كمال القدرة والا فالفا لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو
الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له
الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين
لواقع جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشيا
العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث
الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزا والواقع الحاصل

والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة
التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار وتتوصل بها
الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشى
طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل
وقرئ الحبك بالسكون كالقفل والحبك كالابل والحبك كالحبل والحبك
كالنعم والحبك كالسلك والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف في
الرسول وهو قولهم انه شاعر او ساحر او مجنون او في
القران او في القيمة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه
اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات في تباعدها
واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف عنه الضمير للرسول او القران
او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه وكانه لا صرف بالنسبة اليه
او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على
معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله
ينهون عن اكل وعن شرب اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ
افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس

عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف
واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم
ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين فيقولون متى
يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون
يحرقون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم
على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه
قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا العذاب هذا الذي
كنتم به تستعجلون في هذا العذاب الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان
يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين في جنات و
عيون اخذين ما اتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه
ان كل ما اتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك
محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا
قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون
في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة
اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية

لا انه يصدها لا يكون فيها قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم
ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الفرار
من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم
وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم
الجرائم وفي بنا الفعل على الضمير اشعار بانهم احقا بذلك لوفور علمهم
بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا
الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف
الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض ايات للموقنين
اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو
وارتفاع بعضها عن الما واختلاف اجزائها في الكيفيات
والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته
ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم وفي انفسكم ايات اذ ما في
العالم شي الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد
به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن
من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع

الكمال

الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السما رزقكم
اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسما السحاب وبالرزق المطر
فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السما
السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السما وقيل انه
مستانف خبره فورب السما والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى
الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الايات والرزق والوعد
مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون
ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن
في لحق او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل
انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت
بمعنى شي وان بما في حيزه ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة
لحق ويؤيده قراة حمزة والكسائي وابو بكر بالرفع هل اتاك حديث
ضيف ابراهيم فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه و
الضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل
كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلاثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وسماهم .

ضيفا

ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين مكرمين عند الله او عند
ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف
او المكرمين فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما قال سلام اي عليكم سلام
عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم
وقرئا مرفوعين وقرا حمزة والكسائي قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى
واحد قوم منكرون اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو
ادم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كا
لتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه
فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف
او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان عامة ماله البقر فقربه
اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تاكلون اي منه وهو مشعر بكونه
حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان
قاله اول ما وضعه وللانكار ان قاله حيث راى اعراضهم فاوجس
منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما راى اعراضهم عن طعامه لظنه
انهم جاؤا لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا
لا تخف

انا رسل الله وقيل مسح جبرائيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق
بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحق عليم يكمل علمه
اذا بلغ فاقبلت امراته سارة الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم
في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان
اول فاقبلت باخذت فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع
جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها
من الحيا وقالت عجوز عقيم انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك
مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك وانما نخبرك عنه انه هو الحكيم
العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون
لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنه
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط لنرسل عليهم
حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة
من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهي العلامة عند ربك
للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور فاخرجنا من كان فيها في قرى
لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين ممن امن
بلوط

فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل به
على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا
صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما
لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة وتركنا فيها اية
علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهي
تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن وفي موسى عطف
على وفي الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها
تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته
كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان كقوله وناى بجانبه
او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء
ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر او مجنون كانه جعل
ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك
باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم ات بما يلام عليه من الكفر
والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا

عليهم

عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم
او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر
من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد وهو من
الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين
تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا
عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب بعد الثلاث وقرا
الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها
جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم
جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا
منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح لان
ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل وفي
عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل من قبل
هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة
بالكفر والعصيان والسماء بنيناها باييد بقوة وانا لموسعون لقادرون
من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون

او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها
لتستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء من الاجناس
خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص
الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا
الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة
اني لكم منه من عذابه المعد لمن لم يفر اليه نذير مبين بين
كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا
مع الله الها اخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه اني لكم منه نذير
مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة
والثاني على الاشراك كذلك الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم
الرسول وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم
من رسول الا قالوا ساحر او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه
باتى او بما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا
به اي كان الاولين والاخرين منهم اوصى بعضهم بعضا
بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن

ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا
القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن
مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد
فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ وذكر
ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من
قدر الله ايمانه او من امن فانها تزيده بصيرة وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة
مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على
ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرانا
لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لامرهم بالعبادة
او ليكونوا عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون
اي ما اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين
له والمامورين بتحصيله والمراد ان يبين ان شانه مع عباده ليس شان
السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل
معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسالكم عليه اجرا

ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه
عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ
المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا للذين
ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم
مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة
السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا
يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل
للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيامة او يوم
بدر عنه عم من قرا والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح
هبت وجرت في الدنيا سورة الطور مكية وآيها تسع او ثمان
واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد طور سينين
وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله والطور بالسريانية الجبل او ما طاح
من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم
الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة
والمراد به القرآن او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او الواح

موسى او في قلب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة في رق
منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب
وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين
الناس والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين
او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة
او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعني
السماء والبحر المسجور المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا
البحار سجرت روي ان الله يجعل يوم القيامة البحار نارا يسجر بها
جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع
لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها
على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق
اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا
تضطرب والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل التحرك في تموج
وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء
فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم

في خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا
يدفعون اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع
نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعا
فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين يوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول
مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي فيقال لهم ذلك
افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر فهذا المصداق ايضا
سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون
هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم
ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث قلتم انما سكرت
ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه
شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي
الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء
فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيان
في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم اي في اية جنات واي
نعيم مخصوص بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما اتاهم

ربهم

ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب
الجحيم عطف على اتاهم ان جعل ما مصدرية او في جنات او حال باضمار قد
من المستكن في الظرف او الحال او من فاعل اتى او مفعوله او منهما كلوا
واشربوا هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا
تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل
هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة
مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج من معنى الوصل و
الالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج
من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف والذين امنوا على
حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدا خبره
الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل
وقرا ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة في كثرتهم
وللتصريح فان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرا ابو عمرو واتبعناهم
ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال
من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفي

للالحاق المتابعة في اصل الايمان ألحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة
او الدرجة لما روي انه عليه السلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن
في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ
نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما ألتناهم وما نقصناهم
من عملهم من شيء بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة
الآباء او باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم
وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت
وعن نافع لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت
ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان
عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعم يتنازعون
فيها يتعاطون هم وجلساؤهم تجاذبا كأسا خمرا سماها باسم محلها
ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم اي لا يتكلمون
بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة
الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأ ابن كثير

والبصريان

والبصريان بالفتح ويطوف عليهم بالكأس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون
بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف
من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على
الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم على
بعض يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا
كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته
او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة او التوفيق ووقانا
عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ
ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا نعبده
او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة وقرأ نافع والكسائي
انه بالفتح فذكر فاثبت على التذكير ولا
تكترث بقولهم فما انت بنعمت ربك بحمد الله وانعامه بكاهن
ولا مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
ما تقلق به النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول
من منه اذا قطعه قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص

هل لكم كما انتم يعنون هل لكم ام تأمرهم احلامهم عقولهم بهذا بهذا

التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون

مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى

ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم

طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله

اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم

وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن ان كانوا صادقين

في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي

ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام

خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك

لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد

الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله

ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الآيات منقطعة ومعنى

الهمزة فيها للانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن

خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا

عن عبادته

عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة

من شاؤوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته

ام هم المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤوا وقرئ

بالسين وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد

بين الصاد والزاي والباقون بالصاد خالصة ام لهم سلم مرتقى

الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم

من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان

مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون

فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء

فضلا ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيتطلع على الغيوب ام تسألهم

اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون

محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب

اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون

كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله فالذين كفروا يحتمل

العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم

والدلالة على انه لا يعجب لكم ام المنكر منهم المكيدون هم الذين
يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون
في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه
سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركونه وان يروا
كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا لفرط طغيانهم وعنادهم
سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم
فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه
يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم
يصعقون على البناء للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم
كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون
من عذاب الله وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا
دون ذلك دون ما ادخر لهم في الاخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة
في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذلك واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا
في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة

بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من
منامك او الى الصلاة ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على
النفس وابعد عن الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل
وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ بالفتح
اي في اعقابها اذا غربت او خفيت عنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الطور كان حقا على
الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته سورة النجم مكية
وايها اثنان او ثنتان وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم
والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب
قبله اذا غرب او انتثر يوم القيامة او انقض او طلع فانه يقال
هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد
او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض
او اذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد عن
الطريق المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا
والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه
بالقرآن عن الهوى ان هو اي ما القرآن او الذي ينطق به .

الا وحي يوحى لا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد
له واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما
يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي
علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه
الواسطة في ابدا الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى
السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة
في رايه وعقله فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه
الله عليها قيل ما راه احد من الانبيا في صورته غير محمد عليه السلام مرتين مرة
في السما ومرة في الارض وقيل استولى بقوته على ما جعل له من
الامر وهو بالافق الاعلى افق السما والضمير لجبريل
ثم دنا من النبي فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم
تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج
به غير منفصل عن محله وتقرير لشدة قوته فان التدلي استرسال
مع التعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى
دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان جبريل [illegible]

الا ان او المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم
كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه
لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل الى عبده عبد الله
واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبريل
وفيه تفخيم للوحي او الله اليه وقيل الضمائر كلها لله وهو المعني
بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه
برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس ما
كذب الفؤاد ما راى ما راى ببصره من صورة جبريل او الله اي ما كذب
بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم
تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك ولو قال ذلك
كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره وقيل ما راه بقلبه والمعنى
لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه سئل عليه السلام هل رايت ربك فقال
رايته بفؤادي وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك فيه
افتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة
واشتقاقه من مري الناقة فان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه

وقرا الكوفيون غير عاصم ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه في المراء
من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى التضمين
الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة
الخصم ولقد رآه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام
المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة
كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره
ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي
الريبة عن المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها
علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها
ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في
ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة عندها جنة المأوى
الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة
ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها
عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها
ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوز

بل

بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب
التي امر برؤيتها وما جاوزها لقد راى والله لقد راى من آيات ربه
الكبرى اي والله لقد راى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية
والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما راى ويجوز ان
تكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اي شيئا من
آيات ربه او من مزيدة افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او
لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها
اي يطوفون وقرا هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب اللات
بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق
بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها
فبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها واصلها تانيث
الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي
فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين
ومنه منى وقرا ابن كثير ومناءة وهي مفعلة من النوء كانهم يستمطرون

الاولى عندهما بتركها وقيل هما للثلاثة صفتان للتاكيد
كقوله يطير بجناحيه الا لاخرى لها التاخر في الرتبة الكم الذكر وله
الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها
جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرايتم
اذا تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون
منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم اليا
كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم تات وصفا وقرا ابن كثير
بالهمزة من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسما
الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسما تطلقونها عليها
لانكم تقولون انها الهة وليس فيها شي من معنى الالوهية او للصفة
التي تصفونها بها من كونها الهة وبنات وشفعا او للاسما المذكورة
فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف
على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق
ان يتقرب بها اليها سميتموها انتم واباؤكم
بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون

وقوله

وقوله بالتبا الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا
وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى
الرسول او الكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في
شفاعة الالهة وقولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
وقولهم لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين ونحوهما
فلله الاخرة والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان
يتحكم عليه في شي منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا
وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من
بعد ان ياذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة ان يشفع
او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف يشفع
الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة
اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموهم بنات وما لهم به من علم
اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او بالتسمية ان يتبعون
الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذي

هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف
الحقيقية فانما العبرة في العمليات او ما كان وصلة اليها فاعرض
عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا فاعرض عن دعوته
والاهتمام بشأنه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك
في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة
الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي امر الدنيا او كونها شهوته
مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور
هممهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم
بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن
لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد
بلغت ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ليجزي الذين
اساءوا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا
من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق الله العالم وسواه للجزاء
او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك ويجزي
الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهو الجنة او بسبب الاعمال

او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من
الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرأ حمزة
والكسائي كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر
خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر
والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع
على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر
باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما شاء من الذنوب صغيرها وكبيرها
ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب
الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله هو اعلم بكم اعلم
باحوالكم منكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون
امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب
بخلق ادم وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا
عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل
هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم
من صلب ادم افرأيت الذي تولى عن اتباع الحق والثبات عليه

وأعطى قليلا وأكدى وقطع العطاء من قولهم أكدى الحافر إذا بلغ الكدية
وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والأكثر على أنها نزلت في الوليد بن
المغيرة كان يتبع رسول الله ﷺ فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الأشياخ
وضللتهم فقال أخشى عذاب الله فضمن أن يتحمل عنه العذاب إن
أعطاه بعض ماله فارتد وأعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي أعنده علم
الغيب فهو يرى يعلم أن صاحبه يتحمل عنه أم لم ينبأ بما في صحف موسى
وإبراهيم الذي وفى وفر وأتم ما التزمه أو أمر به أو بالغ في الوفاء بما عاهد
الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى
أتاه جبرائيل عليه السلام حين يلقى في النار فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا
وذبح الولد وأنه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فإن وافقه أكرمه
وإلا نوى الصوم وتقديم موسى لأن صحفه وهي التوراة كانت أكثر وأشهر عندهم
ألا تزر وازرة وزر أخرى أن هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في
محل الجر بدلا مما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأنه قيل
ما في صحفهما فأجاب به والمعنى أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يخالف
ذلك قوله كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض

فكأنما

فكأنما قتل الناس جميعا وقوله من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل
بها إلى يوم القيامة فإن ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره وأن
ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى إلا سعيه أي كما لا
يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الأخبار أن الصدقة
والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه ثم يجزاه الجزاء
الأوفى أي يجزى العبد سعيه بالجزاء الأوفى فنصب بنزع الخافض
ويجوز أن يكون مصدرا وأن يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء
بدله وأن إلى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على أنه
منقطع عما في الصحف وكذا ما بعده وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات
وأحيا لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره فإن القاتل ينقض البنية والموت
يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة وأنه خلق الزوجين الذكر
والأنثى من نطفة إذا تمنى تدفق في الرحم أو تخلق أو يقدر
منها الولد من منى إذا قدر وأن عليه النشأة الأخرى الإحياء
بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاءة بالمد وهو
أيضا مصدر نشأه وأنه هو أغنى وأقنى وأعطى القنية وهي ما تأثل من المال

وافراده لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية
وانه هو رب الشعرى يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة
احد اجداد الرسول وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون
الرسول ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه وان وافق ابا كبشة
في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء
لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وقيل عادا الاولى قوم هود وعاد الاخرى
ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرا
نافع وابو عمرو وكذلك مع جعل الهمزة واوا وعاد الولى بادغام التنوين في اللام
وثمود عطف على عاد لان ما بعده لا يعمل فيه وقرا عاصم وحمزة بغير تنوين
ويعقوب فما ابقى الفريقين وقوم نوح اي واهلك معطوف عليه من قبل
من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه
وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة والقرى
التي ائتفكت اهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها
فقلبها فغشاها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباي آلاء ربك
تتمارى تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما

ونقما سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين
والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا نذير من النذر الاولى هذا القرآن انذار
من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين
ازفت الآزفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة
ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت
الا الله لكنه لا يكشفها او الآن بتاخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها
الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر
كالعافية افمن هذا الحديث يعني القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء
ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد
البعير في مسيره اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه
من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه دون الالهة
عنه صلى الله عليه وسلم من قرا النجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به
بمكة سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سالوا رسول الله آية فانشق
وقيل معناه سينشق القمر يوم القيامة ويؤيده انه قرئ وقد انشق القمر

اما قربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقيل وان يروا آية
يعرضوا عن تأملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على
انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او
محكم من المرة يقال امره فاستمر اذا احكمه فاستحكم او مستبشع من استمر اذا
اشتد مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين
لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار
بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان
او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غاية
ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على
انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من الانباء
انباء القرون الخالية او انباء الآخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب
او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب
وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها
وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة
او مخصصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام

انكار

انكار اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر
بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع
اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط
الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار
اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول
القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خشعا
ابصارهم يخرجون من الاجداث يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم
من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة
على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك
ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل
وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا كانهم
جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين
الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول
الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل
قومك فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه

كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن
مكذب او كذبوه بعدما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر
وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اي هو مجنون
وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني باني وقرئ بالكسر على ارادة
القول مغلوب غلبني قومي فانتصر فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه
منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا
عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب
السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها
وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض
عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون
الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماءان
لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر
على حال قدرها الله في الازل من غير تفاوت او على حال قدرت
وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره
الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح

ذات

ذات الواح اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر
وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث
انها كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظا بحفظنا
جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها
فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف
الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها
اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر فهل من
مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا و
الادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم و
وعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن سهلناه
او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار و
الاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالا
ختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت عاد
فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله
او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا

ريحا صرصرا

او عاتيا لعتو في يوم نحس شؤم مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى
اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احد او اشتد
مرارته وكان يوم الاربعاء اخر الشهر تنزع الناس تقلعهم
روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم
الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع
عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح
طيرت رؤوسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ
والتانيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابي ونذر
كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق
بهم في الاخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من
مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات والمواعظ او الرسل فقالوا
ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه
بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام
واحدا منفردا لا تبع له او من احادهم دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفي
ضلال وسعر

جمع

جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك
اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة االقي الذكر الكتاب
والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب
اشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول
العذاب بهم او يوم القيامة من الكذاب الاشر الذي حمله اشره على
الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه وقرئ
ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ
الاشر كقولهم حذر في حذر والاشر اي الابلغ في الشرارة
وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها
فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون
واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها
يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه
في نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود
فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف
فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر

إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبرائيل فكانوا كهشيم المحتظر
كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها أو كالحشيش
اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء
أي كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا ريحا
تحصبهم بالحجارة أي ترميهم إلا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر
الليل أو مسحرين نعمة من عندنا إنعاما منا وهو علة لنجينا كذلك
نجزي من شكر نعمتنا بالإيمان والطاعة لله ولقد أنذرهم لوط
بطشتنا أخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشا
كين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا أعينهم
فمسحناها وسويناها بسائر الوجه روي أنهم لما دخلوا داره عنوة
صفقهم جبرائيل فأعماهم فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا
على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة
على أن المراد بها أول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى
يسلمهم إلى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن

للذكر

للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة إشعارا بأن تكذيب كل رسول
مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ
واستئنافا للتنبيه والإيقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة
وهكذا تكرير قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ
للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن
ذكره للعلم بأنه أولى بذلك كذبوا بآياتنا كلها أي الآيات التسع
فأخذناهم أخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا
معشر العرب خير من أولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة
أو مكانة عند الله أم لكم براءة في الزبر أم نزل لكم في الكتب
السماوية أن من كفر منكم فهو في أمان من العذاب أم يقولون
نحن جميع جماعة أمرنا مجتمع ممتنع لا نرام أو منتصر من الأعداء
لا نغلب أو متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ
الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر أي الأدبار وإفراده
لإرادة الجنس أو لأن كل واحد يولي دبره وقد وقع ذلك
يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر أنه لما نزلت قال لم أعلم ما هي.
الم

٢ منتصر

فلما كان يوم بدر رايت رسول الله يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع
فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم
في الدنيا فمن طلائعه والساعة ادهى اشد والداهية امر فظيع
لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين
في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الاخرة يوم يسحبون
في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا
حر النار والمها فان مسها سبب التالم بها وسقر علم لجهنم
ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء
خلقناه بقدر اي انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة
او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره
ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه
خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق
بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية
على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة
ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة

وقيل

وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا
اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه
في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور
في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة
او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضمتين جمع نهر كاسد واسد
في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى
امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام عن النبي من قرأ القمر
في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر
سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وايها ست او سبع او ثمان وسبعون
بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران لما كانت السورة مقصورة
على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو
اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقران وتنزيله
وتعليمه فانه اساس الدين ومنشا الشرع واعظم الوحي
واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق

لنفسه

للقصد ومصدر في الهام اتبعه ثم خلق الانسان علمه البيان
ايماء بان خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير
عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع
واخلاء الجمل الثلث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها
على نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر
في بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك امور الكائنات السفلية
وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب والنجم والنبات
الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر والذي له ساق
يسجدان ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد
من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر
واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان
له ليطابق ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا
عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال
العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به
من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء

رفعها

رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه
ومحل ملائكته وتنزل الوحي على الانبياء ووضع الميزان العدل بان
وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم
امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض او ما
يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف
السماء بالرفعة التي هي من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد
وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى
به الحقوق والمواجب الا تطغوا في الميزان لئلا تطغوا فيه اي لا
تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول
واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان
من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في
التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح
التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان
فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة
للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به

النخل ذات الاكمام اوعية الثمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف
وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والحب ذو العصف
كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس
كالتبن والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان
الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او
الريحان ذا الريحان فحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض والباقون
بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل
روحان قلبت واوه ياء للتخفيف فباي الاء ربكما تكذبان الخطاب
للثقلين المدلول عليهما بالانام وقوله ايها الثقلان خلق
الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي
له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب
جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه
من تراب ونحوه وخلق الجان الجن او ابا الجن من مارج
صاف من الدخان من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب
من مرج اذا اضطرب فباي الاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما

في اطوار

في اطوار خلقكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين
ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي الاء ربكما تكذبان
مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول
وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما من مرجت الدابة
اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران
ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان
يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان لا يبغي
احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق
ما بينهما فباي الاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر و
صغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول
انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا
كالشيء الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو
ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان فباي
الاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء
ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت .

المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اى الرافعات الشرع
او اللاتى ينشئن الامواج او السير فى البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل
الطويل فبأى آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها
وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من
عليها من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان
ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت
وجوهها وجدتها باسرها فانية فى حد ذاتها الا وجه الله اى الوجه الذى يلى جهته
ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأى آلاء ربكما تكذبان
اى مما ذكرنا قبل من بقاء الرب وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او
مما يترتب على فناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم يسأله
من فى السموات والارض فانهم مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر
ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشىء
نطقا كان او غيره كل يوم هو فى شأن كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا
على ما سبق به قضاؤه وفى الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما
ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا فبأى آلاء ربكما
تكذبان

اى مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان
اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد
مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك فان المتجرد للشىء كان اقوى عليه واجد
فيه وقرأ حمزة والكسائى بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم والثقلان الانس
والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما
مثقلان بالتكليف فبأى آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان
تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض
هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون
على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا
لتعلموا ما فى السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون
الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم فبأى آلاء ربكما تكذبان اى من
التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد
العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى يرسل
عليكما شواظ لهب من نار ونحاس دخان قال تضىء كضوء سراج السليط لم يجعل الله
فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة

ونحاس بالجر عطفا على نار وقرأ ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف
فلا تنتصران فلا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان فإن التهديد لطف والتمييز بين
المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فإذا انشقت السماء
فكانت وردة أي حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد
كقوله فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم كالدهان مذابة
كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام أو جمع دهن وقيل هو الأديم الأحمر فبأي
آلاء ربكما تكذبان أي مما يكون بعد ذلك فيومئذ أي فيوم تنشق السماء لا يسأل
عن ذنبه إنس ولا جان لأنهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم
ويحشرون إلى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم وأما قوله فوربك
لنسألنهم أجمعين ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للإنس باعتبار اللفظ فإنه
وإن تأخر لفظا تقدم رتبة فبأي آلاء ربكما تكذبان مما أنعم الله على عباده المؤمنين
في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي
والأقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالأقدام أخرى
فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها
بين النار يحرقون بها وبين حميم ماء حار آن بالغ النهاية في الحر يصب عليهم

او يسقون

أو يسقون منه وقيل إذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان
ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب أو قيامه على أحواله
من قام عليه إذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين فأضاف إلى
الرب تفخيما وتهويلا أو ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ذعرت به القطا ونفيت
عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الإنسي وأخرى للجني فإن
الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله
أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها
عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا
أفنان أنواع من الأشجار والثمار جمع فن أو أغصان جمع فنن وهي الغصنة
التي تتشعب من فرع الشجرة وتخصيصها بالذكر لأنها التي تورق وتثمر وتمد
الظل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاؤوا في الأعالي و
الأسافل قيل إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما
من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف أو رطب ويابس فبأي آلاء ربكما تكذبان
متكئين على فرش بطائنها من إستبرق من ديباج ثخين وإذا كانت البطائن كذلك
فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين أو حال منهم لأن من خاف في معنى الجمع.

وجنا الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان جنتان تدل على جنان هي للخائفين او فيما
فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة
والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
لم يمس الانسيات انس ولا الجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم فبأي
آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان اي في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما
فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب وهو الجنة
فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين
جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان
تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين
الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار
والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما
عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما
بعده فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة
بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء

ايوم

اليوم ... فخففت لان خيرا الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل فبأي آلاء ربكما تكذبان
حور مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف
على ازواجهن فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور الاولين
وهم لاصحاب الجنتين فانهما تدل عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على
رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة
وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان العبقري
منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد
الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث
انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى
الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم
عنه عليه السلام من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه سورة الواقعة مكية وآيها
ست وتسعون بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة
لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة

اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب في نفيها كما تكذب الان واللام مثلها
كما في قوله قدمت لحياتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صادق او
ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من
قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه
خافضة رافعة تخفض قوما وترفع اخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع
العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة
الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال
اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف
متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت كالسويق
الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها
فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف
اخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة
فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم
بالشمائل او اصحاب الميمنة والمشامة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم
وشمائلهم او اصحاب اليمن والشوم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم

والكتبنا

والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما
باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون
والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او
سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدمو اهل الاديان
هم الذين عرفت حالهم وعرفت مالهم كقول ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا
الى الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت
مراتبهم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين اي هم كثير من الاولين يعني الامم
السالفة من لدن ادم الى محمد وقليل من الاخرين يعني امة محمد عليه السلم ولا يخالف ذلك
قوله عليه السلم ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقو سائر الامم اكثر
من سابقي هذه الامة وتابعو هذه الامة اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله
في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين لان
كثرة الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة
واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر اخر للضمير المحذوف والموضونة
المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو
نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على يطوف عليهم

[illegible] ولدان مخلدون مبقون أبدا على هيئة الولدان وطراوتهم بأكواب وأباريق
حال الشرب وغيره والكوب إناء لا عروة له ولا خرطوم له والإبريق إناء له ذلك
وكأس من معين من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم أو لا
ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاي وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون أي لا يتفرقون
وفاكهة مما يتخيرون يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف
على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أي وفيها أو ولهم حور عين وقرأ حمزة
والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف أي هم في جنات ومصاحبة
حور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب
ينعمون بأكواب وقرئ بالنصب على ويؤتون حورا كأمثال اللؤلؤ المكنون
المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون أي يفعل ذلك كله بهم
جزاء بأعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة إلى الإثم
أي لا يقال لهم أثمتم إلا قيلا إلا قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله
لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما أو صفته أو مفعوله بمعنى إلا أن
يقولوا سلاما أو مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم
وقرئ سلام على الحكاية وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود

لا شوك

لا شوك فيه من خضد الشوك إذا قطعه أو مثنى أغصانه من كثرة حمله من خضد
الغصن إذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة
طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من أسفله إلى أعلاه وظل
ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم أين شاؤوا
وكيف شاؤوا بلا تعب أو مسكوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين في التنعم بأكمل
ما يتصور لأهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه أهل البوادي
إشعارا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الأجناس لا مقطوعة
لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة ولا يمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة
القدر أو منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها أنها على الأرائك
ويدل عليه قوله إنا أنشأناهن إنشاء أي ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا
من غير ولادة إبداء أو إعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار
الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد
كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فجعلناهن أبكارا عربا متحببات
إلى أزواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروي عن نافع وعاصم مثله
أترابا فإن كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا أزواجهن لأصحاب اليمين

متعلق بأنشأنا أو جعلنا أو صفة لأبكارا أو خبر لمحذوف مثل هن أو لقوله ثلة
من الأولين وثلة من الآخرين وهي على الوجه الأول خبر محذوف وأصحاب الشمال ما
أصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل
من يحموم من دخان أسود يفعول من الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم و
لا نافع نفى بذلك ما أوهم الظل من الاسترواح إنهم كانوا قبل ذلك مترفين
منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك
ومنه بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه
خلاف بر فيها وتحنث إذا تأثم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا و
عظاما أئنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على إنكار البعث مطلقا
وخصوصا في هذا الوقت كما دخلت العاطفة في قوله أوآباؤنا الأولون
للدلالة على أن ذلك أشد إنكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل
بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر أو بالسكون
وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بإن
والهمزة قل إن الأولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون إلى ميقات يوم معلوم
إلى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له ثم إنكم أيها الضالون

المكذبين بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم لآكلون من شجر من زقوم من
الأولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون
عليه من الحميم لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على المعنى
واللفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فإنه تفسيرها فشاربون
شرب الهيم الإبل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء قال
قال ذو الرمة فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها
وقيل الرمال على أنه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم
ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر
من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شرب بضم الشين هذا نزلهم
يوم الدين فما ظنك بما يكون لهم بعدما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله
فبشرهم بعذاب أليم لأن النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم با
لتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق
بالأعمال الدالة عليه أو بالبعث فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة
أفرأيتم ما تمنون ما تقذفونه في الأرحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى
النطفة بمعنى أمناها أأنتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا أم نحن الخالقون .

نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وقرا ابن كثير
بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين لا يغلبنا احد فيهرب من الموت او
يغير وقته او لا يلحقنا احد فيسبقنا على ذلك اذا غلبه عليه على ان
نبدل امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى الثاني صلة وما نحن
بمسبوقين اعني على الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم
فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا
تعلمون في خلق واطوار لا تعلمونها ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون
ان من قدر عليها قدر على النشاة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد
وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس افرايتم ما تحرثون
تبذرون حبه اانتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء
لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم
فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل
بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر
وظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
لهلاك رزقنا من الغرام وقرا ابو بكر اءنا على الاستفهام بل نحن قوم

محرومون

محرومون حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون افرايتم الماء الذي تشربون اي العذب
الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل المزن
السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت
بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج
فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن
معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما يقصد
لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد التاكيد فلولا تشكرون
امثال هذه النعم الضرورية افرايتم النار التي تورون تقدحون
ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن
جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما مر في سورة يس
او في الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين
للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم
من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك
فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم
صفة للكلام او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه

العظيم

اما لتنزيهه عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم
في غمط نعمه او للشكر على ما عدها من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح
من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم
فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه انه قرئ فلاقسم
او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب
لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تاثيره
او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها
وقرا حمزة والكسائي بموقع وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به
من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات
رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض
بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة انه
لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش
والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه
الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية
وهم الملائكة او لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث

فيكون نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون
والمطهرون والمطّهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او
غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة
للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث
يعني القرآن انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه
ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم شكركم انكم تكذبون بمانحه حيث تنسبونه
الى الانواء وقرئ شكركم اي شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به فلولا
اذا بلغت الحلقوم اي النفوس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول
المحتضر والواو للحال ونحن اقرب ونحن اعلم اليه الى المحتضر منكم
عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون
كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير مدينين اي مجزيين يوم القيامة او
مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب
للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف
والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتاكيد وهي بما
في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه

جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين في تعطيلكم لم ترجعون
الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين اى ان كان
المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة
لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة
نعيم ذات تنعم واما ان كان من المكذبين الضالين يعني اصحاب الشمال وانما
وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من
حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها ان
هذا اى الذي ذكر في السورة او في شان الفرق لهو حق اليقين اى حق الخبر
اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه
عنه ع من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا سورة الحديد

سورة الحديد مدنية وقيل مكية واياتها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض ذكر هنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة
والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان ما اسند اليه ان يسبحه في جميع
اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقا
في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء

وفي كل حال وانما عدي باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له في نصحته اشعارا بان
ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو
مبدا التسبيح له ملك السموات والارض فانه الموجد لها والمتصرف فيها
يحيي ويميت استئناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور في له وهو على كل شيء
من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير تام القدرة هو الاول السابق على سائر
الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها والاخر الباقي بعد فنائها
ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذي تبتدئ
منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات او الاول خارجا والاخر ذهنا والظاهر والباطن
الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول
او الغالب على كل شيء والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين
الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شيء عليم يستوي عنده
الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على
العرش يعلم ما يلج في الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما
ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم
لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه

ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض ذكره مع
الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها امنوا
بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم
الله خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم
في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين
امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة
ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير
وما لكم لا تؤمنون بالله وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما و
الرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اي عذر لكم
في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والايات وقد اخذ ميثاقكم اي
وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من
النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرا ابو عمرو على البناء للمفعول ورفع
ميثاقكم ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذي
ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم اي الله او العبد من الظلمات الى النور من ظلمات

الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم حيث نبهكم بالرسل
والايات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله فيما
يكون قربة اليه ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لاحد
مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان
اولى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت المنفقين
باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الافضل
منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف
لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر
اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا وعد الله
الحسنى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرا ابن
عامر وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله ليطابق ما عطف
عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه
والاية نزلت في ابي بكر فانه اول من امن وانفق في سبيل الله وخاصم
الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذي يقرض الله قرضا

حسنا

مثلا الذي ينفق ماله في سبيل الله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق
بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له فيعطي اجره
اضعافا له وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم
في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ
عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكانه قال
ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب
فيضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعف
او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين
ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين
بشراكم اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اي المبشر
به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة
يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا
انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا
فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم

وقرأ حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم
نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف
الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من
ثم يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو
تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين
بسور بحائط له باب يدخل منه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب
فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه
يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى
ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق اهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم
وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله اي الموت
وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء
وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأواكم
النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب
انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي
يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان قول القائل انه

لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس
المصير النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت
وقته يقال انى الامر يأني انيا واناء واناء اذا جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون
النون من آن يئين بمعنى انى والما يأن روي ان المؤمنين كانوا مجدبين
بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت
وما نزل من الحق القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين
على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع وحفص
ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب
من قبل عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة
اهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم
فطال عليهم الزمان بطول الاعمار او الآمال او ما بينهم وبين انبيائهم
فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون
خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا
ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحيا القلوب القاسية بالذكر

والتلاوة او لاحيا الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم
الآيات لعلكم تعقلون كي تكمل عقولكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين
والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين
صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل
في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدقوا وهو على الاول
للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم
ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان
وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين آمنوا بالله ورسله اولئك
هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي اولئك عند الله بمنزلة الصديقين
والشهداء او هم المبالغون في الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله
ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيامة.
وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم
ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير
تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا

وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم فيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار
من حيث أن التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا
اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال
والأولاد لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر أمور الدنيا أعني ما لا يتوصل به إلى
الفوز الآجل بأن بين أنها أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لأنها
لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جدا إتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة
ولهو يلهون به أنفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية
والمنازل الرفيعة وتفاخر بالأنساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله
كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو
تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى
وأعجب به الحراث أو الكافرون بالله لأنهم أشد إعجابا بزينة الدنيا ولأن
المؤمن إذا رأى معجبا انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها والكافر
لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه إعجابا ثم هاج أي يبس بعاهة فاصفر
ثم صار حطاما ثم عظم أمور الآخرة بقوله وفي الآخرة عذاب شديد تنفيرا
عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم أكد ذلك بقوله

ومغفرة

ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور أي لمن أقبل عليها
ولم يطلب الآخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة السابقين في المضمار إلى مغفرة
من ربكم إلى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أي عرضها كعرضهما
وإذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو
دعاء عريض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله وفيه دليل على أن الجنة
مخلوقة وأن الإيمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير إيجاب والله ذو الفضل
العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وإن عظم ما أصاب من مصيبة
في الأرض كجدب وعاهة ولا في أنفسكم كمرض وآفة إلا في كتاب إلا مكتوب
في اللوح مثبت في علم الله من قبل أن نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة أو
للأرض أو للأنفس إن ذلك إن ثبته في كتاب على الله يسير لاستغنائه
فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا أي أثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم
من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما أعطاكم الله منها فإن من علم
أن الكل مقدر هان عليه الأمر وقرأ أبو عمرو بما أتاكم من الإتيان
ليعادل ما فاتكم وعلى الأول فيه إشعار بأن فواتها يلحقها إذا خليت

وطبائعها وإما تصورها وبقاءها فلا بد لها من سبب يوجدها ويبقيها والمراد
منه نفي الأسى المانع عن التسليم لأمر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال
ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور إذ قل من يثبت نفسه حالي
الضراء والسراء الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فإن
المختال بالمال يضن به غالبا أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله
ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد لأن معناه ومن يعرض عن الإنفاق فإن
الله غني عنه وعن إنفاقه محمود في ذاته لا يضره الإعراض عن شكره ولا ينتفع
بالتقرب إليه بشكر من نعمه وفيه تهديد وإشعار بأن الأمر بالإنفاق
لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فإن الله الغني لقد أرسلنا رسلنا
أي الملائكة إلى الأنبياء أو الأنبياء إلى الأمم بالبينات بالحجج والمعجزات وأنزلنا
معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان ليسوى به الحقوق
ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط وإنزاله إنزال أسبابه والأمر
بإعداده وقيل أنزل الميزان إلى نوح ويجوز أن يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع
الأعداء كما قال وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد فإن آلات الحروب متخذة منه
ومنافع للناس إذ ما من صنعة إلا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله

باستعمال

باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله
فإنه حال يتضمن تعليلا أو اللام صلة لمحذوف أي أنزله ليعلم الله بالغيب
حال من المستكن في ينصره إن الله قوي على إهلاك من أراد إهلاكه عزيز
لا يفتقر إلى نصرة وإنما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه
ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بأن استنبأناهم
وأوحينا إليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية أو من
المرسل إليهم وقد دل عليه أرسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون
عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة
على أن الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم
أي أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى والضمير لنوح وإبراهيم ومن
أرسلا إليهم أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فإن الرسل المقفى بهم
من الذرية وآتيناه الإنجيل وقرئ بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل
لأنه أعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة وقرئ رآفة على فعالة
ورهبانية ابتدعوها أي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها أو رهبانية
مبتدعة على أنها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة

والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان
من خشي وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب و
ركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء
منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها
عليهم يعم ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع
العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضات الله وهو يخالف قوله
ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها
واتوا بها اولا لا انهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها
حق رعايتها اي فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة
والكفر بمحمد ونحوها اليها فاتينا الذين امنوا اتوا بالايمان الصحيح
وحافظوا حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد منهم من المتسمين باتباعه
اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين امنوا
بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وامنوا برسوله محمد
يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله
ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة

الاسلام

الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون
به يريد المذكور في قوله يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس
ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ
ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء لئلا يعلم اهل الكتاب
الا يقدرون على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون
شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله
وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا
ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصوا بها من ارادوا ويؤيده قوله
وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل
لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون
على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على لئلا يعلم
وقرئ ليلا ووجهه بان الهمزة حذفت وادغم النون في اللام ثم ابدلت ياء
وقرئ ليلا على ان الاصل في حروف الجر الفتح عنه من قرا سورة
الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسله **سورة المجادلة مدنية وقيل**
العشر الاول مكي والباقي مدني واياتها اثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله روي ان خولة بنت
ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله عليه السلام فقال
حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها
وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول والمجادلة
تتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة
والكسائي وابو عمرو وهشام عن ابن عامر الدال في السين والله يسمع تحاوركما
تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال
والاحوال الذين يظاهرون منكم من نسائكم الظهار ان يقول الرجل لامرأته
انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم
وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون
يتظهرون وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر ما هن
امهاتهم اي على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن
في الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول وعن
عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا
على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره

وزورا

وزورا محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور
لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظاهرون من نسائهم
ثم يعودون لما قالوا اي الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث
على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك
المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته
لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة باستباحة
استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند
الحسن بالجماع او بالظهار في الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى
يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري او بتكراره
لفظا وهو قول الظاهرية او بمعناه بان يحلف على ما قال وهو قول ابي مسلم او
الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة
فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة
على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان
عندنا قياسا على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل
من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها

وفيه دليل على حرمة الجماع قبل التكفير ذلكم ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به
لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ولتردعوا عنه والله
بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية فمن لم يجد الرقبة والذي غاب ماله
واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر بغير عذر
لزمه الاستيناف وان افطر بعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها
ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا للشافعي رحمه الله فمن لم يستطع الصوم
لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه قد لا يصبر على الجماع المفطر ان
يقدر على الصوم فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد بمد رسول الله وهو رطل
وثلث لانه اقل ما قيل في الحج في الفطرة وقال ابو حنيفة يعطي كل مسكين نصف
صاع من بر او صاعا من غيره وانما يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره
مع الاصوام او لجوازه في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة ذلك ذلك البيان
والتعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله
فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه
في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين الذين
لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين

ان الذين

ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعاديين في حد غير
حد الاخر او يشاقون او يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا كما كبت
اخزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب الذين من قبلهم من كفار الامم
الماضية وقد انزلنا ايات بينات تدل على صدق الرسول وما جاء به
وللكافرين بها عذاب مهين يذهب عزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب
بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يترك منهم احدا غير مبعوث او مجتمعين
فينبئهم بما عملوا اي على رؤوس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم
احصاه الله احاط به عددا لم يفته منه شيء ونسوه لكثرته او لتهاونهم
والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم ما في السماوات
وما في الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلاثة ما يقع من تناجي ثلاثة نفر
اي نجواهم او بمعنى متناجين ويجعل ثلاثة صفة لها و
اشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر مرتفع الى
الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة
من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها ولا اثنين اذ ما اقل الاصول
ولا خمسة ولا خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة

فان الاية نزلت في تناجي المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر والثلثة اول الاوتار
او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط
بينهما وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تاويل نجوى
بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اكثر مما ذكر كالواحد والاثنين ولا
اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ
ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى ان جعلت لا لنفي
الجنس اينما كانوا فان علمه بالاشيا ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف
الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه
من الجزاء ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل
على سوا الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه
نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم
اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلعم ثم عادوا بمثل فعلهم ويتناجون
بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين
وتواص بمعصية الرسول وقرا حمزة وينتجون وهو يفتعلون
من النجوى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك

او انعم

او انعم صباحا والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون
في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا الله
بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير
جهنم يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا
بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول
واتقوا الله الذي اليه تحشرون فيما تاتون وتذرون فانه مجازيكم
عليه انما النجوى اي النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان فانه المزين
لها والحامل عليها ليحزن الذين امنوا بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس
اي الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله
بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم يا ايها الذين
امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن
بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس
الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله
فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه

فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق
والصدر وغيرها وإذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة أو لما أمرتم به كصلاة
أو جهاد أو ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
بضم الشين فيهما يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا
وإيوائهم غرف الجنان في الآخرة والذين أوتوا العلم درجات ويرفع العلما
منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فإن العلم مع علو درجته
يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله
ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة
البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل
الأمر أو استكرهه يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان
وفي هذا الأمر تعظيم للرسول وإنفاع الفقراء والنهي عن الإفراط
في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا
واختلف في أنه للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم
وهو وإن اتصلت به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي أن في كتاب الله

ما عمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم
وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للأغنياء مناجاة
في مدة بقائه إذ روي أنه لم يبق إلا عشرا وقيل إلا ساعة ذلك أي
التصدق خير لكم وأطهر لأنفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية
لكن قوله فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم لمن لم يجد حيث رخص
في المناجاة بلا تصدق أدل على الوجوب أأشفقتم أن تقدموا بين يدي
نجواكم صدقات أخفتم الفقر من تقديم الصدقة أو أخفتم التقديم لما
يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين أو لكثرة
التناجي فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بأن رخص لكم أن لا تفعلوه
وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما
قام مقام توبتهم وإذ على بابها وقيل بمعنى إذا أو إن فأقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة فلا تفرطوا في أدائهما وأطيعوا الله ورسوله في سائر الا
مر فإن القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا
وباطنا ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود
ما هم منكم ولا منهم لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب

وادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس
وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته
وما لا يعلم وروي انه كان في حجرة من حجره فقال يدخل عليكم الان رجل
قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان
ازرق فقال عليه السلام علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جا
باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب
متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا
ايمانهم التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة وقاية
دون دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال
امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان
بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة لن
تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي لله على انهم مسلمون
كما يحلفون لكم في الدنيا انهم لمنكم ويحسبون انهم على شيء لان النفاق
في قلوبهم بحيث يخيل اليهم في الاخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب

على الله كما تروجه عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية
في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ
عليهم الشيطان استولى عليهم من حذت الابل واحذتها اذا استوليت
عليها وجمعتها وهو مما جا على الاصل فانساهم ذكر الله لا يذكرونه
بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد
وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الا
ذلين في جملة من هو اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي
بالحجة وقرا نافع وابن عامر ورسلي بفتح اليا ان الله قوي على نصر انبيا
ئه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعدا الله
والمراد لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم
ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم
كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من
مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه

والاعمال الصالحة لا ثبت فيه وايدهم بروح منه اي من عند الله وهو نور القلب
او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحياة القلب
ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم
بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله جنده
وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عنه من
قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة سورة الحشر مدنية
وآيها اربع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في
السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه لما قدم المدينة صالح
بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه
النبي المنعوت في التورية بالنصر فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا
ونكثوا ... فامر رسول الله اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم
صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلا فجلا اكثرهم
الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله والله
على كل شيء قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
من ديارهم لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم

هذا الذل

هؤلاء الذين يجلوا الله او في اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء
عمر اياهم من خيبر اليه او في اول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم فانهم يحشرون
اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم
فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر ما ظننتم ان
يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله
اي ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر وإسناد
الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في انفسهم
انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز ان تكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فا
تاهم الله اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين
اي فأتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اي العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا
لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذي يرعبها
يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين واخراجا لما
استحسنوا من آلاتها وايدي المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها
نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان
تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه والجملة حال

او تفسير للرعب وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير
وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا
يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله
واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى
حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررنا
في الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم
لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب
النار استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب
الاخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد
العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كان بصدده وما
معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اي شيء قطعتم من نخلة
فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة
الكريمة وجمعها ليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر
باللينة قائمة على اصولها وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو
او على انه كرهن فباذن الله فبامره وليخزي الفاسقين علة لمحذوف

اي وقطعتم

اي وقطعتم او اذن لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روي
انه لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض
فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم
ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله
وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان
يكون له لان الله خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا
الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بني النضير او من
الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف
وهو عدو من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما
غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فيء بني نضير فلان
قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله
فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار
منه شيئا الا ثلثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على
من يشاء بقذف الرعب في قلوبهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما
يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله

بيان للفيء بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس
لظاهر الاية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس
لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول الى الامام على قول والى
العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه
كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة
كما يشاء والان على الخلاف المذكور كي لا يكون اي الفيء الذي حقه
ان يكون للفقراء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء
ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كي لا يكون الفيء
ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان
التامة اي كيلا يقع دولة جاهلية وما اتيكم الرسول وما اعطاكم من الفيء او من الامر فخذوه
لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهيكم
عنه عن اخذه منه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله
في مخالفة رسوله ان الله شديد العقاب لمن خالفه للفقراء المهاجرين

بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء
ذوي القربى خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم
وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون الذين
ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوؤا الدار والايمان عطف على المهاجرين
والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما
وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني
والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوؤا الدار واخلصوا
الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان
لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل الهجرة وقيل تقدير الكلام والذين
تبوؤا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم
ولا يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة مما تحمل عليه الحاجة كالطلب
والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطي المهاجرون من الفيء
وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان

مما كان عندنا انفا ان ليس عند واحد وتقيصها من اموالهم ولو كان
بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه
حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل والذين جاؤوا من بعدهم هم الذين
هاجروا حين قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد
الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع
المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
ولا تجعل لاخواننا في الدين في قلوبنا غلا للذين امنوا حقدا لهم
ربنا انك رؤوف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا
يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين كفروا
بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة او الموالاة لئن اخرجتم من
دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم او خذلانكم احدا ابدا
من الرسول والمؤمنين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد
انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا
لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي

واصحا

واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة
النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن
الادبار انهزاما ثم لا ينصرون بعد ذلك اذ ينفعهم نفاق المنا
فقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون
للمنافقين لانتم اشد رهبة اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني
للمفعول في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله
على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله
ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته
ويعلموا انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا
مجتمعين الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر
لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار وامال ابو عمرو فتحة
الدال بأسهم بينهم شديد اي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه
يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لان الله يقذف الرعب في قلوبهم
ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله تحسبهم
جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم

واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان
تشتت قلوبهم يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او
بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية
قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل ذاقوا
وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في الاخرة كمثل
الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الامر للمامور
فلما كفر قال اني بريء منك تبرأ عنه مخافة ان يشاركه في العذاب
ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين والمراد من الانسان
الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم الاية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد فكان عاقبتهما
انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين وقرئ عاقبتهما على
انه الخبر وخالدان على انه خبر ان وفي النار لغو يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيامة
سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والاخرة غده وتنكيره للتعظيم
واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمت للاخرة

كانه قال

كانه قال ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد
او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم
لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي
ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم
ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم
يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون
في الفسوق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم
فاستاهلوا للجنة والذين استمهنوها فاستحقوا
النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب
الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القران على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتخييل كما مر في
قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة اليه والى امثاله
والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القران
لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على
الادغام

هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب
عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها وما حضر من الأجرام وأعراضها
وتقديم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به أو المعدوم
والموجود أو السر والعلانية هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس
السلام البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة
بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من
الأمن قلبت همزته هاء العزيز الجبار المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب
حاجة أو نقصانا سبحان الله عما يشركون إذ لا يشاركه في شيء من ذلك
هو الله الخالق المقدر للأشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد
لها بريئا من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد
ومن أراد الإطناب في شرح هذه الأسماء وأخواتها فعليه بكتابي المسمى
منتهى المنى له الأسماء الحسنى لأنها دالة على محاسن المعاني يسبح له ما
في السموات والأرض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم
الجامع للكمالات بأسرها فإنها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم عنه
من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة

مدنية وآيها ثلاث عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء نزلت في حاطب بن أبي بلتعة فإنه
لما علم أن رسول الله يغزو أهل مكة كتب إليهم أن رسول الله يريدكم
فخذوا حذركم وأرسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل فبعث
عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا
حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب حاطب إلى أهل
مكة فخذوه منها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثم
فجحدت فسل علي سيفه فأخرجته من عقيصتها فاستحضر
رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ أسلمت
ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي
فيهم من يحمي أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن كتابي
لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله وعذره تلقون إليهم بالمودة
تفضون إليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة أو أخبار رسول الله بسبب
المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة لأولياء جرت
على غير من هي له فلا حاجة فيها إلى إبراز الضمير لأنه مشروط في الاسم دون

وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون الرسول
واياكم من مكة وهو حال من كفروا او استئناف لبيانه ان تؤمنوا بالله
ربكم بان تؤمنوا بالله وفيه تغليب المخاطب والالتفات من
التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم عن
اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة له
للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم
بالمودة بدل من تلقون او استئناف معناه اي طائل لكم في اسرار
المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم
اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية
ومن يفعله منكم يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطاه ان
يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم
ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوءكم كالقتل والشتم
وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي
للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادهم حاصل
وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم واولادكم الذين توالون

المشركين لاجلهم يوم القيامة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول
فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم
غدا وقرا حمزة والكسائي بالتشديد وكسر الصاد وفتح الفاء وقرا
ابن كثير يفصل على البناء للمفعول وهو بينكم وعاصم
يفصل والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة
حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابراهيم والذين معه صفة ثانية او خبر
كان ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لا
سوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا برآء منكم
جمع بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم
اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وآلهتكم وبدا بيننا
وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب
العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك
استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي
ان ياتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك
لك من الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء

ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر
من الله للمؤمنين بان يقولوا تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق
بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا
فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم
ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان
لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التاسي بابرهيم
ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر من
لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التاسي بهم وان تركه
مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو
الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عدوي عادى المؤمنين
اقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم
اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله غفور رحيم
لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم

اي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء ان تبروهم بدل من الذين
وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط اي بالعدل ان الله يحب
المقسطين العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة
على بنتها اسماء بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول
فنزلت انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من
دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج
المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل
الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها
يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما
يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان الله اعلم بايمانهن
فانه المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي
يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما
سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار
اي الى ازواجهن الكفرة لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاول لحصول الفرقة والثاني للمنع عن الاستئناف

وآتوهم ما أنفقوا ما دفعوا إليهن من المهور وذلك لأن صلح الحديبية
جرى على أن من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي
لزمه رد مهورهن إذ روي أنه عم كان بعد بالحديبية إذ جاءته سبيعة
بنت الحارث الأسلمية مسلمة فأقبل زوجها مسافر المخزومي طالباً لها
فنزلت فاستحلفها رسول الله فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها
عمر ولا جناح عليكم أن تنكحوهن فإن الإسلام حال بينهن وبين أزواجهن
الكفار إذا آتيتموهن أجورهن شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذاناً بأن ما
أعطي أزواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما تعتصم
الكافرات من عقد ونسب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام
على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسّكوا بالتشديد واسألوا ما
أنفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما أنفقوا
من مهور أزواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في
الآية يحكم بينكم استئناف أو حال من الحكم على حذف الضمير أو جعل
الحكم حاكماً على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه حكمته
وإن فاتكم وإن سبقكم وانفلت منكم شيء من أزواجكم إلى الكفار

أحد من

أحد منهن إليهم وقد قرئ به وإيقاع شيء موقع أحد للتحقير والمبالغة في التعميم
أو شيء من مهورهن فعاقبتم فجاءت عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر شبه
الحكم بأداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء
أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين
ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها
الكافر روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة أبى المشركون أن يؤدوا مهر
الكوافر فنزلت وقيل معناه إن فاتكم فأصبتم من الكفار عقبى وهي
الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة فاتقوا الله الذي
أنتم به مؤمنون فإن الإيمان به مما يقتضي التقوى منه يا أيها
النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً
نزلت يوم الفتح فإنه عم لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في بيعة
النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن يريد وأد البنات
ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في
معروف في حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع أن الرسول لا يأمر
إلا به تنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق فبايعهن

واستغفر لهن الله

اذا بايعنه بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن ان
الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة
الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون
اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الاخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه
لا حظ لهم فيها لعنادهم رسول الله المنعوت في التورية المؤيد بالايات
كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى
الاول وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ان الكفر ايسهم عنه ع
من قرا سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مدنية وقيل مكية وايها اربع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها
الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب
الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر
وما الاستفهامية والاكثر على حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما
معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون

المقت

المقت اشد البغض ونصبه على التميز للدلالة على ان قولهم هذا مقت
خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كانهم بنيان مرصوص
في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال
بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر
او كان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون
اني رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار
فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم
فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل
الى الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة
الحق او الى الجنة واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم
كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين
يدي من التورية ومبشرا في حال تصديقي لما تقدمني من التورية
وتبشيري برسول يأتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى
الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد

يعني محمد والمعنى ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب
المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم النبيين فلما جاءهم
بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته
سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة
الى الجائي ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام
اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضي لخير الدارين
فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسميته
آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه
كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى
ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا نور الله يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة
لما فيها من معنى الارادة تاكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة
تاكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله
بافواههم يعني دينه او كتابه او حجته بطعنهم فيه والله متم نوره
مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص
بالاضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله

بالهدى

بالهدى بالقرآن او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين
كله ليغلبه على جميع الاديان ولو كره المشركون لما فيه من محض التوحيد
وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم
وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف مبين للتجارة
وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به الامر
وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم
يعني ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم
اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه
بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا
وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا
لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا توجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم
الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم
الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها

ليغلبه

[illegible]

تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الاجل وقيل اخرى منصوبة باضمار
يعطكم او تحبون او مبتدا خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى
قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص
او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل
قل يا ايها الذين امنوا او على تؤمنون فانه في معنى الامر
كانه قال امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم
عليهما عاجلا واجلا يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان
وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال
عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى
نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة
الاولى اضافة احد المتشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص
والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد
قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصار الله كما كان الحواريون حين قال لهم
عيسى انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من امن به من الحور
وهو البياض وكانوا اثنى عشر رجلا فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت
طائفة

اي بعيسى فايدنا الذين امنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك لما
رفع عيسى عم فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف
كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وايها احدى عشر بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في
السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات
الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب
لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون رسولا منهم من جملتهم اميا مثلهم
يتلو عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم
ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول
ولو لم يكن له معجزة سواه لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى
نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم
وان هي المخففة واللام تدل عليها واخرين منهم عطف على الاميين
او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة الى يوم الدين

فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون
وهو العزيز في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره
وتعليمه ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه
فضله يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم
الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا او نعيم الآخرة مثل الذين حملوا التورية
علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها
كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها
ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا
بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون
بآيات الله الدالة على نبوة محمد ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم
والمخصوص بالذم محذوف والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها
الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون
الناس اذ كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا
من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان كنتم صادقين
في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر

والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذي
تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا
باعمالكم فانه ملاقيكم لا تفوتونه والفاء لتضمن الاسم
معنى الشرط باعتبار الوصف وكأن فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ
بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين
آمنوا اذا نودي للصلاة اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا
وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه
العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه واول
جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام بها الى الجمعة
ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف فاسعوا
الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو
والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها
وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم

من المعاملة فإن نفع الآخرة خير وأبقى إن كنتم تعلمون الخير والشر
الحقيقيين أو كنتم من أهل العلم فإذا قضيت الصلاة أديت وفرغ منها
فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله إطلاق لما حظر عليهم و
احتج به من جعل الأمر بعد الحظر للإباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل
الله ليس بطلب الدنيا وإنما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله
واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع أحوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة
لعلكم تفلحون بخير الدارين وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها
روي أنه عليه السلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس
إليهم إلا اثني عشر فنزلت وإفراد التجارة برد الكناية لأنها
المقصودة فإن المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير
والترديد للدلالة على أن منهم من انفض لمجرد سماع الطبل
ورؤيته أو للدلالة على أن الانفضاض إلى التجارة مع الحاجة
إليها والانتفاع بها إذا كان مذموما كان الانفضاض إلى
اللهو أولى بذلك وقيل تقديره وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها
وإذا رأوا لهوا انفضوا إليه وتركوك قائما أي على المنبر قل ما عند الله من

من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فإن ذلك محقق مخلد بخلاف
ما يتوهمون من نفعهما والله خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا
الرزق منه. عنه عليه السلام من قرأ سورة الجمعة أعطي له عشر حسنات بعدد
من أتى الجمعة ومن لم يأتها في أمصار المسلمين سورة المنافقين مدنية وآيها
إحدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك
لرسول الله الشهادة إخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والا
والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله
والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون
لأنهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا أيمانهم حلفهم الكاذب أو شهادتهم
هذه فإنها تجري مجرى الحلف في التأكيد وقرئ إيمانهم جنة وقاية
عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله صدا أو صدودا إنهم ساء
ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك إشارة إلى الكلام المتقدم
أي ذلك القول الشاهد على سوء أعمالهم أو إلى الحال المذكور من
النفاق والكذب والاستجنان بالأيمان بأنهم آمنوا بسبب أنهم
آمنوا ظاهرا ثم كفروا سرا أو آمنوا إذا رأوا آية ثم كفروا حينما سمعوا

لانّ عا طبعهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه
فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم تعجبك اجسامهم
لضباحتها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم
وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من امثاله فيعجب بهياكلهم
ويسمع لكلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور في قولهم اي تسمع
لما يقولون مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا
خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها
شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر وقرا ابو عمرو والكسائي وقنبل عن
ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن جمع بدنة يحسبون
كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فكانه يحسبون
ويجوز ان يكون صلة وهم العدو المفعول الثاني وعلى هذا يكون الضمير
للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على
ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم
او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق
واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم عطفوها اعراضا

واستكبارا

واستكبارا عن ذلك وقرا نافع بالتخفيف ورايتهم يصدون يعرضون عن
الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم
الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق
هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
يعني فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم
ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى
المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض
الغزوات على ماء فضرب الاعرابي راسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة
فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن
بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز
والاذل على هذه القراءات حال وكان على تقدير مضاف كخروج
او اخراج الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن
اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون

من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلاة وسائر العبا
دات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها
للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك يريد اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم
الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم
بعض اموالكم ادخارا للاخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت ان يرى دلائله فيقول
رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق
واكن من الصالحين بالتدارك وجزمه للعطف على موضع الفاء وما بعده
وقرا ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على فاصدق وقرئ بالرفع على وانا
اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جا
اجلها اخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرا ابو بكر بالياء
ليوافق ما قبله في الغيبة عنه عليه السلام من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثماني عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك
وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث

الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل
على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره
موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعو
اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات
والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم
من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات
وفضلكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات
واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات
والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور
فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضي
لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة
المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان و
الاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكفار نبأ الذين كفروا من
قبل كقوم هود ونوح وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا
واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل

القطان لهم عذاب اليم في الآخرة ذلك اي المذكور من الوبال والعذاب
بانه بسبب انه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر
يهدوننا انكروا او تعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق على الواحد
والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله عن
كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد يدل
على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم
ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان بما في حيزها قل بلى
اي بلى تبعثون وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة
والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة
فآمنوا بالله ورسوله محمد والنور الذي انزلنا يعني القرآن فانه با
عجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون
خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرئ نجمعكم
ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة
والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء
منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار

والله فيه دلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في الامور الآخرة
لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر عنه
سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا
نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الفوز العظيم الاشارة الى المجموع
الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار
وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خا
لدين فيها وبئس المصير كانها والاية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له
ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن با
لله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع
على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدا بالهمزة
اي يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا الله و
اطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اي فان
توليتم فلا باس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله
الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم بان الكل يقتضي ذلك
منه يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم

يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا فاحذروهم
ولا تامنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا
بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم
فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم
انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن آثر
محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله
ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه
واطيعوا اوامره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم
اي انفقوا ما هو خير لها وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر
ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا
جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امره قرضا حسنا
مقرونا بالاخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبع
مائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم
ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة

عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم
عنه عليه السلام من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة سورة الطلاق مدنية
وآيها اثنتا عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان
الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن بالحكم على
تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن اي وقتها
وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتأقيت ومن عد
العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على
ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في
الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن
ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف
وقد صح ان ابن عمر رضي الله عنهما لما طلق امرأته حائضا امره عليه السلام بالرجعة
وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء
واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من
بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا

باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما
وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة
مسكن الفراق وقوله الا ان يأتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول
والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا
ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة
على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام
المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب
لا تدري اي النفس او انت ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استئناف فاذا بلغن اجلهن
شارفن آخر عدتهن فامسكوهن بمعروف بالرجعة وحسن العشرة
والانفاق المناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار
مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل
منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو
ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة
واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه

ذلكم

ذلكم يريد الحث على الشهادة والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ
به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية
مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهي عنه صريحا او ضمنا من
الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي
حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل
الله له مخرجا مما في شأن الازواج من المضايق والغموم ويرزقه
فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص
عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به
للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس
بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان
سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول
الله فقال له اتق الله واصبر واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة
من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ومن يتوكل على الله

فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرا
حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اى نافذ وبالغا على انه حال والخبر
قد جعل الله لكل شىء قدرا تقديرا او مقدارا او اجلا لا يتاتى تغييره وهو
بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق بزمان العدة
والامر باحصائها وتمهيد لما سياتى من مقاديرها واللائى يئسن
من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم فى عدتهن اى اجلهن
فعدتهن ثلثة اشهر روى انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلثة قروء قيل فما عدة اللائى لم يحضن فنزلت واللائى لم يحضن اى و
اللائى لم يحضن بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن اى منتهى عدتهن
ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن
والمحافظة على عمومه اولى من المحافظة عموم قوله والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات
وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثمة ولانه صح ان
سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله
فقال قد حللت فتزوجى ولانه متاخر النزول فتقديمه فى العمل

تخصيص وتقديم الاخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق
عليه ومن يتق الله فى احكامه فيراعى حقوقها يجعل له من امره
يسرا يسهل الله عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر
من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله فى احكامه فيراعى حقوقها
يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة
اسكنوهن من حيث سكنتم مكانا من مكان سكناكم من وجدكم من وسعكم اى
مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن
فى السكنى لتضيقوا عليهن فتلجؤوهن الى الخروج وان كن اولات
حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا
يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والا
حاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فاتوهن
اجورهن على الارضاع وائتمروا بينكم بمعروف وليامر بعضكم بعضا
بجميل فى الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى
امراة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من
سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله فلينفق كل من الموسر

والمعسر مما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فانه تعالى لا يكلف
نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال
سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكأين من قرية
من اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتي
المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبنا
ها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ
الماضي للتحقيق فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها
وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيها اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا
تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور به في قوله فاتقوا الله
يا اولي الالباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها
في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين آمنوا
قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر جبرائيل لكثرة ذكره او لنزوله
بالكتاب وهو القرآن او لانه مذكور في السماء او ذا ذكر اي شرف او محمدا عليه السلام
لمواظبته على تلاوته او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا
او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان

او اراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكر
او الرسول مفعوله او بدل منه على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات
الله مبينات حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين في قوله
ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين آمنوا بعد انزاله اي
ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من
علم او قدر انه يؤمن من الضلالة الى الهدى ومن
يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا
فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض
يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله
وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
وان الله قد احاط بكل شيء علما علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما
فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه وعنه عليه السلام من قرأ سورة الطلاق
مات على سنة رسول الله

سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة آية

فالمعسر ما يليق بوسعه لا يكلف
نفسا إلا وسعها وفيه تطييب لقلب
سيجعل الله بعد عسر يسرا
من أهل قرية عتت عن أمر ربها
العاتية فحاسبناها حسابا شديدا
ها عذابا نكرا منكرا والمراد
الماضي للتحقيق فذاقت و
وكان عاقبة أمرها خسرا لا ربح
تكرير للوعيد وبيان لما يوجب
يا أولي الألباب ويجوز أن يكون
في صحائف الحفظة وبالعذاب
قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا
بالذكر هو القرآن ... مذكور
لمواظبته على تلاوته أو تبليغه
أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي

او ان دينه القرآن ورسولا ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكر
او الذكر بمعنى او بدل منه على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات
الله مبينات حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بهما الذين في قوله
ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين آمنوا بعد انزاله اي الله
ليحصل لهم ما هم عليه الان من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من
علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن
يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا
فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات
مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض
وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله
وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
وان الله قد احاط بكل شيء علما علة الخلق او يتنزل او مضمر يعمهما
فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عنه عليه السلام من قرأ سورة الطلاق
مات على سنة رسول الله سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عم خلا بمارية
في يوم عائشة او حفصة فاطلعت حفصة على ذلك فعاتبته فيه فحرم
مارية وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطات عائشة سودة وصفية
فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات
ازواجك تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف لبيان الداعي اليه
والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احل الله رحيم رحمك حيث
لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم
قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها
بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيه واحتج به من
راى التحريم مطلقا او تحريم المراة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم
مما وجبت كفارة اليمين كما قيل والله مولاكم متولي امركم وهو العليم
بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر النبي الى بعض
ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده
لابي بكر وعمر فلما نبات به اي فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث
واظهره الله عليه واطلع الله النبي على الحديث اي على افشائه

عرف بعضه عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن
اعلام بعض تكرما او جازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن
بعض ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد
من باب اطلاق اسم المسبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله
فلما نباها به قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير فانه اوفق
للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات
للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب
التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول بحب ما يحبه
وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرا
الكوفيون بالتخفيف فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن
يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله
ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه
واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص جبريل
لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وقوله بعد ذلك
تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن

ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل
على انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل
لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرا نافع
وابو عمرو بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات
قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات
متعبدات او متذللات لامر الرسول سائحات صائمات سمي الصائم سائحا
لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما
لتنافيهما في حكم صفة واحدة اذ المقوم مشتملات على الثيبات والابكار
يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم
بالنصح والتاديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم
انفس القبيلين على تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا
تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي امرها وهم الزبانية غلاظ
شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق اقوياء على
الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون
ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها

ويؤدون

ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون
ما كنتم تعملون يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار
لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله
توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه
بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة
وهي الخياطة كانها تنصح ما خرق الذنب وقرا ابو بكر بضم النون وهو
مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره
ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل علي رضي
عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض
الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان
تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم
سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع
جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان
العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم
والذين امنوا معه عطف على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم

وقيل لبعضهم نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم على الصراط يقولون
اذا طفى نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير
وقيل يتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا يا ايها
النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم و
استعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه ومأواهم جهنم وبئس
المصير جهنم او مأواهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة
لوط مثل الله حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي
والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد
تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم
يغني النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما وقيل لهما عند موتهما او يوم
القيامة ادخلا النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة
الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة
فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها
عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله اذ قالت ظرف للمثل المحذوف
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين

ونجني

ونجني من فرعون وعمله من نفس فرعون الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم
الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف
على امرأة فرعون تسلية للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا
فيه في فرجها وقرئ فيها اي في مريم او الحمل من روحنا من روح خلقناه
بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى
الى انبيائه وكتبه وما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل
عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى
والانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة
والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين
حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدائية عن النبي ﷺ كمل
من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية ابنة مزاحم امرأة
فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ
وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام عنه ﷺ من قرأ
سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا سورة الملك مكية وآيها
ثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك بقبضته

قدرة التصرف في الامور كلها وهو على كل شيء قدير على كل ما يشاء الذي خلق الموت
والحياة قدرهما او اوجد الحياة وازالها حسبما قدره وقدم
الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم
ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا
اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسنكم عقلا واورعكم عن محارم الله
واسرعكم في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن
معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق
الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب
الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع
سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا
خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق
جمع طبق كجمل وجمال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من
تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد
الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين
فات عنه بعض ما في الاخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن

موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى خلقها بقدرته الباهرة
رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة والخطاب فيها
للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق
على معنى التسبب اي قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متأملا
فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما
ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم
ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية
التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله
ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه
طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة
ولقد زينا السماء الدنيا اقرب السماوات الى الارض بمصابيح بكواكب
مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب
مركوزة في سموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير
للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى
وهي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه

وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم
جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب
السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم
من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير وقرئ بالنصب على ان
للذين عطف على لهم وعذابا على عذاب السعير اذا القوا فيها
سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان
المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل
لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها
فوج جماعة من الكفرة سالهم خزنتها الم ياتكم نذير يخوفكم هذا
العذاب وهو توبيخ وتقريع قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير اي فكذبنا الرسل
وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا
في نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر
مقدر بمضاف اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد
والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام

تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج
منهم رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية
للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا
او عقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله
جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات
او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير
في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف
اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر
فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم من رحمته
والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرا الكسائي بالتثقيل ان
الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم
يعاينوه بعد او عن اعين الناس او بالمخفي منهم
وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا
واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل
ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من

مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج
منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية
للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا
او عقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله
جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات
او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير
في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف
اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر او لتناول الكفر
فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم من رحمته
والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل ان
الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم
يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي منهم
وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا
واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل
ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من

وجعلناها رجوما وظنونا بالغيب لشياطين
جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم
السعير في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في
الشياطين ... عذاب جهنم ويسل
للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب ا
سمعوا لها شهيقا سمعوا لها صوتا كصوت
المرجل فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق
كلها الشقا لهم ... غيظا
فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها الم يأتكم
العذاب وهو توبيخ قالوا بلى قد
وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال
وفرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال
نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع
بمعنى ... اهل الانذار منهم
والخطاب ... على التغليب او

حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه
وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه
الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليتم المعنى روى
ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون
اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم هو الذي جعل لكم
الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها
او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطاه
الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمكن المشي في
مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله
واليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم أأمنتم من في
السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله على تأويل
من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه في السماء وعن ابن
كثير بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها
وقرا نافع وابن كثير بتسهيل الثانية بلا فصل وقرا قالون وابو عمرو
بتسهيل الثانية مع الفصل وورش بابدالها الفا وبتسهيلها بلا فصل

والباقون بتحقيق الهمزتين ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل
بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور
التردد في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا
ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف انذاري اذا شاهدتم
المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف
كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول وتهديد
لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن بالجو
عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن و
يضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على
التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصيل
في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع
الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص
هياهن للجري في الهواء انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب
ويدبر العجائب امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن
عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم تنظروا في امثال هذه الصنائع

فلم تعلموا قدرتنا على تعذيبكم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم
من دونه ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم الهة تمنعهم من دوننا
الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا
هذا القسم ومن مبتدا وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف
لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا
الذي يرزقكم او من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه
بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا
في عتو في عناد ونفور وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي على وجهه
مكبا يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما
من باب انفعل ومعناهما صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع
لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة
طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله امن يمشي سويا قائما سالما
من العثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء او الجهة والمراد تمثيل المشرك
والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب
من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل

ان يسمى

ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى
فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار
ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشاكم
وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا صنائعه والافئدة
لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو
الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون للجزاء ويقولون متى
الخسف والحاصب ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون النبي
والمؤمنين قل انما العلم اي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما
انا نذير مبين والانذار يكفي فيه العلم بل الظن بوقوع المحذر منه فلما راوه
اي الوعد فان الفاء على المعنى زلفة ذا زلفة اي قرب منهم سيئت وجوه
الذين كفروا بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي
كنتم به تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون
ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارايتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي
من المؤمنين او رحمنا بتاخير اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي
لا ينجيهم من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون

قل هو الرحمن الذي ادعوكم اليه مولي النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا
للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص
والاشعار به فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرأ الكسائي بالياء قل ارأيتم ان
اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن ياتيكم
بماء معين جار او ظاهر سهل الماخذ عن النبي عم من قرأ سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

سورة ن مكية وآيها اثنان وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم

ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او اليهموت وهو الذي عليه الارض
او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد
الاول سكونه وكتبه بصورة الحرف والقلم وهو الذي خط اللوح او الذي يخط به
اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجراء للواو
المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا
اتصلت بها وقد روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد
وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى
الثاني على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولي
العلم لاقامته مقامه او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة

ما انت

ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك
بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء
لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث ان المعنى جينئذ نفي جنون مقيد بالنعمة وان لك
لاجرا على الاحتمال او الابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك
من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل
من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة عن خلقه فقالت كان
خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم
ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر
كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق
الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن
ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفائزين
بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا
لو تدهن تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا
فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اي ودوا
التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اي ودوا لو تدهن

المفتون

فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون طمعا فيه وفي بعض المصاحف
فيدهنوا على انه جواب التمني ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الباطل مهين
حقير الراي من المهانة وهي الحقارة هماز عياب مشاء بنميم نقال للحديث
على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل
الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الاثام عتل جاف غليظ من
عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي
ماخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن
المغيرة ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق
اصله في ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه
اياتنا قال اساطير الاولين قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين
من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا قال لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما
قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه لان كان
ذا مال وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر ءان كان على الاستفهام
غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اي الان كان ذا مال كذب او اتطيعه
لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى في النهي عن طاعة العتل

كالتعليل

كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا
يساره لانه اذا اطاع للغني فكانه شرطه في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم
على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة
عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة
على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيامة انا بلوناهم
بلونا اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان دون
صنعاء بفرسخ وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام
ويترك لهم ما اخطاه المنجل او القته الريح او بعد من البساط الذي
يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان
فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت
الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين
ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه
استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج
بالاستثناء عينه او لان معنى لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء
الله واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف
عليها طائف بلاء طائف من ربك مبتدا منه وهم نائمون

كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول
أو كالليل باحتراقها واسودادها أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس
سميا بالصريم لأن كلا منهما ينصرم عن صاحبه أو كالرمال فتنادوا
مصبحين أن اغدوا على حرثكم أي اغدوا أو بأن اغدوا والمراد
وتعديته الفعل بعلى إما لتضمنه معنى الإقبال أو لتشبيه الغدو للصرام
بغدو العدو المتضمن معنى الاستيلاء إن كنتم صارمين قاطعين له
فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد بمعنى
الكتم ومنه الخفدود للخفاش أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين أن
مفسرة وقرئ بطرحها على إضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول
المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله لا أرينك ههنا وغدوا
على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة إذا لم
يكن فيها مطر وحاردت الإبل إذا منعت درها والمعنى أنهم عزموا على
أن يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها إلا على
النكد أو غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين
على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به أي لم يقدروا
إلا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة

قال

قال أقبل سيل جاء من أمر الله يحرد حرد الجنة المغلة أما على الحرد منهم بسرعة
قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما رأوها أول ما
رأوها قالوا إنا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن أي بعد ما تأملوا
وعرفوا أنها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا
قال أوسطهم رأيا أو سنا ألم أقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون
إليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى
قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين أو لولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحا
لتشاركهما في التعظيم أو لأنه تنزيه عن أن يجري في ملكه ما لا يريده
فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فإن منهم من أشار
بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من أنكره قالوا يا
ويلنا إنا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا أن يبدلنا خيرا
منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي أنهم أبدلوا خيرا منها وقرأ
نافع وأبو عمرو يبدلنا بالتخفيف إنا إلى ربنا راغبون راجون العفو
طالبون الخير وإلى لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب
مثل ذلك بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب
الآخرة أكبر أعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم إلى العذاب

ان للمتقين عند ربهم اى فى الاخرة او فى جوار القدس من ربهم جنات النعيم جنات
ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة
فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم
يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا ما لكم كيف
تحكمون التفات فيه تعجيب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال
فكر واعوجاج راى ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤن ان لكم فيه
لما تخيرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه
المدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا
وتخير الشيء واختياره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة با
لايمان بالغة متناهية فى التاكيد وقرئ بالنصب على الحال والعامل
فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم
علينا الى يوم لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك اليوم او ببالغة
اى ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام
لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم
قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم فى هذا القول فليأتوا
بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه

سبحانه

سبحانه فى هذه الايات على نفى جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل
يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب
تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء
يجعلونهم مثل المؤمنين فى الاخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله
نفى بهذا ان يكون مما يشركون الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر
ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن
فى الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن
ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير
عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم
وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال
ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم
القيمة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا
يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود فى الدنيا او
زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحوا العلل فيه فلم

ومن يكذب بهذا الحديث كله الى فانى اكفيكه سنستدرجهم سندنيهم من
العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة
من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا
لهم على المؤمنين واملي لهم وامهلهم ان كيدي متين لا يدفع بشيء وانما
سماه كيدا لانه في صورته ام تسالهم اجرا على الارشاد
فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح
او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر
لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت
يونس اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا في الضجرة فتبتلى
ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها
وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه
على حكاية حال الماضية بمعنى انه لولا ان كان يقال فيه تداركه لنبذ
بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن
الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية
دون النبذ فاجتباه ربه برد الوحي اليه او استنباه ان صح

انه

انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في
الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الا
فعال والآية نزلت حين هم رسول الله ان يدعو على ثقيف وقيل
باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها
والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك
او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره
الصرع لفعله او انهم يكادون ان يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في
بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله فنزلت
وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون
من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق
كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي ليهلكونك لما سمعوا الذكر (ليزهقونك)
اي القرآن اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون
حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل
القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس

عند الله وانتهم كذابا عنده مع انه من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين

حسن الله اخلاقهم سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة اي الساعة والحالة التي يحق وقوعها

او التي تحق فيها الامور اي تعرف حقيقتها او تقع فيها حواق الامور

من الحساب والجزاء على الاسناد وهي مبتدأ خبرها ما الحاقة واصلها ما هي

اي اي شيء هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمر

لانه اهول لها وما ادراك ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم

كنهها فانها اعظم من ان يبلغها دراية احد وما مبتدأ وادراك خبره

كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام

بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف

شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة عن الحد

في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم

بالتكذيب وقيل على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله

واما عاد فاهلكوا بريح صرصر شديدة الصوت او البرد من الصرير او الصر

عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها

او بسطتا بسطة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك

سبب التسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض دكاء للمتسوية

فيومئذ وقعت الواقعة قامت القيامة وانشقت السماء

لنزول الملائكة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس

المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل

لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان

كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم

فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم

يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا

كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة

لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال

السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ

تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم

وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان

متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال

اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية

رة على الله حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال
والمبالغة في العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة
والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض
فيقول تبجحا هاؤم اقرؤوا كتابيه هاؤم اسم لخذوا وفيه لغات اجودها ها يا رجل
وها يا امراة وهاؤما يا رجلان او امراتان وهاؤم يا رجال وهاؤن
يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤوا لانه اقرب العاملين
ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤوه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء
في كتابيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف
وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ
باثباتها في الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعله عبر عنه
بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من
الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية
ذات رضا على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها
صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية
مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها
جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية

وها

يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا
اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة
في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول
لقبح ما راى من سوء العاقبة يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه
يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث
بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه صادفها
امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت كانت الموتة ولم اقاسها ما اغنى
عني ماليه مالي من المال والتبع وما نافية والمفعول محذوف او استفهامية
انكار مفعول لاغنى هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس او حجتي
التي احتج بها في الدنيا خذوه يقوله الله لخزنة جهنم فغلوه ثم الجحيم صلوه
ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة
ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده
وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم
للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت
ما بينهما في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريق الاستئناف
للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها

فيما استوجبه لانه ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على
اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار
بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف
الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد
الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم هاهنا حميم
قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين
من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد
الذنب من الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون
بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او
فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بما تبصرون وما
لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه
اي القرآن لقول رسول [illegible] عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه
كريم على الله وهو محمد او جبرئيل وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا
ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم من صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادهم
ولا بقول كاهن كما تدعون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرون تذكرا
قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر

الخط

من نفي

من نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكره الا معاند
بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعاني
القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرا ابن كثير وابن عامر
ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزل على لسان
جبرئيل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول
متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من
القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه
الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع
ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه
بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه
عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام
والخطاب للناس وانه لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به
وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على
الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين لليقين
الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم
تنزيها له عن الرضاء بالتقول عليه وشكرا على ما اوحي اليك عنه

من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا **سورة المعارج مكية**
وآيها أربع وأربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل
بعذاب واقع أي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي الفعل بالباء
والسائل نضر بن الحارث فإنه قال إن كان هذا هو الحق من عندك الآية
أو أبو جهل فإنه قال فأسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء أو
أو الرسول عليه السلام استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو إما من
السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت
هذيل بما سالت ولم تصب أو من السيلان ويؤيده أنه قرئ سال
سيل على أن السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب
ومضي الفعل لتحقق وقوعه إما في الدنيا وهو قتل بدر أو في الآخرة وهو
عذاب النار للكافرين صفة أخرى لعذاب أو صلة لواقع وإن صح
أن السؤال كان عما يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن
سأل معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق إرادته
ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب
والعمل الصالح أو يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم أو في دار ثوابهم
أو مراتب الملائكة أو السموات فإن الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة

والروح

والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة استئناف لبيان ارتفاع
تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى أنها بحيث لو قدر
قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين ألف سنة من سني الدنيا
وقيل معناه تعرج الملائكة والروح إلى عرشه في يوم كان مقداره
كمقدار خمسين ألف سنة من حيث أنهم يقطعون فيه ما يقطعه الإنسان
فيها لو فرض لأن ما بين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة
خمسين ألف سنة لأن ما بين مركز الأرض ومقعر السماء الدنيا على ما
قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي
والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره ألف سنة يريد زمان
عروجهم من الأرض إلى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع
أو سائل إذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته
إما لشدته على الكفار أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات أو
لأنه على الحقيقة كذلك والروح جبرائيل وأفرده لفضله أو خلق
أعظم من الملائكة وقرأ الكسائي يعرج بالياء فاصبر صبرا جميلا لا
يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لأن السؤال كان
عن استهزاء أو تعنت وذلك مما يضجره أو عن تضجر واستبطاء للنصر أو بسال

لان المتوقع كوقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه
الضمير للعذاب او ليوم القيامة بعيدا من الامكان ونريه قريبا منه او من
الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا او لمضمر تكون او للمقدر دل عليه
دافع او بدل من في يوم ان علق بواقع المهل المذاب في مهل كالفلزات
او دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال
مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش
اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما ولا يسال قريب قريبا عن
حاله وقرا ابن كثير ولا يسال على بناء المفعول اي لا يطلب حميم حميم
او لا يسال منه حاله يبصرونهم استئناف او حال يدل على ان المانع عن
السؤال هو الاشتغال دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال
كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي
من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين
او استئناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي
باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال عنها وقرئ بتنوين
عذاب ونصب يومئذ لانه بمعنى تعذيب وقرا نافع والكسائي على
يومئذ بفتح الميم وفصيلته التي عشيرته الذين فصل عنهم تؤويه

تضمه

تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين والخلائق ثم
عطف على يفتدي ينجيه اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا
ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها
الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للقصة ولظى مبتدا خبره
نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول من اللظى
بمعنى اللهب وقرا حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال
المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او
جمع شواة وهي جلدة الراس تدعو تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو
انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل تدعو زبا
نيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاك الله اذا اهلكك من ادبر
عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء
وكنزه حرصا وتاميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص
قليل الصبر اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منعه
منوعا بالغ في الامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او
محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف
لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات
المذكورة

بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل المضادة تلك الصفات لها
من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على
الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل
على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليها
الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق
معلوم كالزكاة والصدقات الموظفة للسائل الذي يسأل والمحروم الذي
لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم
وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر
الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم
ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان
يأمن من عذاب الله وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سبق تفسيره
في سورة المؤمنين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين
لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون حافظون
وقرأ ابن كثير لامانتهم يعني لا يخفونها ولا يبدلونها ولا يخفون ما علموا
من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم

لاخلالها بالانقطاع والذين هم على صلاتهم يحافظون فيراعون شرائطها
ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا وآخرا
باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلات
لا تخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب الله فمال الذين كفروا قبلك
مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها
عزوة من العزو فكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى
المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزئون بكلامه
ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم
لو صح ما يقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم
عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون [illegible] تعليل
له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن
لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم
يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل
النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين
او الاستدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التي بني
الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا

برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم
ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلهم من هو خير منهم وهم الانصار
وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى
يلاقوا يومهم الذي يوعدون مر في اخر الطور يوم يخرجون من الاجداث
سراعا مسرعين جمع سريع كأنهم الى نصب منصوب للعبادة او العلم
يوفضون يسرعون وقرأ ابن كثير وحفص نصب بضمتين وابن عامر
بفتح النون وسكون الصاد وقرئ نصب على انه تخفيف نصب وجمع
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة يغشاهم ذل ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون
في الدنيا عنه عم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين
هم لاماناتهم وعهدهم راعون سورة نوح مكية واٰيها تسع
او ثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى
قومه ان انذر اي بان انذر اي بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز
ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة
القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب الاخرة او الطوفان
قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر
في الشعراء نظيره وفي ان تحتمل الوجهين يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم

وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم في الاخرة ويؤخركم الى اجل
مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان
الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه المقدر اجلا وقيل اذا جاء الاجل
الطويل لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتأخير لو كنتم تعلمون
لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب
الحياة كانهم شاكون في الموت قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما
فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة
الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم الى الا
لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في اذانهم سدوا مسامعهم عن
استماع صوت الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة
النظر الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم وادعوهم والتعبير
بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار
من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا
عن اتباعي استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم
واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على
اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار

والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا
نصب على المصدر لانه احد نوعي الدعا او صفة مصدر محذوف
اعني دعا جهارا او مصدر في موقع الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت
استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكانهم
لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على الحق فلا نتركه وان كنا على
باطل فكيف يقبلنا او يلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم
ويجلب اليهم المنح ولذلك وعد لهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم
وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس عنهم القطر اربعين
سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم ذلك على الاستغفار عما
كانوا عليه بقوله يرسل السما عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار
في الاستسقا والسما تحتمل المظلة والسحاب والمدرار الكثير الدر
ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين
ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما لمن
عبده واطاعه فتكونوا على حال تاملون فيها
تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار

تعظمه ا

او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد
بالرجا فان خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم
مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا
ثم عظاما ولحوما ثم انشاهم خلقا اخر فانه يدل على انه يمكن ان
يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام
الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من ايات الافاق فقال الم تروا كيف خلق
سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء
الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا
مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيل السراج
ما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشاكم منها فاستعير الانبات
للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله
انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم
فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول
دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة والله
جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا

واسمه جمع مجيء وشيء لتقيهما لتقل معنى الاتحاد وقال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموالهم واولادهم فادت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو ابلغ من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام لقوله انهن

اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة لا يقدرون على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور فاصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي او مسجدي او سفينتي

وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا
الا هلاكا عنه عم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم
دعوة نوح عم

سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

قل أوحي الي وقرئ أحي واصله وحي من وحى اليه فقلبت
الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن
والنفر ما بين الثلثة الى العشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم
النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة
عن ابدانها وفيه دلالة على انه عم ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق
حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله فقالوا انا سمعنا
قرآنا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه فهو
مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا
بالقرآن ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد
وانه تعالى جد ربنا فتحه ابن كثير والبصريون بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول
وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد لله وانه لما قام
فانه من جملة الموحى ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما قام

على انه استئناف او مقول ووافقهم الباقون في الكل الا ما صدر بالفاء على ان
ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقنا
انه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او ملكه او سلطانه
او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن
الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ
صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد بالكسر اي
صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما
اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا
ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة
الحد او شطط لفرط ما اشطط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى
الله وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن
اتباعهم السفيه في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله وكذبا
نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا مكذوبا
فيه ومن قرأ ان لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون
الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن

فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء
قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن
الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشيء
وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والايتان من
كلام الجن بعضهم لبعض او استئناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما
من الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء
طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس
يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا
حراسا اسم الجمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها
وشهبا جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار وانا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد
والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الان
يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع
بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر
بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء

ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار
ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون
كنا طرائق اي ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال
او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع
وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها
ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا
ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى القران امنا به اي بالقران
فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على
تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان
يرهقه ذلة او جزاء نقص لانه لم يبخس لاحد حقا ولم يرهق ظلما لان من حق
الايمان بالقران ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون
عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا
توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم
حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اي ان الشان
لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة على طريقة المثلى

لاسقيناهم ماء غدقا لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو
الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم
فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على الطريقة
القديمة ولم يسلموا باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين
لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانهم ومن يعرض عن ذكر ربه
عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا شاقا يعلو
المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا
مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة
للنهي الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت
للنبي مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود
على ان المراد النهي عن السجود لغير الله واارابه السبعة وبالسجدات
على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي وانما ذكر بلفظ
العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي
لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين
من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد

الانس

الانس والجن يكونون مجتمعين عليه لابطال امره وهو جمع لبدة وهي ما تلبد
بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي
لغة وقرئ لبدا كسجد جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قل انما ادعو ربي
ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم
على مقتي وقرا عاصم وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق ما بعده قل اني لا
املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه
وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد
ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا او ملتجأ الا بلاغا
من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما
بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه ان لا
ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا
ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية ومن يعص
الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ
فان على فجزاؤه ان له نار جهنم خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما
يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الاخرة والغاية لقوله يكونون

عليه

لمجيء ثان او لمجازاة ودل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانا عددهم

فسيعلمون من هو اضعف ناصرا واقل عددا اهو ام هم قل ان ادري ما ادري

اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كانه

لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل

انه كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب

فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به علمه الا من

ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على

ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير

وسط وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا من الملائكة كا

طلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك من بين يديه

ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف

الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى اليه

ان قد ابلغ جبرئيل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله انه قد ابلغ

الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير

واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل

عنه من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق بمحمد او كذب عتق رقبة

سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء

في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورها اي الذي زمله

غيره او زمل نفسه سمي به النبي تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا

مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه كان

يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة رض فنزلت او تشبيها له في

تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل

الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلاة او داوم عليها

وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او

انقص منه قليلا او زد عليه استثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا

وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كا

لثلثين والناقص منه كالثلث او نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء منه

والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير

بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير

كما ان يقوم اقل منه على البت وان يختار لصلاة التهجد من الاول الكافي
او الثاني من اعداد الليل فانه عام والتخيير في قيام النصف والناقص
والزائد ورتل القرآن ترتيلا اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث
يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة
ثقيل على المكلفين سيما على الرسول اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها
امته والجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على انه
مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة
معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد
للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول
عائشة رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه
وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر
والجملة على هذا الوجه للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس
ما به يعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى
العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها

السرى

السرى وانتصف منها شرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة
له او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث
واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت هي اشد وطئا
اي كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء اي مواطأة القلب
اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص واقوم
قيلا واسد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات ان لك في النهار
سبحا طويلا تقلبا في مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة
الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ
الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا
ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة
وقراءة القرآن ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة
وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضع موضع
تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدأ خبره لا اله الا هو
وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من
ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا

سبب عنه التهليل فان التوحيد بالاعتبار يقتضي ان توكل الله الامور
واصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم
ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله كما قال وذرني والمكذبين دعني واياهم
وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم يريد
صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا قليلا ان لدينا انكالا ثقيلا تقيد بها
والنكال الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة طعاما ينشب في الحلق
كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا اخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه
الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح
فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والالف
والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة
متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس فسر
العذاب بالحرمان عن لقاء الله يوم ترجف الارض والجبال تضطرب
وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا مهيلا
مجتمعا لانه فعيل بمعنى مفعول من كثب الشيء اذا جمعه مهيلا منثورا
من هيل هيله اذا نثره انا ارسلنا اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم

يشهد

يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة و [illegible] الامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا
[illegible] فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره
[illegible] طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل
للمطر العظيم فكيف تتقون ان [illegible] كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم
يجعل الولدان شيبا [illegible] على الفرض والتمثيل واصله
[illegible] ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول
[illegible] المنشق او اضمار شيء به ينشق
[illegible] عن غيرها فانها ليلة الله كان وعده
[illegible] على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه
[illegible] الى ربه بطاعة الله سبيلا
[illegible] ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي
[illegible] الليل اقل لان الاقرب الى الشيء
[illegible] ونصفه وثلثه [illegible] بالنصب عطفا
[illegible] معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك
والله يقدر الليل والنهار [illegible] لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله

سبح عنا التهليل فان الاعمال بالاخلاص ...
واصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم
ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله كما قال وذرني
وكل الي امرهم فان لي غنية عنك في مجازاتهم
صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او
والنكال القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة
كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا
الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما
فان النفوس العاصية المنهمكة في الشـ
والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجرد
متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان
العذاب بالحرمان عن لقاء الله يوم ترجف
وتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى
مجتمعا لانه فعيل بمعنى مفعول من كثب
منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولا

يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا
[...] لم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره
فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل
للمطر العظيم فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم
يجعل الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل واصله
ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول
السماء منفطر به منشق والتذكير على تاويل السقف او اضمار شيء به بشدة
ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة كان وعده
مفعولا الضمير لله عز وجل او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه
الآيات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
ان يتقرب اليه بالطاعة ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي
الليل ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء
اقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا
على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك
والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله

فان تقدير الخلق لاوقاتهما على سبيل التقريب علم ان لن تحصوه
علم ان لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط
الساعات فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه
فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة
بالقرآن كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور
فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القرآن
بعينه كيفما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استئناف يبين حكمة اخرى
مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال
وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله ابتغاء
للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل
الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلاة المفروضة وآتوا الزكاة الواجبة
واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الانفاقات في سبيل الخيرات
او باداء الزكاة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح
به في قوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم
اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وهو ثاني مفعولي تجدوه

وهو

وهو تأكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمنع من حرف التعريف وقرئ
هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو
من تفريط ان الله غفور رحيم عنه عليه السلام من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في
الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار روي عنه عليه السلام قال كنت بحراء
فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا هو على عرش
بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت
دثروني فنزل جبرائيل فقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هي اول سورة نزلت وقيل
تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا فنبه وقيل المراد
بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي
فانه كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اي الذي
دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر
مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه وانذر عشيرتك الاقربين
او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير
وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روي انه لما نزل كبر رسول الله وايقن

وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده
لافادة معنى الشرط وكأنه قال وما يكن من شيء فكبر ربك او للدلالة على ان
المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول
ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم
كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب في الصلاة
محبوب في غيرها وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة
جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة
او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنيئة فيكون امرا
باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء
اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر
والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من المآثم
وغيرها من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة
كالذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو
ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله
المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن

٤٩١

على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به
الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال
من تمنن على انه من منّ بكذا او تستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على
اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال
عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك ولوجهه او لامره فاصبر فاستعمل
الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين فاذا نقر في الناقور
نفخ في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت
والفاء للسببية كأنه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك
واعداؤك عاقبة ضرهم فاذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ
يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة
الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدله او ظرف
لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير غير يسير تأكيد
يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بتيسيره على
المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزلت في الوليد بن المغيرة ووحيدا
حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته

وحده ولم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف او من من اي خلقته فريدا
لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما او ارادة
انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا
ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع
والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون
الى السفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم
في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم
قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد
وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض
حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم ثم يطمع
ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي
او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال
كلا انه كان لآياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع
على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة
المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الآية في نقصان ماله

حتى هلك

حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل
لما يلقى من الشدائد وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا
ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد
والمعنى فكر فيما تخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه ما يطعن به فقتل
كيف قدر تعجيب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال
عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا
يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي انه مر بالنبي عم وهو
يقرأ حم السجدة فاتى قومه فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما
ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان
اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا
الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا
وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه
يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون
انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا
ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا

ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر
تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى وفيما
بعد على اصلها ثم نظر في امر القرآن مرة بعد اخرى ثم عبس قطب
في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق واستكبر عن اتباعه
فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه
لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر ان هذا الا
قول البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها سأصليه سقر
بدل من سأرهقه صعودا وما ادراك ما سقر تفخيم لشانها وقوله
لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم
والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر
مسودة لاعالي الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص
عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص
لهذا العدد ان اختلال النفس البشرية في النظر والعمل بسبب
القوى الحيوانية الاثني عشر والطبيعية السبع او ان لجهنم سبع
دركات ست منها لاصناف الكفار كل صنف يعذب بترك الاعتقاد

والاقرار

والاقرار والعمل انواعا من العذاب تناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف
يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه
ويتولاه ملك او صنف وان الساعات اربع وعشرون خمسة منها
مصروفة في الصلاة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ بانواع
من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة
توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة
كل عشير جمع يعني نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولا يستروحوا
اليهم ولانهم اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا لله روي ان ابا جهل
لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا
برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا
وما جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر
فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم به
استقلالهم له واستهزاؤهم واستبعادهم ان يتولى هذا العدد
القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله

ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد عم
وصدق القران لما راوا ذلك موافقا لما فى كتابهم ويزداد الذين
امنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون اى فى ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة
الايمان ونفى لما يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة وليقول الذين
فى قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون بالمدينة بعد
الهجرة والكافرون الجازمون فى التكذيب ماذا اراد الله بهذا
مثلا اى شىء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل
لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء
ويهدى من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين
ويهدى المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه
الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على
حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من
كم وكيف واعتبار ونسبة وما هى وما سقر او عدة الخزنة او السورة
الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان

يتذكر بها والقمر والليل اذ ادبر اى دبر كقبل بمعنى اقبل وقرا نافع
وحمزة ويعقوب وحفص اذ ادبر على المضى والصبح اذا اسفر اضاء انها
لاحدى الكبر لاحدى البلايا الكبر كثيرة وفعل جمع فعلة وانما جمع كبرى
على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحق قاصعا
بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم
معترض للتاكيد نذيرا للبشر تمييز لاحدى الكبر انذارا او حال عما
دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة وقرى بالرفع خبرا ثانيا او خبر محذوف
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اى نذيرا للمتمكنين من السبق
الى الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون فى معنى
قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة
عند الله مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة
لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم
وقيل هم الملائكة او الاطفال فى جنات لا يكتنه وصفها وهى حال من
اصحاب اليمين او ضميرهم فى قوله يتساءلون عن المجرمين اى يسال
بعضهم بعضا او يسالون غيرهم عن حالهم كقوله تعالى عنهم اى

اى دعونا هو قوله ما سلككم فى سقر يجيء به حكاية لما جرى بين المسئولين
والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلاة الواجبة ولم نك
نطعم المسكين ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
وكنا نخوض مع الخائضين نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب
بيوم الدين اخره لتعظيمه اى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيمة
حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين
لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اى معرضين عن
التذكير يعنى القرآن او ما يعمه ومعرضين حال كأنهم حمر مستنفرة
فرت من قسورة شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر
نافرة فرت من قسورة وقرأ نافع وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء
اى اسد فعولة من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم ان
يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبى لن
نتبعك حتى تأتى كلا منا بكتاب من السماء فيها من الله الى فلان اتبع
محمدا كلا ردع عن اقتراحهم الآيات بل لا يخافون الآخرة فلذلك
اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم
انه تذكرة واى تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره ذكره وما

كأنهم

يذكرون الا ان يشاء الله ذكرهم او مشيتهم لقوله وما تشاؤن
الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله وقرأ نافع تذكرون
بالتاء وقرئ يذكرون مشددا هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل
المغفرة حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم عنه عم من قرأ سورة المدثر
اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية وآيها تسع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة
ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع فى كلامهم كما قال امرؤ القيس
لا وابيك ابنة العامرى لا يدعى القوم انى افر وقد مر الكلام فى قوله فلا اقسم بمواقع
النجوم ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة
فى التقوى يوم القيمة على تقصيرهن او التى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت
فى الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روى
انه عم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة
ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت يا ليتنى كنت قصرت
او نفس آدم فانها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيمة
لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب الانسان يعنى الجنس واسناد الفعل

الفعل اليهم لان فيهم من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ابي ربيعة
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيمة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم
اصدقك او يجمع الله هذه العظام ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها
وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه
نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها
فكيف بكبارها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ
بالرفع اي نحن قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز
ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن
المستفهم عنه او الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله
من الزمان يسئل ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا
برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره
وقرا نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه
وقرئ بلق اذا انفتح وخسف القمر وذهب ضوؤه
وقرئ على بناء المفعول وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء او الطلوع
من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك

على امارات

على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع
الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل
من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان
يومئذ اين المفر اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني
كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجا مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه
وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم
يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر
بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله او بما
اخر من سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق
به وبما اخر فخلفه او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة
حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز
او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو جاء
بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة
على غير القياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى

وقيل لا تحرك به لسانك بالقرآن لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به
لتاخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك
وقرآنه واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي فاذا قرأناه بلسان
جبرئيل عليك فاتبع قرآنه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك
ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على
جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما هو
يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما
هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها في غيره او بذكر ما اتفق
في اثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى
انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقول له لا تحرك به
فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قرأناه
فاتبع قراءته بالاقرار او التأمل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء
عليه كلا ردع للرسول عن عادة العجلة او للانسان عن
الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة
تعميم للخطاب اشعارا بان بني آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان

يتلجلج

الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير
وابن عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة
الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه
ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى
غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه
وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى
الا على وجه واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى
السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطا ووجوه يومئذ باسرة
شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا
اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية
تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة اذا بلغت
التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة
الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما
به من الرقية او قال ملائكته ايكم يرقى به ملائكة الرحمة او ملائكة
العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي

نزل به فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق بالساق والتفت
ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها او شدة فراقها بشدة خوف الآخرة الى
ربك يومئذ المساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه
او فلا صدق ماله اى فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير
فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب وتولى
عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من
المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا
وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولى واصله
اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك
الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من ادون او فعلى من
آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اى يتكرر ذلك عليه
مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا
يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث
ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا
يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة الم يك

نطفة

وما يتعلق بهما من النبات والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها فوق
بعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق او لفيف كشريف
او لف جمع لفاء كخضر وخضراء واخضار ملتفة ان
يوم الفصل كان في علم الله او في حكمه ميقاتا حدا توقت به الدنيا
وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور
بدل او بيان ليوم الفصل فتأتون افواجا جماعات من القبور الى
المحشر روي انه عليه السلام سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف من امتي
بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير
وبعضهم منكسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم
صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل
من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم
وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من
الجيف وبعضهم ملبسون جلابيب من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات
واهل السحت واكلة الربا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم
والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين

القيح

بالنار الى السلطان والتابعين للفصل الماضي حتى الله والمكلفين
الخلائق وفتحت السماء وقرأ الكوفيون بالتخفيف فكانت أبوابا
فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب أو صارت ذات أبواب
وسيرت الجبال في الهوا كالهباء فكانت سرابا مثل سراب إذ ترى على
صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها وانبثاثها إن جهنم
كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار أو خزنة
الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فإنه
الموضع الذي تضمر فيه الخيل أو مجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها
أحد كالمطعان وقرئ أن بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين
مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح لبثين وهو أبلغ
أحقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها
إذ لو صح أن الحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة فليس فيه ما يقتضي
تناهي تلك الأحقاب لجواز أن يكون المراد أحقابا مترادفة
كلما مضى حقب تبعه آخر وإن كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض
المنطوق الدال على خلود الكفار ولو صح لهم لا يذوقون فيها بردا

آ ٢٥

ل حال من المستكن في لابثين أو نصب أحقابا
ل فيها أحقابا غير ذائقين إلا حميما
ا فيهما العقاب ويحتمل أن يكون جمع حقب
ه الرزق وحقب العام إذا قل مطره وخيره
ا فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير
م وينفس عنهم حر النار أو النوم وبالشراب
ملا بالهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد
يس الآي وقرأ حمزة والكسائي بالتشديد
للصبر ذا وفاق لأعمالهم أو موافقا لها أو
وفاقا وفقا لها وقفه كذا إنهم كانوا لا يرجون
ه هذا الجزاء وكذبوا بآياتنا كذابا
د شائع في كلام الفصحاء وقرأ الكسائي با
زب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه
التكذيب للدلالة على أنهم كذبوا في تكذيبهم
بالغيبي في الكذب مبالغة المغالبة فيه أو على المعنى

بالنار الى السلطان والتابعين للعصاة المانعة
الخيل وفتحت السماء وشققت وقرأ الكوفيون
فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل ابواب ا
وسيرت الجبال اى فى الهوا كالهباء فكانت سرابا مثل
صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها ان جهنم
كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النا
الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها فى مجازهم :
الموضع الذى تضمر فيه الخيل ومجدة فى ترصد
اهله كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل
مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح
احقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل
اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف
تناهى تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد
كلما مضى حقب تبعه آخر وان كان فمن قبيل ا
المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل

آ ٢٥

ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن فى لابثين او نصب احقابا
بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما
وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب
من حقب الرجل اذا اخطاه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره
فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له
والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالشراب
ما يسكن عطشهم ويبل غلتهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد
الا انه اخر ليتوافق رؤس الآى وقرأ حمزة والكسائى بالتشديد
جزاء وفاقا اى جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او
وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون
حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا باياتنا كذابا تكذيبا
وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع فى كلام الفصحاء وقرئ با
لتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه
كذابه وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا فى تكذيبهم
او المكاذبة او كانوا مبالغين فى الكذب مبالغة المغالبين فيه

يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذّابا
وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة المصدر او تكذيبا
مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر
لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله
المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض
وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب و
تكذيبهم بالايات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث
هذه الاية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا
او موضع فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة
بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلكت ثديهن
اترابا لدات وكاسا دهاقا ملانا وادهق الحوض ملاه لا يسمعون
فيها لغوا ولا كذابا وقرا الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ
لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه اذ لا يجب
عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا
من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا

كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بالجر بدل من ربك وقد
رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء الرحمن صفته او خبره وكذا في رفع
ابن عامر وعاصم ويعقوب ووافقهم حمزة والكسائي في جر رب ورفع
الرحمن على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون منه خطابا و
الواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب
او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه
اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملا
ئكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد
لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من
الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى
باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او للا يتكلمون
والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبريل او خلق اعظم
من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى
ربه مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا
قريبا يعني عذاب الاخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب

ولا يبعد ان المعاد يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمت
من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون
الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة
بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه
ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا
اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا
فيود الكافر حالها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات مكية وآيها خمس او ست واربعون بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات
سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح
الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي
الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح المؤمنين
برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح
الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح
الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها

او ثوابها بان هيأها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات والأوليان
لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه
فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من
المشرق الى المغرب غرقا بالنزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب
وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد
ويسبحن في الفلك فيسبق بعضها بعضا في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا
نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات
ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج
ملائمة سمي الاولى غرقا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة
حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من
اغراق النازع في القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيها فتسبق
الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها
فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء
فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم
تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر

والبحر يسبحون الى حضيض الملك فيدبرون امرها او صفات خيل الغزاة فانها
تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج
من دار الاسلام الى دار الكفار وتسبح في جريها فتسبق الى العدو
فتدبر امر الظفر اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما
بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة
الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله
يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها
وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب
تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موقع الحال قلوب يومئذ
واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر
ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك
اضافها الى القلوب يقولون ائنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولى
يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته
التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية
او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت

فحفرت حفرا وهي حفرة أئذا كنا وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا
على الخبر عظاما نخرة بالية وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامي
وحفص وروح نخرة وهي ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات
خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون
لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف
اي لا تستصعبوها فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم
بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا في بطنها
والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها
من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها
يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هل اتاك حديث موسى اليس قد اتاك حديثه
فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما
اصاب من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى قد مر
بيانه في سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ
ان اذهب لما في النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل
لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب

تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى باداء
الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل
لقوله فقولا له قولا لينا فاراه الآية الكبرى اى فذهب وبلغ
فاراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل
او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة فكذب وعصى
فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر ثم ادبر يسعى عن الطاعة
ساعيا في ابطال امره او ادبر بعدما رأى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه
فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او بمناد فقال انا
ربكم الاعلى اى اعلى كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الآخرة والاولى
اخذا منكلا لمن رآه او سمعه في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق
او على كلمته الآخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهي قوله ما علمت لكم
من اله غيري او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا
مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شأنه الخشية أأنتم
اشد خلقا أصعب خلقا أم السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم
بين البناء فقال رفع سمكها اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها

آية ٢٨

الذاهب في العلو رفيعا فسواها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها
بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان
امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل اذا
اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحاها وابرز
ضوء شمسها كقوله والشمس وضحاها يريد النهار والارض بعد ذلك
دحاها بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعاها
ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها
حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارساها اثبتها وقرئ والارض
والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية
متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية
التي تطم اى تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي هي اكبر الطامات
وهي القيامة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة
الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان
يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيه من فرط الغفلة او طول
المدة وهو بدل من اذا جاءت وما مصدرية او موصولة وبرزت الجحيم

وأظهرت لمن يرى أي لكل راء بحيث لا يخفى على أحد وقرئ وبرزت ولمن رأى
ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كقوله إذا رأتهم من مكان بعيد
أو أنه خطاب للرسول أي لمن تراه من الكفار وجواب فإذا جاءت محذوف
دل عليه يوم يتذكر الإنسان أو ما بعده من التفصيل فأما من طغى حتى كفر وآثر
الحياة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس
فإن الجحيم هي المأوى هي مأواه واللام فيه سادّ مسدّ الإضافة للعلم
بأن صاحب المأوى هو الطاغي وهي فصل أو مبتدأ وأما من خاف مقام
ربه مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه
بأنه مرد فإن الجنة هي المأوى ليس له سواها مأوى يسألونك عن الساعة
أيان مرساها متى إرساؤها أي إقامتها وإثباتها أو منتهاها ومستقرها من
مرسى السفينة وهو حيث تنتهي إليه وتستقر فيه فيم أنت من ذكراها في أي
شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم أي ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها
في شيء فإن ذكرها لا يزيدهم إلا غيا ووقتها مما استأثر الله
بعلمه وقيل فيم إنكار لسؤالهم وأنت من ذكراها مستأنف ومعناه أنت ذكر
من ذكرها أي علامة من أشراطها فإن إرساله خاتم الأنبياء أمارة

من أماراتها وقيل إنه متصل بسؤالهم والجواب إلى ربك منتهاها أي منتهى
علمها إنما أنت منذر من يخشاها إنما بعثت لإنذار من يخاف هولها وهو
لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لأنه المنتفع به وعن أبي عمرو منذرٌ بالتنوين
والإعمال على الأصل لأنه بمعنى الحال كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية
أو ضحاها أي عشية يوم أو ضحاه كقوله إلا ساعة
من نهار ولذلك أضاف الضحى إلى العشية لأنهما من يوم واحد عن النبي
من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله في القيامة حتى يدخل الجنة
قدر صلاة مكتوبة

سورة عبس مكية وآيها اثنتان وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى أن جاءه الأعمى روي أن ابن أم
مكتوم أتى رسول الله وعنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام
فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله
بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه
المنهي وقرئ آن بهمزتين وبالألف بينهما بمعنى ألأن جاءه الأعمى فعل
ذلك وذكر الأعمى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام الرسول
بالقوم والدلالة على أنه أحق بالرأفة والرفق أو لزيادة الإنكار

كانه قال تولى لكونه اعمى كالتفات في قوله وما يدريك لعله يزكى اي واي

شي يجعلك واعرض عنه فقيل لك فكان رسول الله يكرمه ويقول

اذا راه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ

عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه على انه علة لتولى او عبس داريا بحاله

لعله يتطهر من الاثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية

غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير

في لعله للكافر اي انك طمعت في تزكيته بالاسلام وتذكيره بالموعظة

ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرا عاصم

بالنصب جوابا للعل اما من استغنى فانت له تصدى

بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرا ابن كثير ونافع تصدى

بالادغام وقرئ تصدى اي تعرض وتدعى الى التصدي

وما عليك الا يزكى وليس عليك باس في ان لا يزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص

على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما

من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار

في اتيانه او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له فانت عنه تلهى